اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الفقه

الفهم العرفاني للنص القراني عند الشيعةالامامية

اطروحة قُدِّمت الى

مجلس كلية الفقه / جامعة الكوفة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في الشريعة والعلوم الاسلامية

تقدمت بها

الطالبة لمياء مهدي سعيد

إشراف

الاستاذ الدكتور

باسم باقر جريو

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

صدق الله العلي العظيم

الاهداء

الى اسوة العارفين.....

وامام المتقين .....

وقائد الغر المحجلين .....

الانسان الكامل .....

الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) .....

اهدي جهدي المتواضع

شكر وعرفان

الحمد لله حق حمده والصلاة على من لا نبي بعده وعلى اله الاخيار وسلم تسليما كثيرا.

وبينما اضع اللمسات الاخيرة في هذه الاطروحة يحتم عليّ الواجب والعرفان بالجميل ان اتقدم بوافر الشكر والتقدير لاستاذي الفاضل الدكتور باسم باقر جريو الذي تفضل بقبول الاشراف على هذه الاطروحة ، فتحمل عناء القراءة ، وكان يبدي توجيهاته وارشاداته التي تنم عن عمق علمه ودماثة خلقه فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

كما اتقدم بجزيل الشكر الى السيد عميد الكلية ومعاونيه وسائر الاساتذة الذين ساعدوني في اعداد هذه الاطروحة.

واسجل امتناني لكافة الفضلاء والاعلام ، والاخوة الذين اسهموا في اعداد الاطروحة ، كما اشكر جميع المكتبات.

واخيرا لا يسعني الا ان اتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى رئيس لجنة المناقشة واعضائها على تجشمهم عناء قراءة الاطروحة ، وكلي امل بان تسهم ملاحظاتهم وتوجيهاتهم ستسهم في اثراء هذه الاطروحة.

ومن الله التوفيق

كشاف المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الاهداء	ب
شكر وعرفان	ت
كشاف المحتويات	ث
المقدمة	١-٩
تمهيد: التصوف والعرفان	١٠-٢١
الفصل الاول: منهج التفسير العرفاني وعلاقته بأسس العرفان	٢٢-٧٣
توطئة	٢٣
١- المنهج في اللغة والاصلاح	٢٤-٢٦
٢-العرفان في اللغة والاصلاح	٢٧-٣٢
٣- جذور العرفان ومصادره	٣٣-٤٤
٤-اسس العرفان الشيعي	٤٥-٧٣
الفصل الثاني: المنهج العرفاني وعلاقته بالمناهج الاخرى	٧٤-١٠٦
١-منهج الرأي	٧٥-٨٢
٢-المنهج الصوفي	٨٢-٩٢
٣-معايير صحة المنهج العرفاني	٩٢-٩٤
٤-المنهج العقلي	٩٥-١٠٥
الفصل الثالث: الفهم العرفاني للنص العرفاني	١٠٧-١٤٠
١- مستويات النص القرآني	١٠٧-١٢١
٢-العمق القرآني	١٢١-١٣٠

٣-مراتب الفهم العرفاني للنص القرآني ١٣٠-١٤٠

الفصل الرابع: منهج التفسير العرفاني المستند الى الظاهر ١٤١-١٧٢

الامام الخميني انموذجا

١- حجب التفسير ١٤١- ١٥٣

٢- نماذج من التفسير العرفاني المستند إلى الظاهر ١٥٤-١٧٢

الفصل الخامس: منهج التفسير العرفاني المستند الى الباطن ١٧٣-٢٠٢

السيد حيدر الاملي انموذجا

١- التفسير الباطني ١٧٣-١٨٠

٢- نماذج من التفسير الباطني ١٨٠-٢٠٢

النتائج والتوصيات ٢٠٣-٢٠٧

كشاف المصادر والمراجع ٢٠٨-٢١٨

ملخص اللغة الانكليزية.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى محمد واهل بيته الطيبين الطاهرين.

ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي صانه الله تبارك وتعالى من التحريف ، وهو الكتاب العظيم الذي يعد المصدر الموثق الأكيد في بلوغ المعارف والتعاليم الوحيانية ، والذي يرشد الانسان الى الاسلوب الأمثل في الحياة ، وكذلك يعد الكتاب الذي يحقق للانسان اذا اتبعه هدفه وغايته ويبلغ به حالة السلام والطمأنينة ، وينقذه من حالة التخبط في الظلمات ، ويقوده الى عالم مفعم بالنور والصفاء.

وكان النبي الاكرم g طيلة أيام حياته المباركة يؤكد على أن التمسك بالقرآن الكريم وبأهل بيته عليهم السلام هو الضمان لحماية مسار الأمة الاسلامية مما يعتور طريقها من كل أشكال الانحراف والضلال ، فهما في نظره المعيار والمحك في التمييز ما بين الحق والباطل في كل المجالات لاسيما في الأزمات الفكرية والاخلاقية والفتن الاجتماعية.

وقد عرف الله القرآن الكريم بأنه شفاء لما في القلوب والافكار ، فاذا كان القرآن شفاءً فانه اذن عار من المرض تماماً ، كما ان المراجع للقرآن الكريم لا يعود من دون علاج وعافية.

وبناءً على هذا فان الجهل نوع من أنواع المرض ، فلا جهل في حرم القرآن ، وان الاشتباه والتناقض والاختلاف وعدم الانسجام ظلمة ، فلا اشتباه ولا تناقض ولا اختلاف في القرآن ، وان القرآن نور فلا ابهام ولا تعقيد ولا اغلاق في حرم القرآن ، فلا مرض في ناحية الشفاء ، ولا سبيل للظلمة الى منزل النور.

والقرآن الكريم كسائر الكتب السماوية الموحاة الى الانبياء عليهم السلام ميزان ، فاذا ماأردنا ان نعرف ان هذه العقيدة – على سبيل المثال – حقة أم لا؟ فاننا نزنها بالقرآن ، واذا أردنا ان نعرف ان ذلك القانون المتعلق بالعلوم الانسانية حق أم لا؟ أو أردنا معرفة سلامة تلك الاخلاق وعدمها ، أو أردنا ان نعرف ان ذلك المجتمع حيّ أم لا؟ كل ذلك نزنه بالقرآن ، لأن القرآن ميزان ووسيلة لتشخيص ووزن مثل هذه الامور.

ورؤية القرآن لا تفتقر الى نور آخر ، لأن كل ظهور لابد وان ينتهي الى ما هو ظاهر بالذات وكل وزن وموزون لابد ان ينتهي الى ميزان ، والقرآن ميزان لكل العلوم والعقائد والمعارف ، القرآن شفاء من كل جهل وشك وانحراف فكري ، القرآن بيان لكل أمر مبهم أو مشكل.

بيد ان النهل من القرآن الكريم ، والاسترشاد بهذا الوحي الالهي والرسالة السماوية ، مرهونان بالفهم الدقيق والصحيح لآياته الكريمة. وان الشيء المهم هو وجود عين بصيرة يتمكن الانسان بواسطتها من رؤية نور القرآن ، لأن النور انما تراه العين البصيرة ، ومن خلال النور ترى تلك العين البصيرة الامور الاخر ، عندها يتمكن من الوصول الى القرآن ورؤيته هو البصير فحسب، وقد شخص القرآن هذه النقطة ، إذ انه يقول بأن الانسان اذا تدبر فهم ، لأن هذا الكتاب ليس مبهماً.

فالتدبر ضروري ، والذي يمنع عن التدبر هو انسداد القلب وانغلاقه ، فذو القلب المغلق ليس من اهل التدبر والتفكر ، والقلب المقفل كالعين المغلقة ، لا ترى النور من جهة ، ولا تشاهد بواسطته أشياء أخرى من جهة ثانية.

وعلى هذا الاساس يرى القرآن الكريم ضرورة التحلي بقلب منفتح وصدر منشرح لفهم آياته الكريمة ، وبما ان القرآن خال من التعقيد فينبغي ان يكون المستفيد منه متحلياً بقلب منفتح لكي يمكنه تقبله.

وقد ذكر القرآن الكريم الطهارة كوسيلة للوصول الى حقائقه ، فاذا ماأراد أحد ان يتصل بظاهر القرآن فعليه ان يحصل على ظاهر طاهر ونقي ، إذ لا يمكنه بدون الطهارة الاتصال بظاهر القرآن ومسه ، بل لا يمكنه وضع القرآن على شفتيه لتقبيله ، أما معنى ومحتوى وتفسير وروح القرآن فلا يتمكن الانسان من ادراك معنى القرآن والوقوف على باطنه أو الغوص في محتواه العميق الدقيق إلا اذا كان طاهر النفس والباطن ، وان يدفع عن نفسه كل ما يراه باعثاً على تلوث النفس والباطن.

وبهذا يتضح بأن الآيات القرآنية هي مظاهر للحق ، وهي علامات علم وحياة وقدرة للحق ، وانها بينة واضحة ، غاية الأمر انها تحتاج الى بصيرة حتى ترى ، تحتاج الى نفس حية حتى تنظر ، تحتاج الى قلب طاهر حتى يمكن مسّها ، تحتاج الى روح نزيهة حتى تظفر بها ، وتقف على ما تختزنها من حقائق وأسرار.

وقد أنزل الله القرآن على النبي g ليبينه للناس ، لا لأجل ان القرآن ليس بيناً بالذات ، بل لكي ينور أعين الناس ويجعلها بصيرة ، لكي يرشدهم الى طريق الاهتداء الى القرآن ، لكي يأخذ بأيديهم ويهديهم الى سبيل الوصول

الى القرآن ، لأجل هذا نزل عليه الكتاب ، وليس من أجل ان يوضحه فهو في نفسه واضح وبين.

ويتمثل دور النبي g على هذا الاساس في رفع الحجب عن الناس حتى يصبحوا أولي أبصار ، أي ان دور النبي g يكمن في رفع الابهام عن قلوب الناس ، ان يزيل الافكار المنحرفة عن أذهان الناس ، ان يدفع تلك الشكوك والوساوس عن نفوس الناس ، فاذا صقلت أرواحهم بحيث صارت كالمرآة الصافية ، فعندئذ يشرق نور القرآن ويتمكنون من الرؤية.

وتأسيساً على ذلك لا يكمن دور المفسر في رفع الحجاب عن وجه القرآن، إذ ان القرآن نور وليس مستورا ، بل يكمن في رفع الحجاب عن قلوب وأفكار الناس المنحرفين ، عن قلوب ذوي الافكار المظلمة ، وعن ذوي البواطن الملوثة، فوجه الحقيقة غير مستور ، وإن كان هناك ستر فهو على القلب والعين.

وعلى ضوء هذه الحقيقة يقال للفرد الضال يوم القيامة ان هذه الحقائق كانت موجودة ولكنك كنت في حجاب عن رؤيتها ، وستراها حين يرفع عنك الغطاء وليس يرفع عن الحق ، لأن الحق لم يكن مستورا ، ولم يك محجوبا ، ولم يك مغطى ، ولم يك مخفيا ، بل كان قلب الانسان هو المحجوب ، هو المظلم، الانسان هو الذي كان مريضا ومحجوبا.

كما يكمن دور المفسر في تنقية الفطرة ، وفي رفع وازالة هذه الحجب ، وفي اجلاء هذا الصدأ ، وفي نفض ذلك الغبار ، حتى اذا ماطهرت ساحة القلب وأصبحت كالمرآة حينئذ تسهل رؤية نور الحق ، حينئذ يصبح فهم آيات القرآن سهلا.

وهنا يأتي المنهج التفسيري بوصفه طريقة يصل من خلالها المفسر الى كشف المعاني والحقائق المكنونة في النص القرآني ، الذي يتطلب التركيز واستيعاب نقاط القوة والضعف في العمل المنهجي ، لاسيما في مجال الدراسات القرآنية التي تتطلب من المفسر دقة وحساسية ، كي تجنبه قدر المستطاع الخلل والخطأ في فهم الخطابات القرآنية.

ولما كان العرفان عبارة عن العلم بالحق تعالى من حيث الاسماء والصفات والمظاهر ، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفية رجوعها جميعا الى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحدية للحق تعالى ، ومعرفة طريق السير والسلوك والمجاهدة والارتياض لتهذيب النفس وتزكيتها وتحريرها لتنفتح على بارئها وخالقها، فكان لابد من الانفتاح عليه وتوظيفه في التعاطي مع هذه الحقائق.

ومن هنا ظهر المنهج العرفاني بوصفه منهجا تفسيريا يعتمد الكشف والشهود ومعطيات العقل والنقل بهدف الوصول الى حقائق القرآن ، والمفسر الذي يستعين بهذا المنهج في التعامل مع النص القرآني ، هو ذلك العارف الذي يطوي مراحل السير والسلوك وتهذيب النفس ، بغية الوقوف على تلك الحقائق ، وان لم يكن كذلك فلا يسعه ازالة الحجب التي تحول دون الفهم المطلوب.

فالمفسر الملم بآداب اللغة العربية وقواعد التفسير وضوابطه ليس له سوى الوقوف على ظاهر القرآن الذي يمثل أول الحجب ، واذا ما تدبر وتعقل فقد اخترق سائر الحجب ووصل الى الملكوت وذلك حسب مراتب فهمه واستعداده.

وتظهر أهمية دراسة هذا المنهج من خلال اهتمام النبي وأهل بيته عليهم السلام به ، والاشارة اليه في أحاديثهم ، اذ سلط الضوء على كيفية استعماله في تفسير القرآن بناءً على ما صرحت به الآيات والروايات وبما ينسجم والضوابط الشرعية.

بيد أن ثمة مشكلة واجهها البحث تتمثل في الخلط بين أسماء هذا التفسير حتى نسب الى الامامية أنهم اصحاب منهج باطني في التفسير ، في حين هناك من استغرق في تفسير باطن النص القرآني دون الأخذ بنظر الاعتبار ظاهره ، إلا ان اغلب مفسري الامامية الذين اعتمدوا هذا المنهج في التفسير لم يكتفوا بظاهر النص وعبروا منه الى الباطن استناداً لبعض المعايير والضوابط التي لا تتعارض والأدلة النقلية والعقلية.

والهدف من البحث إماطة اللثام عن المنهج العرفاني الصحيح في تفسير النصوص القرآنية وتمييزه عن سائر المناهج القريبة منه وهي لا تلتزم بالموازين والضوابط التي ينبغي مراعاتها في التفسير بناءً على ما ورد في الآيات القرآنية والروايات.

ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع الذي شهد اختلافا كبيرا في وجهات النظر بين المفسرين والباحثين حول هذا المنهج وأنواعه ، مما دفعني للتوجه الى ايران لمقابلة عدد من المفسرين والباحثين المهتمين بهذا الشأن القرآني ، فهناك من ارتضى بعض أنواعه واستعان به في التفسير ، ومنهم من رفضه وعده من التأويل والباطن والتفسير بالراي المذموم.

وعلى هذا الاساس حاولت أن أجعل خطة البحث شاملة ، لتتوزع فيها الدراسة على خمسة فصول: فضلا عن المقدمة والخاتمة ، سبق الفصول

تمهيد شمل موضوع التصوف والعرفان والصلة بينهما انطلاقا من الجذور التأريخية والفكرية.

واختص الفصل الاول بدراسة منهج التفسير العرفاني وعلاقته بأسس العرفان ، حيث تناول التعريف بمفردة المنهج والعرفان ثم منهج التفسير العرفاني ، وجذور العرفان ومصادره التي تستند الى القرآن الكريم والروايات، كما تطرق الى أسس العرفان الشيعي التي تشمل الوحي ووحدة الوجود والانسان الكامل والحقيقة المحمدية والولاية والبطون والتأويل والكشف والشهود ، الى جانب اثارة الاشكالات الواردة على مقولة الكشف والشهود واستعراض الردود عليها.

وجاء الفصل الثاني بعنوان علاقة المنهج العرفاني بالمناهج الاخرى ، اذ سلط فيه الضوء على المناهج القريبة من منهج التفسير العرفاني ، تقدمها منهج التفسير بالرأي الذي ذمته الآيات والروايات ، بغية معرفته والحذر من الانزلاق فيه ، ولذلك أردف بمعايير صحة منهج التفسير العرفاني وليكون بوابة للخوض في منهج التفسير الصوفي ، ثم اختتم الفصل بدراسة منهج التفسير العقلي.

أما الفصل الثالث فجاء عنوان الفهم العرفاني للنص القرآني ليشمل دراسة مستويات النص القرآني وعمق هذا الفهم في المنهج العرفاني فضلا عن مراتب الفهم العرفاني للنص القرآني.

وكرس الفصل الرابع للتفسير العرفاني الذي يركز على باطن النص القرآني من دون تجاهل الظاهر أو الوقوف عنده ، بل باعتباره طريقاً الى الباطن.

واختتم الفصل الخامس بدراسة منهج التفسير العرفاني المستند الى الباطن من خلال تسليط الضوء على المراد بالتفسير الباطني وماهية الباطن ومن ثم استعراض نماذج من التفسير الباطني الذي يأخذ بباطن النص القرآني ويهمل ظاهره. ومن ثم النتائج التي توصل اليها البحث والتوصيات.

وتنوعت مصادر البحث ، حيث تمت الاستعانة بكتب التفسير والحديث والكلام والعرفان والتصوف ، كما سعى البحث للموازنة بين المصادر والمراجع ، الى جانب النتاجات المعاصرة للمفسرين والباحثين ، في حين كان الاطار العام للدراسة يتعلق بكتاب الله العزيز.

ولابد من الاشارة هنا الى ما بذله أستاذي المشرف الاستاذ الدكتور باسم جريو من جهود ذللت ما واجهته من صعاب ، فضلاً عن وقفته العلمية البحثية ومتابعته الدقيقة وتقديم توجيهاته القيمة بغية اخراج البحث بهذه الصيغة ، فإن أكن قد وفقت في البحث فإنما هي بضاعة أساتذتي ردت اليهم، وإلا فحسبي أني سعيت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحثة

التّمـــهيـــد

التصوف والعرفان

التَّصوّف والعرفان:

١- نبذة تاريخية:

يرى الباحثون ان بذور التصوف ظهرت في الفكر الاسلامي في بداية القرن الثاني الهجري على هيئة نزعات شديدة من الزهد في متاع وزخرف الدنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الاسلامي وقتئذ من حوادث شديدة أثرت تأثيراً كبيراً في جميع جوانب الحياة.

علما ويرجع بعض اخر ظهور التصوف الى عاملين: الأول الذنوب والمعاصي التي يقترفها المسلم ويسعى لمحوها بطلب المغفرة من الله ، والثاني حالة الرعب التي تنتاب العصاة في اليوم الآخر وما ينتظرهم من عذاب شديد يدفعهم الى طلب التوبة والزهد في الحياة.[١]

وعد التصوف علماً عملياً من حيث انه يرتبط بالمجاهدة والرياضة والاحوال والمقامات، وانه ظاهرة دينية فريدة لتربية المسلمين تربية ذوقية وجدانية تمس القلب والروح قبل الجوارح والاعضاء...وبدأ هذا العلم الجديد يتجه الى فهم العبادات والاحكام اتجاهاً باطنياً يخرجها من حدود الفقه الجامدة على حد قول الصوفية أنفسهم ، من دون ان يفت الصوفية ومؤرخي التصوف أن يؤسسوا علمهم هذا على الكتاب والسنة.[٢]

---

(١) (ظ) الحيدري ، كمال: العرفان الشيعي ، دار الهادي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص٤٩.

(٢) (ظ) شريف ، محمد جلال: دراسات في التصوف الاسلامي ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص١٧.

وقريباً من القول السابق يرى الشعراني: ((ان علم التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الاولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة. فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الاحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها. فالتصوف انما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة اذا خلا من عمله الملل وحظوظ النفس...ومن تبحر في علم الشريعة حتى بلغ الى الغاية ، أدرك بذوقه ان علم التصوف تفرع من عين الشريعة)).[١]

أما في أصل اشتقاق مفردة التصوف فيرى أحد الباحثين انه يمكن ارجاعه الى أمور خمس:

الأول: انه من الصوفة ، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له.

الثاني: من صوفة القفا ، للينها ، فالصوفي هيّن ليّن.

الثالث: انه من الصفة ، اذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الاوصاف المذمومة.

الرابع: انه من الصفاء الذي يعمر قلوب الزهاد.

الخامس: انه منقول من صفة المسجد النبوي ، الذي كان منزلاً لأهل الصفة ، لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف ، وأهل الصفة هم الرعيل الاول من رجال التصوف.[٢]

---

(١) الشعراني ، عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ط١ ، ج١ ، ص٤.

(٢) (ظ) البهادلي ، عبد الرضا ناصر: منهج العرفان عند الامام علي ، مكتبة الامام الصادق ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص٤٠.

وقد عد العلامة الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ) التصوف جزء من حركة الأمم وثقافتهم وطريقة سلوكهم للتعبير عن الشأن العبادي المختص بها سواء كانت ديانة توحيدية أم وثنية فقال بهذا الخصوص:((وليس التصوف مما أبدعه المسلمون من عند أنفسهم لما انه يوجد بين الامم التي تتقدمهم في النشوء كالنصارى وغيرهم حتى الوثنية من البرهمانية والبوذية ، ففيهم من يسلك الطريقة حتى اليوم ، بل هي طريقة موروثة ورثوها من أسلافهم)).[١]

ويرجع باحث معاصر نشوء التصوف في المدرسة الاسلامية من خلال ما ورد عن النبيg والأئمة الاطهار سلام الله عليهم ، لأن مثل هذا اللون من المعرفة لا يمكن ان يصدر عن غيرهم لأنهم أعرف الناس بالله تعالى... هذا لا يعني ان العرفان لم يكن معروفاً وموجوداً في الديانات الاخرى ، كون هذا النوع من العبادة والانقطاع الى الله جزء من ديانة أي دين سماوي سبق الاسلام.[٢]

وقد حدثنا القرآن الكريم عن انقطاع مريم (عليها السلام) الى الله تعالى في عبادتها ولذلك يخبر الله عنها في كتابه بقوله تعالى ((**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يا مريم أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**))[٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٠ ، ، ج٦ ص١٩٢-١٩٣.

(٢) (ظ) البهادلي ، عبدالرضا ناصر: منهج العرفان عند الامام علي م. س ، ص٢٥.

(٣)آل عمران: ٣٧.

قال ابن عباس: ((لما بلغت تسع سنين ، صامت النهار ، وقامت الليل ، وتبتلت حتى غلبت الاحبار)).[١]

وهكذا صار هذا اللون من العبادة في الديانة المسيحية كما أخبر الله تعالى في القرآن ((**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**))[٢].

قال الفيض الكاشاني(١٠٩١هـ) في تفسيره ((ورهبانية ابتدعوها قيل هي للمبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من الرهب)).[٣]

أما العرفان عند الشيعة الامامية فهو ((يحصل باتباع ما جاء به النبي g والائمة (عليهم السلام) الى جانب ترك الشهوات وتهذيب النفس والتدرج في مدارج الكمال ، فاذا بلغ درجة من اليقين تحصل له المكاشفات فتطلع النفس على عوالم الغيب))[٤].

وبصدد التفريق بين العارف والصوفي،يقول احد الباحثين:((ان العرفان عند الشيعة لا يكون عقيدة غير الاسلام ، وهو ممدوح عندهم ، أما عند الصوفية فربما يكون عقيدة،والعارف عند الشيعة إن غيّر وبدّل فهو صوفي

---

(١) الطبرسي ، مجمع البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٧م: ٧: ٦١.

(٢)الحديد: ٢٧.

(٣) تفسير الصافي ، مؤسسة الهادي ، قم ، ط١ ، ١٤١١ ، ج٥ ، ص١٣٩.

(٤) الرجا ، حسين: التصوف في البداية والتطرف في النهاية ، مؤسسة الفكر الاسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص١٦٧.

وإن سميناه عارفا ، والصوفي إن سلم من مزلة القدم وزلل القول فهو عرفاني وإن أسميناه صوفيا)).[١]

وقد تحدثت مصادر الطرفين عن عرفانية الامام علي ... واتفقت على انه الأبرز في تاريخ العرفان ، اذ ان الامام علي ... أول العرفاء من هذه الأمة الاسلامية بعد رسوله g وسيد العارفين لله تعالى ، فهو المثال البارز للعرفان ، غير انه لم يصل الى هذه المرحلة من المعارف والعرفان برياضات شاقة ، وطرق منحرفة ، وانما بتنمية الاخلاق والفضائل عبر خمس مراحل:

الاولى: معرفة الله والاقرار بألوهيته.

الثانية: التصديق بالله الذي يمثل كمال المعرفة.

الثالثة: توحيد الله وتنزيهه عن الشرك.

الرابعة: الاخلاص لله.

الخامسة: نفي الصفات عنه.[٢]

لذا قال ...: ((ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود)).[٣]

---

(١) الرجا ، حسين: التصوف في البداية والتطرف في النهاية ، مؤسسة الفكر الاسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٢ ص١٩٨.

(٢) (ظ) البهادلي ، م.س: ١٤٧.

(٣) نهج البلاغة: قصار الكلمات، الكلمة ٣٧٦١.

ان أمير المؤمنين علي ... هو الذي استشهد بهذه المراحل الخمس كسبيل لبلوغ العرفان، إذ قال: ((أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف)).[١]

ويتضح مما سبق ان ثمة علاقة بين الدين والعرفان ، فالدين ليس هو العرفان...فمن قال بأن الدين لا علاقة له بالمطلق مع العرفان فانه وقع في اشتباه كبير ، وهكذا من قال بأن الدين هو العرفان فقد وقع في الاشتباه نفسه ((ان الدين يستلزم العرفان نوعا من الاستلزام، إلا ان الدين يدعو الى العرفان دعوة طريقية لا غائية ، فالعرفان وسيلة وليس غاية في الدين)).[٢]

٢- الصلة بين التصوف والعرفان:

غالباً ما يتم الخلط بين التصوف والعرفان ، ويستعمل احدهما مرادفا للآخر ، غير ان الدقة العلمية والمنهجية تستوجب التمييز بينهما. فالتصوف مصطلح يعود الى النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، أما العرفان فهو مصطلح بدأ استعماله في القرن الثالث للهجرة.

ونجد من خلال العودة الى التأريخ الاسلامي ان هناك أشخاصاً يصح ان نطلق عليهم صفة المتصوفة من دون ان يكونوا عرفاء ، وبالمقابل ثمة

---

(١) نهج البلاغة: ٣٧٦١.

(٢) الميزان ، م.س: ٣: ٦٨.

عرفاء لا يصح القول عنهم انهم متصوفة ، من أمثال العلامة الطباطبائي والامام الخميني.[١]

ويرى الشهيد مطهري ان الفارق الاساسي بين العارف والمتصوف يكمن في ان العرفان هو أقرب الى الحالة الثقافية المعرفية ، في حين ان التصوف يكاد يكون حالة اجتماعية ، هذا مع التقائهما معاً في الجوّ الروحي والمعنوي الذي يتحركان في فضائه ، ويؤكد ان من الخطأ التمييز بين المجالين على أسس مذهبية ، بمعنى ان يكون التصوف يطلق على أهل السير والسلوك لدى اهل السنة ، والعرفان على نظرائهم من الشيعة ، ذلك ان كلا الطائفتين فيها الكثير من العرفاء والمتصوفة على حد سواء.[٢]

في حين ان مصطلح العرفان هو الذي ساد وانتشر في الوسط الاسلامي للتعبير عن البعد الروحي للتشيع ولاسيما بعد ان اقترن مصطلح (التصوف) ببعض الظواهر المستهجنة التي أفتى بحرمتها العلماء فألفت الرسائل والكتب في الرد على الصوفيين.[٣]

لاشك ان التصوف طريقة للتعبد والتقرب الى الله تعالى انطلق في جذوره الاولى من الاسلام ، وظهر بين المسلمين مع بزوغ فجر الاسلام ، واتضحت معالمه في أوائل عهد بني العباس بظهور رجال من الصوفية.

---

(١) (ظ) فياض ، حبيب: مقاربات في فهم الدين ، مركز الحضارة ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ص١٠٢.

(٢) (ظ) شيرواني ، علي: دين عرفاني وعرفان ديني ، انتشارات دار الفكر ، قم ، ص١٦.

(٣) (ظ) الامين ، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ، ج٩ ، ص٤٢٦.

ويوضح العلامة الطباطبائي طبيعة الموقف المتقدم بالقول: ((ويرى القوم ان السبيل الى حقيقة الكمال الانساني والحصول على حقائق المعارف هو الورود في الطريقة ، وهي نحو ارتياض بالشريعة للحصول على الحقيقة...غير انهم ادعوا كرامات وتكلموا بأمور تناقض ظواهر الدين وحكم العقل مدعين ان لها معاني صحيحة لا ينالها فهم أهل الظاهر، وبذلك ثقل على الفقهاء وعامة المسلمين سماعها فأنكروا ذلك عليهم...لاسترسالهم في أقوال يسمّونها أسرار الشريعة ، ولو كان الأمر على ما يدّعون وكانت هي لبّ الحقيقة وكانت الظواهر الدينية كالقشر عليها وكان ينبغي اظهارها والجهر بها لكان مشرّع الشرع أحق برعاية حالها واعلان أمرها كما يعلنون ، وان لم تكن هي الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال)).[١]

ان الموقف الشيعي من التصوف لا ينفي بروز بعض الفرق الصوفية في التأريخ التي أخذت طابعاً شيعياً والتي سرعان ما اختفت واندثرت بفضل الدور الذي مارسه فقهاء الشيعة ازاء الحركات الصوفية ((فالتصوف الذي أخذ طابعاً مزرياً عند بعض الشيعة لا يمكن تحميله على كافة الشيعة...فان هذا لا يتجاوز ان يكون اتجاهاً زهدياً فردياً ، لم يرد له أن ينتهي أو ينتمي الى مدرسة التصوف ، أو يدور حول فلسفة معينة شأن الاتجاهات الصوفية الكاملة)).[٢]

وقد يكون هذا الخلط في نسبة التصوف الى الشيعة ناشئاً من ((ظهور بعض عرفاء الشيعة الذين لم تكن لهم أية علاقة بالطرق الصوفية وما طالها من تحريف ، فاشتبه الأمر على بعض فنسب هؤلاء العرفاء الشيعة الى

(١) الميزان ، م.س: ٥: ٢٨٧.

(٢) المهاجر ، جعفر: الهجرة العاملية الى ايران في العصر الصوفي ، دار الروضة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٩٦.

التصوف. وهذا يؤيد كون الصوفية في مسارها التأريخي متفقة مع الاسلام وتعاليمه حتى القرن التاسع الذي ربما أمكن القول بأن التصوف منذ ذلك الحين غلب عليه التمسك بالظواهر مما أدى بطبيعة الحال الى ظهور بعض البدع أحياناً)).[١]

ومن عد التصوف مرحلة من مراحل العرفان فانه عندما يريد الاشارة الى العرفان باعتباره رؤية فانه يطلق عليه اسم ((العرفان)) وأصحابه هم ((العرفاء)). وعندما يريد الاشارة اليه باعتباره تجربة عمل يطلق عليه اسم ((التصوف)) وأصحابه هم ((المتصوفة)) فالعرفان ((من المذاهب الفكرية المتعالية والعميقة ، فهو يسعى الى معرفة الحق تبارك وتعالى ومعرفة حقائق الامور ، وأسرار العلوم...وطريقته اتباع منهج الاشراق والكشف والشهود...فهو رؤية في الكون والوجود تستند في بنيتها المعرفية الى المعرفة الوجدانية القلبية)).[٢]

والذي يبدو للباحث ، ان العرفان تيار فكري يمتاز بالاصالة والعمق وينطلق من مراحل السير والسلوك وتزكية النفس ، أما التصوف كطريقة للتعبد فانه انطلق في أساسه من الاسلام وهذا مما لا غبار عليه ، وانما الكلام في المؤثرات التي دخلت عليه فلم يسلم بها من يد التحريف والضلال فإن ((أصول العرفان الحقيقية ما دلت عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية

---

(١) المطهري ، مرتضى: مدخل الى العلوم الاسلامية ، دار الكتاب الاسلامي ، ط٣ ، ٢٠٠٦ ، ص٩٦.

(٢) الحيدري: م. س: ص٩.

الشريفة وأشارت الى مبانيه سنة الأئمة المعصومين في أحاديثهم والمروي من أدعيتهم وسيرتهم)).[١]

أما التصوف الذي ((بدأ تأريخه مبكراً في مدينة الكوفة فانما يومئ ذلك بأنه يمثل لوناً من الاجواء الروحية ، وعرف بما له من صلة بالمذهب العقلي مما يوحي بالمقارنة بينه وبين العرفان من بعض الوجوه ، إلا ان هذه العلاقة غير ممتدة بينها على مفترق من الطرق وفق حيثيات متعددة عند دراسة الاسس والمباني والآليات لكلا الظاهرتين خاصة اذا أحكمنا النظرة الى ما بلغته مسيرة التصوف من الشطحات والشذوذ التي بلغت حد المروق عن الدين والكفر والشرك)).[٢]

وعلى هذا الأساس ألقى بعض الباحثين المعاصرين باللائمة على النزعة الصوفية ليعدوها بمثابة حربة بيد أعداء الدين من أجل القضاء على الاسلام باسم الاسلام والعرفان.[٣]

وذهب آخر الى ان اشاعة وترويج التصوف في العقدين المتأخرين انما يهدف الى الالتفاف على التعاليم الدينية والمسالك العرفانية الحقة لدى المسلمين.[٤]

---

(١) الحيدري: م. س: ص٩.

(٢) المظفر ، محمد رضا: أحلام اليقظة مع الفيلسوف صدر المتألهين ، تحقيق محمد جواد الطريحي ، دار الضياء ، ط١ ، ٢٠٠٩: ٢٨-٢٩.

(٣) (ظ) نجاد ، علي أميني: در جستجوى عرفان، قم ، ايندكان ، ٢٠١٠: ٣٣.

(٤) (ظ) كاشفي ، واعظ: تصوف وعرفان ، قراتد ، ٢٠١١: ٥٢.

ويبدو ان الايحاء بأن التصوف هو نفس العرفان وان العرفان هو التصوف انما يمهد السبيل للتعريف بأن التصوف هو التشيع والتشيع هو التصوف بغية تشويه حقيقة العرفان الذي يمثل روح الاسلام.[1]

ويتبين مما سبق مدى الفارق بين التصوف الذي انطوى على بعض الممارسات الغريبة على الدين وتعاليمه على حين لم ينطلق العرفان سوى من تعاليم الدين والعودة اليها.

(1) (ظ) روستا ، محمد رضا: تفاوت عرفان وتصوف ، ط١ ، رايگان ، ٢٠٠٩م ، ٣٠٢.

الفصل الاول

منهج التفسير العرفاني وعلاقته بأسس العرفان

توطئة

تبدو روعة الدين عموماً ، والاسلامي خصوصاً ، في ذلك التنوع الفائق الذي يمنح هذا الدين جماله وبهجته ، فمن زاوية فقهية ، الى أخرى فلسفية ، الى ثالثة كلامية ، الى رابعة تأريخية ، الى خامسة قرآنية ، فأخيرة عرفانية روحية.

واذا كان هذا التنوع سراً من أسرار جمال الدين ، وجمال الانسان في تعامله معه ، فإن حصر الدين في جانب وإقصاء الجوانب الاخرى واختزالها أو تقويمها ، تفريط بمخزون كبير ، لا تحمد عواقبه ولا تستساغ.

من هنا يبدو الدرس العرفاني مهماً الى جانب بقية الدروس ، ويبدو هذا المخزون الروحي الهائل عبر الزمن جديراً بالمطالعة والبحث. وسنحاول تسليط الضوء على بعض المفردات بغية الدخول في التفاصيل.

١ـ المنهج في اللغة والاصطلاح:

المنهج في اللغة: ((الطريقة الواضحة ، كما يقال أيضاً النهج والمنهاج))[١] وكلا منهما بمعنى واحد. يقال: ((طرق نهجة وسبيل منهج ، ومنهج الطريق وضحه ، والنهج والمنهاج كالمنهج))[٢]. قال تعالى: ((**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**))[٣] أي الطريق البين الواضح ، ومن ذلك أيضاً اطلاق تسمية (نهج البلاغة) على مجموعة رائعة من خطب أمير المؤمنين علي....

والمنهج في الاصطلاح: ((طريقة يصل بها انسان الى حقيقة))[٤] أو ((اجراء يستخدم في بلوغ غاية محددة))[٥]. أو انه ((الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة ، والبرهنة عليها)).[٦]

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ، مادة نهج: ٤: ٣١.

(٢) الزمخشري ، جار الله: أساس البلاغة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٥ ، ج١ ، ص١٧.

(٣)المائدة: ٤٨.

(٤) الطاهر ، علي جواد: منهج البحث الادبي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨ ، ص١٩.

(٥) محمد ، محمد قاسم: المدخل الى مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص٥٢.

(٦) مصطفوي ، محمد: دور المنهج في عملية التفسير ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص١٤٥.

كما عرف المنهج على انه خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة للوصول الى الحقيقة ، فهو الطريق المؤدي الى اكتشاف الحقيقة في العلوم[١] ، في حين عرفه آخر بأنه حسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة.[٢]

والذي نخلص اليه من التعريفات السابقة انها تدور جميعا حول السبيل العلمي المنظم للوصول الى الحقيقة في العلوم.

أما بالنسبة للمنهج في مجال التفسير فيعني ((الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن ، والتي يمكن من خلالها تبيين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة. وبعبارة أخرى: ان كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم ، هو ما يطلق عليه منهج التفسير)).[٣]

وقد بلغ استعمال ((منهج التفسير)) بالنسبة الى القرآن من الأهمية حداً ، بحيث عد استعمال بعض المناهج ممنوعاً وحراماً شرعاً ، وقد أكدت الاحاديث على أهمية هذا الأمر ، بحيث اذا فسر شخص القرآن بطريقة خاطئة ((كالتفسير بالرأي)) فانه يعد مخطئاً ، وان حصل على نتائج صحيحة.[٤]

---

(١) (ظ) الحسيني ، عمار عباس: منهج البحث القانوني ، التميمي للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٠م: ١٠.

(٢) (ظ) عطية ، حمدي رجب: الاصول المنهجية لاعداد البحوث والرسائل الجامعية ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٢م: ٣٢.

(٣) الرضائي ، محمد علي: مناهج التفسير واتجاهاته ، بيروت ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ١٥.

(٤) (ظ) الطباطبائي ، محمد حسين ، م س: ٣: ٧٥.

ويتبين مما سبق ان منهج التفسير عبارة عن الطريقة التي توصل الى كشف المعاني المكنونة في النص القرآني ، وهو الطريق الذي يسلك لتكوين المعارف والمفاهيم والمعاني من النصوص القرآنية.

يشكل المنهج موضوعاً اشكالياً ، حيث ينبغي التركيز عليه واستيعاب نقاط القوة والضعف الذي يمارس في كل بحث من الابحاث ، سيما في مجال الدراسات القرآنية التي تتطلب مزيداً من الدقة والحساسية ، بغية تفادي الخلل والخطأ في فهم الخطابات القرآنية. ولا يتيسر ذلك إلا من خلال معرفة دقيقة وشاملة لقضايا المنهج عموما ، والمباحث المنهجية في مجال الدرس القرآني وتفسيره بشكل خاص.[١]

من هنا فإن ((البحث المنهجي في مجال التفسير...يتطلب خبرة واسعة في مجالين: أولاً ، في مجال التفسير كونه الموضوع محل البحث ، والذي يتم تطبيق المناهج فيه. ثانياً ، في مجال المناهج نفسها...)).[٢]

ولو اعتمدنا تعريفا من التعاريف المذكورة في مجال التفسير ، لأمكننا ان نقول بأن منهج التفسير عبارة عن ((الطريقة التي نصل من خلالها الى كشف المعاني المكنونة في النص القرآني ، أو هو الاجراء الذي نستعمله للتوصل الى الكشف عن معاني الآيات القرآنية...وهو الطريق التي نسلكها بهدف تكوين المعارف ، المفاهيم ، والمعاني من النصوص القرآنية)).[٣]

---

(١) (ظ) مصطفوي ، محمد: أساسيات المنهج والخطاب ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص٢٤.

(٢) م.ن.

(٣) مصطفوي ، محمد: أساسيات المنهج والخطاب ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص٢٥.

٢- العرفان في اللغة والاصطلاح :

العرفان في اللغة:

((العرفان العلم ، عرفه يعرفه عِرفة وعرفانا ومعرفة ، ورجل عروف وعروفة عارف يعرف الأمور...والجمع عرفاء)).[١]

((والمعرفة والعرفان ادراك الشيء بتنكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الانكار، ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله...والعارف هو المختص بمعرفة الله ومعرفة ملكوته)).[٢]

واستعملت بمعناها اللغوي في نهج البلاغة ((الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيّر مقل العيون من عجائب قدرته ، وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته)).[٣]

كما استعملت بهذا المعنى في القرآن الكريم ((**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ**))[٤].

يقول أحد الباحثين المعاصرين ((لقد استعملت مفردة عرف في كل هذه الاستعمالات بمعنى المعرفة ؛ طبعا المعرفة العميقة والباطنية عن الشيء الذي لا يبدو ادراكه ميسورا للجميع. وعليه فالاستفادة من مادة عرف في

---

(١) ابن منظور: م. س ، ٩: ٢٣٦-٢٣٨.

(٢) الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص٣٤٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.

(٤)المائدة: ٨٣.

تسمية العرفان تشير الى ان المعرفة العرفانية معرفة باطنية عميقة بعيدة المنال عن الادراكات العادية)).[١]

العرفان في الاصطلاح:

عرفه مصباح اليزدي أحد العلماء المعاصرين بالقول: ((العرفان يطلق في الاصطلاح على المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بواسطة العقل ولا بفضل التجربة الحسية. فالعارف الذي حقق تقدماً في سيره العرفاني ينظر الى عالم الوجود على انه مظاهر لنور الباريء جل وعلا وكأن كل ظاهرة من ظواهر العالم مرآة تعكس الجمال الأحدي. وهو لا يرى وجوداً استقلالياً لأي موجود ما عدا الذات الإلهية المقدسة ، وهذا اللون من المعرفة لا يحصل إلا في ظل العمل المخلص بأحكام الدين. وفي الواقع فانه الثمرة الرفيعة والنهائية للدين الحقيقي وهذا هو النور المعنوي الذي يفيضه الله سبحانه على قلوب أحبائه)).[٢]

وعرفه آخر قائلاً: ((العرفان هو عبارة عن العلم بالحق سبحانه من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره ، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفية رجوعها الى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحدية للحق تعالى ،

---

(١) عطار ، علي موحديان: مفهوم عرفان ، دانشكاه اديان ومذاهب ، قم ، ط١ ، ١٣٨٨ ، ص٥٩.

(٢) محاضرات في الايدلوجية المقارنة ، ترجمة الخاقاني ، دار الحق ، قم ، ط١ ، ص٤٠.

ومعرفة طريقة السلوك والمجاهدة لتحرير النفس من علائقها وقيود جزئيتها ولاتصالها بمبدئها واتصافها بنعت الاطلاق والكلية)).[١]

فالعرفان كما يبدو هو علم وادراك خاص يتأتى عبر المجاهدة والسير والسلوك ، وتزكية النفس وتهذيبها من الأهواء الشيطانية ليصل الانسان الى مرحلة يرى نفسه فيها ازاء عظمة لا متناهية وكمال مطلق.

وعرف العرفان بانه ((منهج لكشف حقائق العالم وعلاقة الانسان بالحقيقة ، ليس من خلال العقل والبرهان ، بل من خلال الذوق والاشراق والوصول والاتحاد مع الحقيقة)).[٢]

فمنهج التفسير العرفاني يعتمد الكشف والشهود بغية الوصول الى حقيقة القرآن. والمفسر العارف من يطوي مراحل السير والسلوك وتهذيب النفس من أجل الوقوف على تلك الحقيقة، وما لم يكن كذلك لا يمكنه ازالة حجب الفهم. فليس للمفسر الملم بآداب اللغة وقواعد التفسير سوى الوقوف على ظاهر القرآن وهو أول حجاب ، واذا تدبر وتعقل اخترق سائر الحجب ووصل القعر حسب مراتب فهمه واستعداده.[٣]

قال الزركشي ((كل من كان حظه من العلوم أوفر ، كان نصيبه من علم القرآن أكثر)).[٤]

---

(١) يثربي ، يحيى: عرفان نظري ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٧.

(٢) يثربي ، يحيى: فلسفه عرفان، م٠س، ص١٣٣

(٣) (ظ) أحمد، بهشتي، م٠س، ص١٧٣

(٤) البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٣م ، ٢: ٤٨.

فالدرجة الأسمى لا ينالها إلا من طوى هذه المقامات فبلغ من تهذيب النفس درجة تجعله يتلقى الحقائق عن طريق الكشف والشهود ((فكل من كان تنزهه وتقدسه أكثر ، كان تجلي القرآن له أكبر وحظه من حقائقه أوفر)).[١]

ان المسوّغ لاستعمال المنهج العرفاني في التفسير والتعاطي مع النصوص الدينية هو ان القرآن ليس كتاباً بشرياً ، بل هو كتاب الوحي السماوي والوجودي الجامع الذي يشتمل على الظاهر والباطن والاعماق والذي وصفته الرواية بالقول ((ان كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة والاشارة واللطائف والحقائق: فالعبارة للعوام ، والاشارة للخواص ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء)).[٢]

وعلى ضوء قبول جميع المسلمين بكون القرآن ذا باطن عميق ، ومعان دقيقة ، ومشتملاً على الاشارات والكتابات ، فقد أصبح الطريق مفتوحاً لهذا النوع من المناهج في التفسير.

جدير بالذكر ان تعاطي هذا المنهج مع الباطن لا يعني بأي شكل من الاشكال اهمال الظاهر، ذلك لأن هذا الظاهر هو الاصل في التنزيل ((فالمنهج العرفاني في التفسير يقر تفسير أهل الشريعة في الأخذ بظاهر القرآن وانه الاصل في التنزيل ، إلا ان لأصحاب هذا المنهج في كلام الله

---

(١) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر ، دار الجوادين ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ٥٩.

(٢) بحار الانوار ٦٠١: ٢٨.

مذاقات عرفانية دقيقة لا يمكنهم اغفالها ، لأنها بمثابة واردات أو هواتف هي سانحات ملكوتية قدسية تفاض على القلوب الواعية)).[١]

فهذا المنهج استناداً لما تقدم بعيد كل البعد عما نادى به ((الباطنية)) من الأخذ بباطن القرآن لا ظاهره ((فمن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر ، كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل ان يجاوز الباب)).[٢]

وكذلك لا يعني استعمال المنهج العرفاني في التفسير محاولة للهروب من معطيات العقل ((فالعقل هو الفصل الذي يميز الانسان عن الحيوان ، وتغييب العقل يعني اصابة الانسانية بالشلل. ولو ربطت الانسانية القلب بالعقل لنالت الكمال ، وبعكسه ستظل تراوح في مكانها اذا عطلت أي من القلب والعقل)).[٣]

فالعقل والفكر ((مفتاح أبواب المعرفة وخزائن الكمالات والعلوم ، والمقدمة الضرورية والحتمية لسلوك الانسانية)).[٤]

---

(١) معرفة ، محمد هادي: التفسير والمفسرون ، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية ، قم ، ط٤ ، ١٩٩٢ ، ص٩٤٥.

(٢) بهشتي ، أحمد: وحيانيت وعقلانيت عرفان ، دفتر تلبيات اسلامي ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ص٢١.

(٣) م.ن.

(٤) الخميني ، روح الله: شرح الاربعين حديثا ، نشر آثار الامام الخميني ، ط٢ ، ٢٠٠١ ، ص٥١.

((وكأن ثمة قفل على باب مدينة السير والسلوك ومدخل فردوس الجنان لا يفتح إلا بمفتاح العقل والفكر ، ومن حرم نفسه من فيوضات العقل سوف يراوح مكانه والى الأبد خلف الباب)).[١]

فإثبات الصانع والتوحيد والتقديس والاستدلال والبرهنة على المعاد والنبوة ، بل مطلق المعارف من مختصات العقل. وان هذا المنهج وان تبنى تفسير الوجود ونظامه وتجلياته على أساس الكشف والشهود ، الا انه لا يرفض كل الرفض اسلوب الاستدلال العقلي.[٢]

و الذي يراه الباحث ان العرفان رؤية قائمة على أساس الكشف والشهود وادراكات القلب بغية معرفة الحق سبحانه بأسمائه وصفاته. وان المعرفة العرفانية أرقى في الوصول الى الحقائق والمعارف من العلوم والبراهين الفلسفية والكلامية التي قد تكون في بعض الحالات حجاباً غليظاً ومانعاً أمام المعرفة. ففي الوقت الذي تسعى فيه العلوم لمعرفة آثار ذات الحق يسعى العرفان لمعرفة ذات الحق.

والعرفان ليس منهجاً غريباً وشاذاً ، بل له أسباب ودواع كغيره من العلوم وطرق المعرفة البشرية. والمنهج العرفاني أحد المناهج التفسيرية التي تتعامل مع باطن القرآن مع الأخذ بنظر الاعتبار ظاهره ، كما لا يغفل دور العقل كمفتاح للوصول الى المعرفة الى جانب تركيزه على القلب والكشف والشهود.

---

(١) بهشتي ، م.ن: ٢١.

(٢) (ظ) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، دمشق ، دار اطلاس ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص٤٠٠.

٣- جذور العرفان ومصادره:

انّ للعرفان صلة وثيقة بالدين الاسلامي الحنيف ؛ لأن الاسلام كسائر الاديان الأخرى ، بل أشد منها لبيان روابط الانسان مع خالقه والكون ونفسه. ومن هنا يقول أحد العلماء المعاصرين ((ان عرفاء الاسلام ينكرون ان يكون لهم شيء وراء الاسلام ، ويتبرؤون من هذه النسبة ، بل يدّعون انهم اكتشفوا الحقائق الاسلامية أفضل من غيرهم ، وانهم المسلمون الحقيقيون ، فانهم سواءً من الناحية العملية أو النظرية يستندون الى الكتاب والسنّة وسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الاطهار عليهم السلام وكبار الصحابة)).[١]

جدير بالذكر ان القول بنشأة العرفان في المدرسة الاسلامية لا يعني بأي شكل من الاشكال ان العرفان لم يكن معروفاً وموجوداً في الديانات الأخرى. فهذا اللون من العبادة والانقطاع الى الله هو جزء من ديانة أي دين سماوي جاء قبل الاسلام.

وهناك من يعتقد ((ان العرفان جزء من حركة الأمم وثقافتهم وطريقة سلوكهم للتعبير عن الشأن العبادي المختص بها سواء كانت ديانة توحيدية أم ديانة وثنية. وهذا الاسم المشترك بين الاسلام وغيره لا يعني انتقال مسألة العرفان والتصوف من الأديان الوثنية الى الاسلام بنفس المحتوى والمضمون...والسبب في ذلك هو الاختلاف بين ما يدعو اليه الاسلام وما

---

(١) المطهري ، مرتضى: الكلام – العرفان – الحكمة المتعالية ، ترجمة: حسن علي الهاشمي ، دار الكتاب الاسلامي ، قم ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص٦٤.

تدعو اليه سائر الديانات والافكار والمذاهب ، فدين الفطرة يهدي الى الزهد والزهد يرشد الى عرفان النفس)).[١]

فالذي نخلص اليه هو ان العرفان نابع من الرؤية الاسلامية آخذاً أسسه ومفاهيمه من هذه المدرسة الأصيلة وهذا ما سنتبينه من مصادره الرئيسة المتمثلة بالقرآن والروايات.

أولا: القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم مؤسس العرفان الاسلامي ، والآيات القرآنية سواء في قالب الأمور الاجتماعية أم على صعيد الأخلاق والقصص لا تعكس سوى مختلف طرق السير والسلوك الى الله.[٢] ولذلك وصف أحد العلماء المعاصرين القرآن بأنه حقيقة العرفان.[٣]

(فالقرآن كتاب معرفة الله ومعرفة طريق السلوك اليه ، وقد اشتمل على حقائق ومعارف لم تكن معروفة آنذاك في العالم أجمع فضلاً عن المحيط الذي نزل فيه)).[٤]

---

(١) الطباطبائي ، محمد حسين الميزان في تفسير القرآن ، م.س: ٦: ١٩٢-١٩٣.

(٢) (ظ) الطباطبائي ، محمد حسين: مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي ، مؤسسة أم القرى ، بيروت ، ط٢ ، ١٢١٨هـ ، ج١ ص٨٦.

(٣) (ظ) الاملي ، حسن زادة: المواعظ العرفانية ، دار الاضواء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص٦٦.

(٤) الخميني ، روح الله: المظاهر العرفانية ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط٣ ، ١٩٩٨ ، ص١٤-١٥.

وذهب الامام الخميني أبعد من ذلك معتبراً العرفان من معجزات القرآن قائلا ((ان من أعظم وأسمى معاجز القرآن هي هذه المسائل العرفانية العظيمة التي لم تكن معروفة لدى فلاسفة اليونان)).[١]

ولنتناول هنا بعض النماذج من الآيات القرآنية التي تؤيد ذلك التأصيل القرآني للعرفان:

أ- الآية التي عدت التقوى العنصر المميز بين الحق والباطل وانها أساس زيادة العلم والمعرفة. قال تعالى ((**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**...))[٢].

ذكر الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)في تفسيره قائلا: ((يجعل لكم فرقاناً أي هداية ونوراً في قلوبكم تفرق بينها بين الحق والباطل)).[٣]

قال العلامة الطباطبائي ((الفرقان ما يفرق بين الشيء والشيء وهو في الآية بقرينة السياق وتفريعه على التقوى الفرقان بين الحق والباطل سواء كان ذلك في الاعتقاد بالتفرقة بين الايمان والكفر وكل هدى وضلال أو في العمل بالتمييز بين الصواب والخطأ فإن ذلك كله مما تثمره شجرة التقوى...)).[٤]

---

(١) المظاهر العرفانية ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط٣ ، ١٩٩٨ ، ص١٤-١٥.

(٢)الانفال: ٢٩.

(٣) مجمع البيان ، م.س: ٤: ١٧٨.

(٤) الميزان ، م.س: ١٤: ٨٧.

واستناداً الى هذه الآية الشريفة فانها تؤكد انه عبر تهذيب النفس وتطهيرها من الذنوب والمعاصي والالتزام بأحكام الشريعة يمكن الظفر بمعرفة وبصيرة تجعل الانسان قادراً على التمييز بين الصواب وعدمه.

وبهذا الصدد يقول أحد العلماء العرفاء المعاصرين ((اذا كان معلم هذا الكتاب هو الله ، فسوف يكون من خصائص هذا الكتاب أن يذكر الله تعالى فيه السبيل الى تحصيل مضامينه...وقد صاغ القضية بشكل جملة شرطية ، أي إن اتقيتم فانكم تحصلون على النور الذي يفرق بواسطته بين الحق والباطل في ظل تعاليم القرآن)).[١]

ب- الآية التي عدت الجهاد الأصغر والأكبر سبب الهدى وتفادي الانحراف في العقيدة والعمل والوصول الى الهدف. قال تعالى ((**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**))[٢].

قال العلامة الطباطبائي ((الجهد الواسع والطاقة والمجاهدة واستفراغ الوسع في مدافعة العدو والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس...واثبت لنفسه سبلا تنتهي اليه تعالى فانما السبيل سبيل لتأديته الى ذي السبيل وهو غايتها ، فسبله هي الطرق المقربة منه والهادية اليه تعالى ، واذا كانت نفس المجاهدة من الهداية كانت الهداية الى السبيل هداية على هداية)).[٣]

---

(١) الاملي ، عبد الله جوادي: التوحيد في القرآن ، دار الصفوة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص٥٠.

(٢)العنكبوت: ٦٩.

(٣) الميزان ، م.س: ١٥ : ١٥١.

ج- طائفة من الآيات التي وردت فيها لفظ ((العلم)) بصيغة علم لدنّي أو علم إتيائي.

قال تعالى ((**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...**))[١] وقوله ((**آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**))[٢] وقوله ((**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**))[٣] و...

يستفاد من هذه الطائفة من الآيات أمران ؛ الأول وجود علم بأسم العلم اللدني الى جانب العلم الاكتسابي الحسي والبرهاني. الثاني ان هذا العلم لا يحصل عبثاً وبصورة ابتدائية ، بل عقب مسيرة من تزكية النفس وتهذيبها.[٤]

قال العلامة الطباطبائي بهذا الخصوص ((الحكم هو القول الفصل وازالة الشك والريب من الأمور القابلة للاختلاق – على ما يتحصل من اللغة – ولازمه اصابة النظر في عامة المعارف الانسانية الراجعة الى المبدأ والمعاد والأخلاق النفسانية والشرائع والآداب المرتبطة بالمجتمع البشري...ثم من المعلوم ان هذه المواهب الالهية ليست بأعمال جزافية ولا لغواً ولا عبثاً منه تعالى ، فالنفوس التي تؤتى هذا الحكم والعلم لا تستوي هي والنفوس الخاطئة في حكمها المنغرة في جهلها...فهو علم لا صنع فيه

---

(١)يوسف: ٢٢.

(٢)الكهف: ٦٥.

(٣)طه: ١١٤.

(٤) (ظ)ابراهيمان ، سيد حسين: معرفت شناسى در عرفان ، مؤسسة يوستان ، قم ، ط٢ ، ١٣٨٧ ، ص١٠٩.

للأسباب العادية كالحس والفكر حتى يحصل من طريق الاكتساب والدليل على ذلك قوله: من لدنّا ، فهو علم وهبي غير اكتسابي)).[١]

فالذي يفهم من الآية الشريفة ان ثمة ادراكا شهوديا يفوق المقدمات الحسية والبرهانية في الوقوف على حقيقة الاشياء ؛ وهو الأمر الذي أكده القرآن وحض عليه.

د- طائفة من الآيات التي تحدثت عن اليقين من قبيل: ((**عِلْمَ الْيَقِينِ**)) و ((**عَيْنَ الْيَقِينِ**)) و ((**حَقُّ الْيَقِينِ**)) ؛ ((**كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**))[٢].

هنالك اختلاف بين المفسرين بشأن الرؤية الواردة في الآية ، أفي الدنيا أم الآخرة ، أم ان الرؤيا الاولى في الدنيا والثانية في الآخرة[٣]؟.

قال العلامة الطباطبائي ((ان المراد رؤيتها قبل يوم القيامة رؤية البصيرة وهي رؤية القلب التي هي من آثار اليقين...)).[٤]

فالآية صريحة في ان ثمة معرفة قلبية شهودية بعيدة عن كل شك وريب هي ثمرة العبادة الحقة وتهذيب النفس.

هـ- طائفة من الآيات التي ورد فيها لفظ اللقاء من قبيل ((**لِقَاءِ اللَّهِ**))[٥]

---

(١) الميزان: ١١ : ١١٨.

(٢)التكاثر: ٥-٧.

(٣) (ظ) الفخر الرازي: التفسير الكبير ، م س: ١٠ : ٢٨.

(٤) الميزان: ٢٠ : ٣١٨.

(٥)الانعام: ٣١.

و((**لِقَاءِ رَبِّهِمْ**))[١] و ((**لِقَاءِ رَبِّكُمْ**))[٢] ؛ ((**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**))[٣].

المراد من هذا اللقاء معرفة خاصة بالله تعالى ، وهي معرفة منطلقة من الايمان بالله والعمل الصالح ، أي ان طريق المعرفة الشهودية والعرفانية ان يتحلى الانسان بالعبادة والعمل الصالح وعدم الشرك ، وهي غير تلك المعرفة الحاصلة عن طريق الفكر والتعقل.

و- الآية القرآنية المباركة ((**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ**))[٤].

يقول العلامة الطباطبائي: ((ان الملكوت هو باطن الاشياء لا ظاهرها المحسوس ، فبهذا يظهر انه تعالى يثبت في كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية والحسية)).[٥]

يقول أحد العرفاء المعاصرين في هذه الآية ((الملكوت هو اتحاد عالم الملك بالله ، أي ان لعالم الوجود هذا طابع الملك وطابع الملكوت ، والجانب الذي يشكل الوجود الشخصي للعالم هو طابع الملك فيه ، وجانب ارتباطه بالله يعتبر طابع الملكوت فيه...وان الله يأمر المؤمنين وتلاميذ ابراهيم...

---

(١)الانعام: ١٥٤.

(٢)الرعد: ٢.

(٣)الكهف: ١١٠.

(٤)الانعام: ٧٥.

(٥) الميزان ، م. س : ج٨ ص٢٤٠.

بالنظر في ملكوت العالم ((**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**))[١].[٢] ثمة فرق بين الرؤية والنظر. النبي ابراهيم رأى وعلى المؤمنين ان ينظروا ليروا. النظر مقدمة الرؤية. الإمام يرى والأمة تنظر لكي ترى. وكل شخص يرى بمقدار ما ينظر...)).[٣]

فالرؤية الواردة في الآية رؤية قلبية شهودية وليست حسية عقلية حيث ورد في الحديث النبوي الشريف ((لولا ان الشياطين يحومون الى قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت)).[٤]

ثانياً: الروايات:

وردت العديد من الروايات عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) التي تطرقت الى المعرفة والشهود العرفاني وادراك حقائق العالم عن طريق هو غير طرق المعرفة الحسية والعقلية.

قال رسول الله ((انما يعرف القرآن من خوطب به)).[٥]

---

(١) الاعراف: ١٨٥.

(٢) الاملي ، عبد الله جوادي: نظرية المعرفة في القرآن ، دار الصفوة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص٣٠٢.

(٣) الاملي ، عبد الله جوادي: التوحيد في القرآن ، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٤) المجلسي ، محمد باقر: بحار الانوار ، مؤسسة الرفاء ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، ج٧٠ ص٥٩.

(٥) الكليني ، ابو جعفر بن يعقوب: اصول الكافي: تحقيق ، علي اكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، ط٦ ، ١٩٩٦ ، ج٤ ص٦٠٢.

يقول السيد الخميني(ت١٤٠٩هـ) ((إن كان المراد المعاني العرفية فإن تلك المعاني معروفة للجميع)).[١]

فالذي يفهم من هذا الحديث الشريف ان للمعارف القرآنية مراتب وجودية متعددة ، تتعدد بتعدد الفهم والمعرفة ، حيث تمثل الحقائق الخارجية السقف الأعلى للمعارف القرآنية ، وإن نيل تلك المعارف لا يكون إلا من خلال الحضور والشهود.[٢]

وعليه فإن ظاهر القرآن وهو المعاني العرفية تبدو مفهومة ، أما ما وراء ذلك الظاهر فهناك الباطن العميق الكامن وراء حجاب الظاهر والذي يتعذر على الجميع الوصول اليه دون نوع من المعرفة تتطلب صقل القلب وتزكيته من الشوائب لكي يكون صاحبه مخاطباً بالقرآن.

وقال النبي ((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)).[٣]

يدل هذا الحديث على ان العمل بأحكام الشريعة والتعاليم الدينية يفتح على الانسان باباً من العلم والمعرفة يتعذر دخوله عن طريق الحس والتجربة ، وان هنالك معرفة محتاجة الى العمل والذي يتصور تحصيله على أحد وجهين: سير آفاقي ، وسير أنفسي.

يقول العلامة الطباطبائي بخصوص السير الآفاقي هو ((التفكر والتدبر ، والاعتبار ، والاعتبار بالموجودات الآفاقية الخارجة عن النفس من صنائع

---

(١) صحيفة نور، نشر آثار امام خميني ، ط١ ، ١٣٧٠ ، ج١٩ ص٤٢٨.

(٢) (ظ) ابراهيميان ، سيد حسين: م.س ، ص١٢٤.

(٣) المجلسي ، محمد باقر: م. س ، ج٤ ص١٢٨.

الله وآياته في السماء والأرض ، ليورث ذلك اليقين بالله وأسمائه وأفعاله ؛ لأنها آثار وأدلة ، والعلم بالدليل يوجب العلم بالمدلول بالضرورة)).[١]

ويضيف العلامة الطباطبائي بخصوص السير الأنفسي قائلا ((هو الرجوع الى النفس ، ومعرفة الحق سبحانه من طريقها...فهذان طريقان ، إلا ان الحق أن السير الآفاقي وحده لا يوجب معرفة حقيقية ، ولا عبادة حقيقية ؛ لأن ايجاب الموجودات الآفاقية للمعرفة ، انما هو لكونها آثاراً وآيات ، لكنها توجب علماً حصولياً بوجود الصانع تعالى وصفاته)).[٢]

وقال الإمام علي ... يصف العارف السالك الى الله ((قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دقّ جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبل...)).[٣]

رسم الإمام ... طريق السلوك والعرفان الحقيقي من خلال هذه الكلمات الموجزة والبليغة، وهذا ما أشار اليه شراح نهج البلاغة عندما يمرون على هذه العبارات المحكمة.

قال ابن أبي الحديد وهو يصف العارف ((قد أحيا قلبه بمعرفة الحق سبحانه وأمات نفسه بالمجاهدة ورياضة القوة البدنية بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة. حتى دق جليله أي حتى نحل

---

(١) الانسان والعقيدة ؛ رسالة الولاية ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص٢٤٥.

(٢)م.ن.

(٣) نهج البلاغة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ج٢ ص٢٠٤.

بدنه الكثيف. ولطف غليظه تلطفت أخلاقه وصفت نفسه فإن كدر النفس في الأكثر انما يكون من كدر الجسد والبطنة)).[١]

وقال شارح آخر ((إماتة النفس جعلها ذليلة لا تفعل فعلا إلا بإذن مولاها وهو العقل ولا يحصل تذليل النفس إلا بالمجاهدة والرياضة النفسانية والمجاهدة عبارة عن ذبح النفس بسيوف المخالفة)).[٢]

وعلق الشيخ محمد جواد مغنية على قوله ... أمات نفسه ليقول ان المراد بهذه الاماتة تهذيبها وتطهيرها وكبحها عن الشهوات والمحرمات.[٣]

وورد في الرواية عن الامام الباقر ... انه قال ((ألا ان للعبد أربعة أعين؛ عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه ، وعينان يبصر بهما أمر آخرته ، فاذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين التين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته)).[٤]

والذي نخلص اليه مما سبق هو ان العرفان الشيعي وليد المدرسة الاسلامية وان ثمة ارشادا من الكتاب والسنة الى معرفة النفس وتزكيتها وتنقية القلب من الشوائب بغية الوصول الى الحقائق وادراك الكمال وهذا الادراك لا يحصل عن طريق الحس والعقل ، بل هو طريق النفس الانسانية

---

(١) شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ج١١ ص١٢٧.

(٢) الخوئي ، الميرزا حبيب الله: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، المكتبة الاسلامية ، طهران ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ ، ج١٤ ص٢٥٣.

(٣) (ظ) مغنية ، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٢م ، ج٣ ص٢٨٤.

(٤) الصدوق: الخصال ص٢٦٥.

وطريقة السير والسلوك ، وهي طريقة الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فلا يمكن ان يتصور بأن القرآن يعرف الطريق الى الله ولا يحث الناس على سلوكه.

٤- أسس العرفان الشيعي

أ- الوحي:

طرحت أقوال مختلفة في مختلف الثقافات الاسلامية حول بيان حقيقة الوحي ، وان أهم ما يحدد معالم الوحي القرآني هو ماهية الارتباط الرسالي وقد عبّر القرآن بالوحي عن ((الارتباط الخفي القائم بين الله والانسان ليعد شعوراً خفياً ومجهولاً)).[١] وفي موضع آخر يقول انه ((نوع استعداد بشري يحصل عليه الفرد بالتدريج ، من خلال بلوغ النفس مرحلة التجرد الكاملة ، بعيداً عن الانغماس في الشهوات الجسدية ، وعندها ستكشف له جميع العلوم على نحو اجمالي)).[٢]

تم تقرير مفهوم الوحي في مصطلح العرفاء بنحو يختلف عنه في مصطلح الفلاسفة والمتكلمين ، حيث ان العرفاء وانطلاقاً من رؤيتهم لله والكون والانسان لا يحملون التفكيك الظاهري بين الله والانسان ، ويرون الكون حقيقة متكاملة ومرتبطة ببعضها. وعلى هذا الاساس يعتقدون بأن ((الوحي هو اتحاد واتصال وليس انتقال ويستدلون لذلك بالاتحاد الشهودي بينهم وبين الله وآيات من قبيل ((**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ**))[٣] و ((**الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**))[٤] وهم بهذا الشهود لا يرون أي شيء – بما في ذلك الوحي –

---

(١) الطباطبائي ، محمد حسين: الشيعة في الاسلام ، مؤسسة الامام الحسين ، قم ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص١٤٠.

(٢) الطباطبائي ، محمد حسين: نهاية الحكمة ٣٦١.

(٣)الحديد: ٣.

(٤)الحديد: ٣.

منفكاً ومنفصلاً عن الله ، بل يعتبرون كل شيء شعاعاً من نور الحق ولا يمكن ان ينفصل عنه)).[١]

ويؤمن العرفاء بعدم استثناء الانسان من هذه القاعدة الارتباطية. قال أحد العرفاء في قوله تعالى ((**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**)) [٢]: ((ثبت ان الله لا يخلو منه مكان ، فلابد ان يكون المراد من الآية ما هو أعمق من ظاهرها ، وان الله موجود بين الانسان وقلبه ، قال تعالى ((**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**))[٣] فالوحي حالة استشعار وجود الله في القلب، والذي يحكي عن نوع اتحاد بين نفس الانسان النورية والوجود الأسمى الذي هو منشأ هذه النورانية)).[٤]

وبهذا الصدد يقول محمد تقي مصباح اليزدي: ((ان الوحي ليس بالصوت المادي الذي يمكن ادراكه بالحواس الظاهرية ، بل يتلقى ببصيرة الفؤاد وسماع الروح...ونزول القرآن ليس نزولاً مادياً واعتبارياً ، بل هو نزول معنوي ، والآيات القرآنية تشير الى ان الوحي كان يستحوذ على كافة مشاعر النبي وقواه المدركة ، وانه كان يتلقى الوحي بكل كيانه ، ولم يكن تلقيه من سنخ العلم الحصولي ، بل كان من المراتب العليا للعلم الحضوري.))[٥]

---

(١) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، نشر آثار امام خميني ، قم ، ط١ ، ١٩٧٧م ، ص٨٧.

(٢)الحديد: ٤.

(٣) سورة الانفال آية ٢٤.

(٤) الخميني ، تفسير سورة الحمد ، م.س ، ص٨٩.

(٥) مفاهيم القرآن ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ص٧٨-٧٩.

ومما تجدر الاشارة اليه ان الوحي يختلف عن الكشف والشهود الذي عليه العارف ذلك لأن الموحى اليه يعود الى نفسه بعد طي مراتب السير الى الله ليوظف تجربته للآخرين ويسهم في بناء المجتمع من دون ان يستسيغ الاستغراق في الذوقيات الشخصية.[١]

والذي نخلص اليه مما سبق ان فهم الوحي يتطلب بعض الكمالات وان طريقه ليس بالطريق الذي يمكن للانسان ان يتعلمه في مدرسته ، بل هو من قبيل الادراكات الباطنية ونوع من الفهم الخفي على الحواس الظاهرية.

ب- وحدة الوجود

شكّلت مسألة وحدة الوجود و الموجود أحد أهمّ الأبحاث المطروحة في العرفان، بل لعلّنا لا نكون مغالين إذا قلنا أنّها تُعدّ بمثابة عصب الحياة في المدرسة العرفانيّة،لاسيما وأنّها تُعالج موضوعاً يرتبط بالنظرة الكونيّة للعرفان، والتي سوف تسري بالضرورة إلى جميع الفروع والمفاصل الفكريّة التي تُؤمن بها هذه المدرسة.

هناك امثلة كثيرة أوردها العرفاء على وحدة الوجود وقد تفنّن هؤلاء العرفاء في تقريب هذه النظريّة إلى الاذهان ، وسبحوا سبحاً طويلاً في بحر هذا الخيال ، وضربوا له الامثال فصوّروه تارة بالبحر وهذه العوالم والكائنات كأمواج البحر فإنّها ليست غير البحر وتطوّراته ؛ وليست الامواج شيئاً سوي البحر ، فإذا تحرّك ظهرت ، وإذا سكن عدمت واندحرت ، وهو

---

(١) (ظ) دلدارى ، علي اكبر: برتوئى از تفسير عرفانى ، نشر اسوه ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٦٤.

معنـي الفَنـاء المشـار إليـه بقولـه تعـالى : **((كُـلُّ مَـنْ عَلَيهَـا فَـانٍ * وَيَبْقَـى وَجْـهُ رَبِّكَ))** يفني وجه الممكن ويبقي وجه الواجب[١].

و يستدل العرفاء على وحدة الموجود من خلال مقدّمتين وجيزتين :

المقدِّمة الأولـى : أنّ الوجود والعدم نقيضـان ، والنقيضـان لا يجتمعـان ولا يقبل أحدهما الاَخر بالضرورة ، فالوجود لا يقبل العدم والعدم لا يقبل الوجود ، يعني أنّ الموجود يستحيل أن يكون معدوماً والمعدوم يستحيل أن يكون موجوداً ، وإلاّ لزم أن يقبل الشيء ضدّه ونقيضه وهو محال بالبداهة. المقدِّمة الثانية : أن قلب الحقائق مستحيل ، فحقيقة ا لإنسان يستحيل أن تكون حجراً ، وحقيقة الحجر تستحيل أن تكون إنساناً ، وهذا لمن تدبّره من أوضح الواضحات ، فالعدم يستحيل أن يكون وجوداً ، والوجود يستحيل أن يكون عدماً .في وحدة الموجود ، الموجود هو الحقّ الازلي وجميع الكائنات أطواره وبعد وضوح هاتين المقدّمتين نقول : لو كان لهذه الكائنات المحسوسة وجود بنفسها لاستحال عليها العدم ، لانّ الوجود لا يقبل العدم وهو منافر له وضدّ له بطبيعته ، مع أ نّنا نراها بالعيان توجد وتعدم وتظهر وتفني فلا محيص من الالتزام بأ نّها غير موجودة[٢] .

وليس الموجود إلاّ وجود واجب الوجود الازليّ الحقّ الذي يستحيل عليه العدم بطبيعة ذاته المقدّسة وكلّ ما نراه من هذه الكائنات التي نحسبها بالوهم موجودة هي أطواره ومظاهره يفيضها ويقبضها ، يبقيها ويفنيها ويأخذها ويعطيها ، وهو المانع والمعطي والقابض والباسط ،ّ

---

(١)(ظ)ارزكاني، محمد امين صادقي: انسان كامل ، بوستان كتاب ، قم، ط٣، ١٣٨٧ش:٥٩.

(٢)(ظ) ابراهيميان، سيد حسين:م٠س،١٩٥

. وكلّ الاشياء تجلّياته وظهوراته وإشراقاته وأنواره[١] .

وعلى ضوء ذلك تعني وحدة الوجود في المدرسة العرفانية ((حصر الوجود بالذات الالهية المقدسة ، وأما سائر الموجودات فهي ذات وجودات مجازية وليست حقيقية)). [٢]

يقول جوادي الاملي ((فالعارف يرى بأنه لا يمكن القول بأن الوجود متعدد ، بل هو وجود واحد حقيقة ، ولكن هذا الوجود له آيات تشير اليه ، وله مظاهر وتجليات ، وأفضل تعبير عن ذلك هو التعبير القرآني حيث يعبر بـ ((الآيات)) ، وان كان أحياناً يعبر بـ ((التجلي)) ولكن التعبير السائد هو ((الآيات)) ، ولذا فاننا لا نجد من أول القرآن الى آخره مورداً يعبر فيه القرآن عن موجودات عالمنا بالمصنوعات ، أو الممكنات ، وانما تعبيره دائماً بأنها جميعاً آيات الحق سبحانه وتعالى. ولسان حال الآية هو انها لا تملك شيئاً من نفسها)).[٣]

ويضيف ((ولعل خير تعبير عن الممكنات ما ورد في قوله تعالى ((**أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً**))[٤] ؛ حيث أشارت الى ان هذا العالم بمنزلة الظل لنوره سبحانه وتعالى ، ومن الواضح ان حقيقة الظل هو عدم النور)).[٥]

---

(١)(ظ)ضرابيها، محمد ابراهيم: زبان عرفان، غزال، طهران، ط١، ١٣٨٤ش: ١٧٨

(٢) اليزدي ، محمد تقي مصباح: منهج جديد في الفلسفة ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم، ط١ ، ٢٠٠٧م: ١: ٣٦٥.

(٣) زن در آينه عرفان ، اسراء ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٩٦.

(٤) سورة الفرقان آية ٤٥.

(٥) الاملي: م.ن : ٩٧.

وهذا هو معنى الآية في القرآن الكريم بأن الاشياء لا تملك شيئاً من عند نفسها ، وانما تشير فقط ان الغير هو المالك والقادر والعالم. فجميع ما في الوجود لو نظر اليه منعزلاً عنه سبحانه لم تجده شيئا ، أما لو نظر اليه بما هو حاكي عن الله لوجدت أن له شيئية ((والعارف انتهى من خلال المكاشفات والمشاهدات والرياضات العملية ، وبالسير والسلوك الى الله بأن لا وجود في هذا العالم إلا له سبحانه ، فذهب الى ان الوجود واحد)).[١]

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية الشريفة المذكورة ((الدليل هي الشمس من حيث دلالتها بنورها على ان هناك ظلا ، وبانبساطه شيئاً فشيئاً على تمدد الظل شيئاً فشيئاً ، ولولا ذلك لم ينتبه لوجود الظل)).[٢]

يؤيد ذلك ما ورد في دعاء عرفة للامام الحسين ... ((إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار ، فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك))[٣] فكأنه... يلتمس الله في الوصول اليه بصورة مباشرة وليس من خلال الآثار.

((ومن هنا فإن العارف بحسب رؤيته الكونية وبحسب مكاشفاته يبدأ من الشمس ، ويبدأ من الوجود ، ثم ينتهي الى الآيات ، أي يبدأ منه سبحانه وتعالى وينتهي الى غيره)).[٤]

وفي ضوء ما تقدم نجد ان العرفاء يؤمنون بأن لا وجود إلا لحقيقة واحدة والكثرة مجرد خيال ووهم وليس حقيقة. فعالم الامكان برمته لا يملك أية استقلالية في وجوده ، وانما هو عين التعلق والارتباط بالله تبارك وتعالى

---

(١) الحيدري ، كمال: العرفان الشيعي: ١٤٧-١٤٨.

(٢) الميزان: ج١٥ ص٢٢٥.

(٣) القمي ، عباس: مفاتيح الجنان ، دعاء عرفة، ص٣٤٣

(٤) الاملي ، حيدر: العرفان الشيعي، م س: ٧٥.

، فالنور الذي يستمد نوره من نور الشمس يفقد تلك النورية بمجرد ان تحجب تلك الشمس نورها عن هذا النور.

ج- الانسان الكامل:

البحث حول الانسان الكامل من أقدم الأبحاث التي طرقها الفكر البشري وعرضت له العديد من المدارس الفكرية ، غير انه حظى بأهمية خاصة في المدرسة الاسلامية وبالذات لدى العرفاء الذين كان رائدهم في الاستدلال على الانسان الكامل العديد من الآيات القرآنية والروايات والأحاديث النبوية.

ويجد العرفاء صعوبة وخطورة طريق السير والسلوك الى الله تعالى ومجاهدة الانسان لنفسه وترويضها وان ذلك لا يبدو ميسراً إلا من خلال المرشد ، وذلك المرشد هو الانسان الكامل.

وهو((ذاك الانسان الذي وصل الى التوحيد الحقيقي ، ذاك الانسان الذي وصل الى الفناء في الله سبحانه...وصل الى حيث لا يرى على الاطلاق إلا الله...فالعارف عندما ينظر الى المطر لا يرى فيه إلا رحمة الله ، وعندما ينظر الى الكون لا يرى فيه إلا عظمة الله ، وعندما ينظر الى الآيات المختلفة في الآفاق وفي أنفسهم ، فانه لا يرى فيها إلا علم الله ، ولا يرى فيها إلا حكمة الله. لذا فإن العارف يرى ان في هذه المراحل لابد ان يكون تحت اشراف الانسان الكامل...وان طي المراحل يحتاج الى خبرة ومعرفة...والمتبنى شيعياً ان أهل البيت (عليهم السلام) هم الواصلون الى ذاك المقام وأنهم هم الذين يمتلكون العرفان الحقيقي ، وهم الذين وصلوا الى التوحيد الحقيقي والفناء في الله ، وهم الذين ان تمسكنا بهم لن نضل)).[1]

---

(١) شقير ، محمد: فلسفة العرفان ، دار الهادي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص٢٢-٢٣.

قال السيد الخميني بهذا الخصوص ((اعلم ان لأهل بيت العصمة والطهارة مقاماً روحانياً شامخاً في السير المعنوي الى الله يفوق قدرة استيعاب الانسان وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان كما يستفاد من الأحاديث الشريفة أنهم يشاركون الرسول في مقام الروحانية وان أنوارهم المطهرة كانت تسبح وتقدس للذات المتعال قبل خلق العالم)).[١]

فضلا عن ذلك يقول باحث آخر: ((حقيقة الانسان لدى العرفاء هو انها مظهر لجميع الأسماء الالهية ، فكل مخلوق وموجود سوى الانسان له حظ من بعض أسمائه دون الكل ، أما الانسان فله كل الاسماء ، وهو سبب تعلم الانسان الأسماء الحسنى كلها دون الملائكة ، ذلك لأن حقيقة الانسان مظهر جامع لمظاهر كل الأسماء ، بخلاف غيره من الموجودات)).[٢]

فالانسان الكامل ((هو مثل الله الأعلى وآيته الكبرى وكتابه المستبين والنبأ العظيم ومفتاح باب معرفته من عرفه فقد عرف الله وهو بكل صفة من صفاته وتجل من تجلياته آية من آيات الله)).[٣]

ومن هنا يرى العرفاء ((ان الخلافة لا تصح إلا للانسان الكامل...وفكرة الولاية تنبع من فكرة الانسان الكامل عبر ما استخلفه الحق له في ان يكون

---

(١) الخميني ، روح الله: الأربعون حديثا ، دار الاعلمي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٣٦١.

(٢) محمد ، يحيى: الفلسفة والعرفان والاشكاليات الدينية ، دار الهادي ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص٢٨٠.

(٣) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر ،م س ، ص١١٠.

خليفة له في التكوين والايجاد ، فالولاية تستمد مشروعيتها من الخلافة وان الخلافة هي تلك النيابة عن الله في التكوين والايجاد)).[١]

وهذه هي نقطة الخلاف بين العرفان الشيعي والعرفان غير الشيعي ، إذ ان العرفان غير الشيعي قد يرى ان ذلك العارف الذي يمثل الانسان الكامل هو غير أهل البيت ، وان الابتعاد عنهم أدى الى حصول بعض الانحرافات في المسير العرفاني.[٢]

والخلافة الظاهرية في العرفان الشيعي ليست منفصلة عن الخلافة الباطنية ، فالخليفة الباطني ليس بالضرورة ان يكون الخليفة الظاهري ، غير ان الخليفة الظاهري لابد ان يكون خليفة باطنياً.[٣]

والذي يمكن ان نخلص اليه مما سبق ان قضية الانسان الكامل نمت وترعرعت في المدرسة الاسلامية من خلال بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وان العارف كما مضى سابقاً يؤمن بوحدة الوجود وان لا وجود إلا لله ، وان هذا المقام لا يمكن ان يصل اليه أحد إلا من خلال السير والسلوك الى الله ومجاهدة النفس وترويضها ، وهي معركة شاقة يتعذر على الانسان الصمود فيها إلا من خلال المرشد وان ذلك المرشد هو الانسان الكامل ، وان ذلك الانسان هم أهل البيت (عليهم السلام) وهم المستحقون لمقام الولاية دون غيرهم ، وان هذا هو المائز بين العرفان الشيعي والتصوف الذي سماه الباحث با العرفان غير الشيعي الذي يرى الانسان الكامل غير أهل البيت.

---

(١) الاملي ، جوادي: تفسير تسنيم ، نشر اسراء ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ج٤ ص١٦٨.

(٢) (ظ) شقير: م.س ، ص٢٥.

(٣)(ظ) بهشتي ، احمد: وحيانيت وعقلانيت عرفان ، جاب أول ، ١٣٨٤ ، ص١٧٨.

د- الحقيقة المحمدية

ان الكثير من العقائد والأسس الإيمانية تشكل قناعات لدى الكثير من الأشخاص من دون أن يلتفت إلى مرتكزها العقلي ومستندها البرهاني، بل حتى أن الكثير من المفكرين الدينيين يرون بأن الإيمان لا يمكن أن يكون له مرتكز عقلي من أساسه وليس من المتيسر البرهان عليه لتحصيل اليقين، وأن الدين بما هو دين لا يحتاج إلى هكذا أسانيد وهكذا يقين بل يكفي أن يتحقق للمؤمن الاطمئنان أو القطع إذا ما أردنا أن نركز على المباني الأصولية.

والعقائد تعرف إختلافات كثيرة بين المؤمنين على المستوى التفصيلي، فتوحيد الله سبحانه وتعالى، مثلا، في الإسلام هناك إطباق على التوحيد لكن هناك اختلافات بخصوص تفصيلاتها، فعلى رغم الإتفاق على الاطار العام فإن هنالك بعض الاختلافات التي تصل حد التناقض في كثيرمن الأمور.

الحقيقة المحمدية كما هي مفصلة في الكتب العرفانية هي:صورة الاسم الإلهي الجامع وهو ربها، ومنه الفيض والاستمداد إلى جميع الأسماء فبصورتها الخارجية المناسبة لصور العالم – التي هي مظهر الإسم الظاهر

وهذه الربوبية إنما هي من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها. لأنها من جهة بشريتها عبد مربوب محتاج إلى ربه، كما نبه سبحانه بقوله: ((قل إنما أنا بشر مثلكم))[١] [٢].

---

(١) فصلت : ٢٨١

(٢) (ظ) بهشتي ، أحمد : وحيانيت وعقلانيت عرفان، م.س: ٢٨١

أما الجهة الحقية فقد نبه عليها بقوله عز من قائل : **((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رمى))**[١]. فأسند رميه إلى الله. ولا تتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذي حق حقه، وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم. وهذا المعنى غير ممكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعا[٢].

وفي ذلك المعنى يقول احد العرفاء ((اعلم أن لكل موجود جهة ربوبية هي ظهور الحضرة الربوبية فيه، وكل تأثير أو فاعلية في العالم فهو من الرب الظاهر فيه، فلا مؤثر في الوجود إلا الله، إلا أن المرائي مختلفة في ظهور الربوبية، فرب مرآة ظهرت فيها الربوبية المحدودة على حسب مرتبتها من المحيطية والمحاطية، حتى تنتهي إلى المرآة الأحمدية الأتم التي لها الربوبية المطلقة والخلافة الكلية الإلهية أزلا وأبدا. فجميع دائرة الخلافة والولاية من مظاهر خلافته الكبرى، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وجميع الدعوات دعوات إليها، وهي مرجع الكل ومصدره ومبدأ الكل ومنتهاه والله من ورائهم محيط)) [٣]

فالولاية الخاصة وهي الولاية المحمدية، قد تكون مقيدة باسم من الأسماء وحد من حدودها. وقد تكون مطلقة عن الحدود ومعراة عن القيود، بأن تكون جامعة لظهورات جميع الأسماء والصفات، واجدة لأنحاء تجليات الذات.

---

(١) سورة الانفال ، الاية ١٧.

(٢) (ظ) الخميني ، روح الله: الاربعون حديثاً ، م س ، ٢٨٢.

(٣) الاشتياني ، احمد: رسالة في الانسان الكامل ، اسوة ، قم ، ط١، ٢٠٠٢: ٧٠

فالولاية المحمدية قسمان: مطلقة وكلية من حيث كلية روحه المسمى بالعقل الأول، ومقيدة جزئية من حيث روحه الجزئي المدبر لجسده، ولكل منهما درجات[١].

فالحقيقة المحمدية هي أول الموجودات والتي تجسمت في الرسول الأعظم عليه وعلى آله أفضل الصلوات والتسليم وهو تجلي اسم الله الأعظم (التجلي الواحدي) مما يجعل من باقي التجليات الموجودات مربوبة له، أي خاضعة له ومحتاجة إليه، وعندما نقول التجليات فنقصد الموجودات فالموجود الأحمدي أرفع الموجودات وأعلاها شأنا لأنه تجلي اسم الله الأعظم بخلاف باقي الموجودات، لتجاوزه لمعضلة المحيطية والمحاطية بخلافهم.

والنبوة، عند العرفاء عبارة عن «قبول النفس القدسي حقائق المعلومات والمعقولات عن الله تعالى بواسطة جوهر العقل الاول المسمى جبريل تارة وبروح القدس اخرى، والرسالة تبليغ تلك المعلومات[٢]».

ويعتقد بعض العرفاء بوجود فهمين للنبوة احدهما اكمل من الاخر،الفهم الاول الظاهري وهو عبارة عن مظهر عدل لحقائق الاسماء والصفات. فكما للحق تعالى ظاهر وباطن، والباطن يشمل الوحدة الحقيقية التي للغيب المطلق، والكثرة العلمية حضرة الاعيان الثابتة، وان الظاهر لا يزال مكتنفا بالكثرة دائما، لان ظهور الاسماء والصفات من حيث خصوصيتها الموجبة لتعددها لا يمكن الا ان يكون لكل منها صورة مخصوصة، وبالتالي يلزم التكثر، وحيث ان كلا منها يطلب ظهوره وسلطنته واحكامه، فانه يحصل النزاع والتخاصم في الاعيان الخارجية

---

(١)(ظ) الاشتياني ، احمد ، م.س: ٧٨.

(٢) الاملي،حيدر:اسرار الشريعة، مؤسسة مطالعات فرهنكي ، طهران ، ط١، ١٩٨٣م:٩٠

باحتجاب كل منها عن الاسم الظاهر في غيره، الامر الذي احتاج فيه الى مظهر حكم عدل ليحكم بينها ويحفظ نظام العالم في الدنيا والاخرة ويحكم بين الاسماء بالعدالة، ويوصل كلا منها الى كماله ظاهرا وباطنا، وهو النبي الحقيقي والقطب الازلي اولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وهو الحقيقة المحمدية.[١].

اما الفهم الاخر الاتم والاكمل للنبوة فهو الفهم الباطني، وهي حسب هذا الفهم عبارة عن الخلافة الالهية المطلقة، لكن مراتبها بحسب مراتب الشخص الذي هو مظهر تلك الخلافة. فعندهم ان النبوة هي بمعنى الانباء، والانباء الحقيقي الذاتي الاولي ليس الا للروح الاعظم الذي بعثه الله الى النفس الكلية، اولا، ثم الى النفس الجزئية ثانيا، لينبئهم بلسانه العقلي عن الذات الاحدية والصفات الازلية والاسماء الالهية والاحكام الجليلة والمرادات الجسمية. وكل نبي من آدم ... الى محمد g هو مظهر من مظاهر نبوة الروح الاعظم، فنبوته ذاتية دائمة غير منصرمة،حيث ان حقيقته هي حقيقة الروح الاعظم، وصورته هي صور تلك التي ظهرت فيها الحقيقة بجميع اسمائها وصفاتها، وسائر الانبياء مظاهرها ببعض الاسماء والصفات، حيث تجلت في كل مظهر بصفة من صفاتهاواسم من اسمائها، الى ان تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها وختمت به النبوة، وكان الرسول g سابقا على جميع الانبياءمن حيث الحقيقة، ومتاخرا عنهم من حيث الصورة[٢]

وبعبارة اخرى، يمكن القول: ان الحقيقة المحمدية بها يقوم كل ما للانبياء والاولياء من وجود وصور، بل ان هذه الحقيقة تتجلى في

---

(١) (ظ) الاملي ، جوادي: تفسير تسنيم ، م.س: ٦: ٢٠٨.

(٢)(ظ) الاملي ، حيدر ، اسرار الشريعة ، م.س: ٩٣.

صورجميع الانبياء بما في ذلك صورة محمد وشخصه الجسماني، ومن بعد ذلك صور الائمة والاولياء، والكل انما ياخذون علمهم من تلك الحقيقة.والعرفاء يعترفون بان علومهم ومبلغ كمالهم انما يتم من خلال هذه الروح المحمدية، فكما يصور ذلك صدر المتالهين، بان نفوسهم تصيرعقولا بالفعل، والعقل بالفعل هو الموجود الحقيقي والحياة العقلية الاخروية، والنبي بروحه المقدس سبب لوجوداتهم الحقيقية، ومبدا لكمالاتهم العرفانية ومنشا لفيضان الكمالين الاولي الاقدس والثانوي المقدس.

ومن هنا استعان صدر المتالهين ببعض الايات ليدل بها عبر التاويل على هذه الحال من الصلة بين العرفاء والروح المحمدية، اذ جاء في قوله تعالى: ((النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولو الارحام بعضهم اولى ببعض))[1]، معتبرا المراد بالمؤمنين هم العارفون انفسهم، وان النبي محمدا g هو الاب الحقيقي لهم، ولذلك كانت ازواجه امهاتهم مراعاة لجانب هذه الحقيقة.والابوة هنا هي بمعنى العلية، حيث ان علة الشيء اولى بنفس ذلك الشيء من نفسه، اذ الشيء بالقياس الى علته بالوجوب حيث كان بالقياس الى نفسه بالامكان، فلو لم يكن روح النبي g علة لوجوداتهم الحقيقية لم يكن اولى من انفسهم تبعا لمنطوق الاية[2].

والخلافة، لدى العرفاء، لا تصح الا للانسان الكامل. وذلك باعتبار ان العالم عبارة عن صورة تفصيل النشاة الانسانية، وان الانسان هو صورة جمعهاالاحدية، فالانسان هو غيب العالم، والعالم شهادته وظاهره، وذلك باعتبار ان الكثرة والتفرقة هي حجاب ظاهر، وان الجمعية الاحدية هي

---

(١) سورة الاحزاب ، الاية ٦.

(٢)(ظ) تفسير القرآن ، م.س: ٤: ١٣٥.

غيب باطن، وبالتالي فان الانسان هو روح العالم وقلبه ولبه وسره الباطن[١].
وهو من حيث كونه خليفة الله فانه يكون عبد الله ورب العالم، اذلم يؤد احد من العالم الربوبية غيره، وما احكم احد غيره مقام العبودية، فعبد الحجارة والجمادات، لكونه نسخة جامعة بين الحق والخلق[٢].

وبناءً على ما تقدم فان فكرة الحقيقة المحمدية نابعة من فكرة الانسان الكامل الجامع للكل، كذلك فان فكرة الولاية هي ايضا تنبع من هذه الفكرة عبر ما استخلفه الحق له في ان يكون خليفة له في التكوين والايجاد. فالولاية تستمد مشروعيتها من الخلافة كما يصورها، وان الخلافة هي تلك النيابة عن الله في التكوين والايجاد، وبالتالي فان الولاية اوالسلطنة لا تجوز مباشرة من الذات القديمة من دون وساطة، وذلك «لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدث»، لذا فان القديم لم يكن له بد من ان يولي ما ينوب عنه في التصرف والولاية والحفظ والرعاية، وصفة هذا النائب هو ان له وجها في القدم يستمد به من الحق تعالى، ووجها في الحدث يمد به الخلق.

وجعل للانسان بحكم اسميه الظاهر والباطن حقيقة باطنة وصورة ظاهرة ليتمكن بهما من التصرف في الملك والملكوت. وحقيقته الباطنة هي الروح الاعظم،وهو الامر الذي يستحق به الانسان الخلافة، والعقل الاول وزيره وترجمانه، والنفس الكلية خازنه وقهرمانه، والطبيعة الكلية عامله. واماصورته الظاهرة فهي صورة العالم من العرش الى الفرش وما بينهما من البسائط والمركبات، وهذا هو الانسان الكبير[٣].

---

(١) (ظ) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر ، م.س: ٢١٤.
(٢) (ظ) يثربي ، يحيى: عرفان نظري، م.س: ٩٤.
(٣) (ظ) محمد ، يحيى: الفلسفة والعرفان ، دار الهادي ، بيروت،ط١، ٢٠٠٥م: ٢٨٥

هـ - البطون والتأويل:

وردت العديد من الروايات في مصادر الفريقين التي تصرح بأن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا. فقد جاء في الخبر: ((ان القرآن له ظهر وبطن))[١]. وفي آخر ((له ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره أنيق وباطنه عميق))[٢] و ((ان للقرآن بطنا وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر)).[٣]

وقال الإمام علي ...: ((ما من آية إلا ولها أربعة معان ، ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد هو أحكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد بها)).[٤]

وكتب عليه السلام رسالة لمعاوية انه سمع رسول الله g قال: ((ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما من حرف إلا وله تأويل)).[٥]

والذي يمكن ان نستشفه من هذا القبيل من الأحاديث والروايات أن القرآن يشتمل على وجهين يعبر عنهما تارة بالظاهر والباطن وأخرى بالحد والمطلع وثالثة بالتنزيل والتأويل.[٦]

---

(١) الكليني: الكافي: ج١ ص٣٧٤.

(٢) م.ن : ج٣ ص٥٩٨.

(٣) المجلسي ، محمد باقر: بحار الانوار: ج٨٩ ص٩١.

(٤) م.ن:ج٣٣ ص١٥٥.

(٥) بحار الانوار، م.س، ج٣٣ص١٥٥

(٦) (ظ) شاكر ، محمد كاظم: روش هاى تأويل ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط٣ ، ٢٠١٠م ص٩٩.

ويبدو ان للقرآن الكريم على غرار أي كلام آخر ذو معنى قوسا نزوليا هو ((التنزيل)) وقوسا صعوديا هو ((التأويل)). والقرآن في قوس النزول نور يشع من مقام علم الله وارادته ((**قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ**))[١] ليتجلى للخلق بصورة كتاب واضح وبين ((**وَكِتَابٌ مُبِينٌ**))[٢] وهذا هو السير التنزيلي ((**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[٣]. وعلى الانسان ان يصعد من هذا التنزيل الذي هو حبل الله المتين لينال بواسطته رضوان الحق ((**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**))[٤] وهذا هو السير التأويلي.[٥]

ويذهب أحد الباحثين في اطار الاجابة عن المراد بباطن القرآن الذي عده المفسرون العرفاء مسوغاً لفهم النص القرآني ((ان البحث عن باطن القرآن هو بحث روائي ، وأن الدليل على وجود الباطن للقرآن هي الروايات. فيجب ان ترى كيف تحدثت هذه الروايات عن ماهيته...ويظهر من بعض الروايات المعتبرة ان ظاهر وباطن الآيات هما نوعان من المعاني التي أرادها الله من تلك الآيات. فالظاهر هو المعنى الذي تدل الآيات عليه دلالة واضحة بناءً على المفاهيم العرفية للكلمات والقواعد الأدبية العربية وأصول المحاورة العقلائية ، والباطن هو المعنى الذي لا تكون دلالة الآيات عليه صريحة بناءً على المفاهيم والقواعد والأصول المذكورة...و تدل بعض

---

(١)المائدة: ١٥.

(٢)المائدة: ١٥.

(٣)الحاقة: ٤٣.

(٤)المائدة: ١٦.

(٥) (ظ) شاكر ، محمد كاظم: م.س: ص٩٩-١٠٠.

الروايات على ان معاني القرآن الباطنية هي تأويله الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم)).[١]

الحقيقة ان البطون مسألة ثابتة في القرآن الكريم وقد تعامل معها العرفاء بوصفها حقيقة كائنة وراء النص وخارجة عنه تنطوي على مراتب.[٢]

ومن هنا يقول أحد العرفاء ان ((أعظم ما يفاض على الانسان السالك نحو الله وأسمى ما يعطاه هو: انشراح صدره لأرواح المعاني وبطونها ، وسر الحقائق ومكنونها ، وانفتاح قلبه على تجريدها عن قشور التعينات...والدخول في مدينة العلماء والراسخين ، والسفر من طريق الحس الى منازل الكتاب الالهي ، فإن للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن أدناها ما يكون في قشور الالفاظ...وهذا المنزل رزق المسجونين في ظلمات عالم الطبيعة، ولا يحس سائر مراتبه إلا المطهرون من أرجاس عالم الطبيعة وحدثه...المتوسلون بأذيال أهل بيت العصمة والطهارة...المتمسكون بالعروة الوثقى...حتى لا يكون تأويله أو تفسيره بالرأي ومن قبل نفسه)).[٣]

وقد شغل البحث في التاويل حيزا مهما من ابحاث علوم القرآن وتفسيره، وتعددت الاتجاهات في تحديد التاويل المقبول وغير المقبول، وقد

---

(١) بابائي ، علي أكبر: مدارس التفسير الاسلامي ، بيروت ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ج٢ ص١٢٤-١٢٥.

(٢) (ظ) كسار ، جواد علي: فهم القرآن ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ج٢ ص١١.

(٣) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س: ١٣٦.

نص القرآن على ان من الناس ممن في قلوبهم زيغ يتبعون التاويل وسيلة للوصول الى مآرب خاصة يبتغونها.

ومن الاختلافات التي وقعت بين المفسرين واصحاب الراي الاختلاف في دائرة الايات التي تنالها عملية التاويل، فولد اتجاهان:

الاول: خص التاويل بالايات المتشابهات،وان هذه الايات هي التي تحتاج الى التاويل، لان التاويل هو معرفة المراد من الكلام، وحيث ان ما يشتبه المراد فيه ويختص علمه بالله والراسخين في العلم هو خصوص المتشابهات من الايات كان التاويل مختصا بها. وهذا المعنى هو الذي كان سائدا بين قدامى المفسرين.

الثاني: عمم التاويل لجميع آيات القرآن محكمها ومتشابهها، فاعتبر ان لجميع آيات القرآن معنى آخر وحقيقة اخرى وراء الظاهر، وان الوصول الى هذه الحقيقة يكون عبر التاويل.

واذا اردنا ان نصنف نظرية التاويل العرفاني،فاننا نتمكن وبوضوح من تصنيفها ضمن الدائرة الثانية التي تشمل كل آيات القرآن،سيما لدى العرفاء الذين يستغرقون في الباطن.

والتاويل لدى هؤلاء هوعبارة عن التطبيق بين القرآن الموجود بين الدفتين بحروفه وكلماته وآياته، وبين كتابين آخرين هما: الكتاب الافاقي والكتاب الانفسي، وفصل ذلك بعض العرفاء اذ تحدث عن وجود كتب ثلاثة، هي:

الكتاب بمعنى القرآن، وهو عبارة عن الموجود بين الدفتين من مفردات وكلمات وآيات.

والكتاب بمعنى الافاق، وهو عبارة عن آيات الله العظمى، ويطلق عليه صفة الكتاب الكبير، والسر في ذلك ان هذا الكتاب يشمل العالم كله، فهو اذا يشتمل على كل ما هو موجود في هذا الكون،فيقول بهذا الخصوص: «فكل ما في الوجود من العلويات والسفليات فانه بنفسه كتاب الهي ومصحف رباني، لانتقاشه بصور كلمات الله وآياته، جزئيا كان او كليا، ولاحكامه المسطورة عليه واحواله الحادثة لديه بقلم المشيئة والتقدير[١]».

الكتاب بمعنى الانسان، وهو ما يطلق عليه صفة «الصغير»، وهو عبارة عن القلب والعقل والشهوة التي يتكون منها هذاالانسان.

فاذا، نحن امام مقدمة رئيسية وركن اساسي في تعريف التاويل، وهو الاقرار بوجودهذه الكتب الثلاثة، ومن ثمّ فان التاويل هو عبارة عن المطابقة بين هذه الكتب الثلاثة، وهو بهذا يبتعد عن التعريف الموجود للتاويل عند اهل الظاهر،فليس التاويل بالبحث عن معنى متشابه ولا بالبحث عن مصداق ومعنى متضمن ماورائي، بل هو عبارة عن مقارنة ما هوموجود في الكتاب القرآني مع الكتاب الافاقي والانفسي[٢].

ما يثير الدهشة عند العرفاء في تعاطيهم مع النص القرآني تفسيراً وتأويلاً هو الاصرار على الايمان بالظاهر الى جانب الباطن ((فالعارف الكامل حفظ المراتب وأعطى كل ذي حق حقه...وقرأ ظاهر الكتاب وباطنه ، وتدبر في صورته ومعناه وتفسيره وتأويله ، فإن الظاهر بلا باطن والصورة

---

(١) الاملي ، حيدر : اسرار الشريعة ، م.س: ص٥٠.

(٢) م.ن.

بـلا معنـى كالجسـد بـلا روح والـدنيا بـلا آخـرة ، كمـا ان البـاطن لا يمكـن تحصيله إلا عن طريق الظاهر ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة)).[١]

وفـي ظـلال مـا تقدم مـن أقـوال العلمـاء والعرفـاء عـن وجـود الظـاهر والباطن للقرآن الكريم فان المراد بالظاهر حسب بعض الروايات التنزيل والتلاوة والاحكام ، على حين المراد بالباطن الفهم والتأويل. وان البـاطن لا يمكن بلوغه إلا عبر الظاهر ؛ بيد ان هذا البـاطن من قبيل الحقائق الرفيعة التي يتعذر الوصـول اليهـا دون السير والسلوك الـى الله وتهـذيب النفس من الأدران والأرجاس بغية ملامسة تلك الحقائق.

هـ- الكشف والشهود:

عد كثيـر مـن المفسـرين مـا يسـمى فـي لغـة العرفـاء بالكشـف والشـهود مصـدراً مـن مصـادر المعرفـة الدينيـة الاعتقاديـة ، الـى جانـب مـا تقتضـيه الأحاسيس الفطريـة الوجدانيـة التـي تحصـر مصـدر المعرفـة الدينيـة بـالوحي والعقل.

((فالكائنات في عـالم الوجـود تنقسم الـى قسمين: كائنـات يمكـن ادراكهـا بـالحواس واقعـة فـي العـالم المحسـوس ، وأخـرى غيـر محسوسـة هـي عـالم الغيـب. وقـد ينفتح أمـام الانسـان طريقـاً نحـو عـالم الغيـب يمكـّنه مـن معرفـة بعض الحقائق الغيبية ، أي تكشف له بعض حقـائق عـالم الغيـب فيشـاهد تلـك الحقائق كما يشاهد حقائق العالم المحسوس ، بـل أوضـح وأوثـق. ويقـال لهـذه الحالة الكشف والشهود)).[٢]

---

(١) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر ، ص٩٦-٩٧.

(٢) الشـيرازي ، ناصـر مكـارم: نفحـات القـرآن ، مدرسـة الامـام علـي ، قـم ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ١٩٣.

((فالكشف هو رؤية الحقائق وانكشاف المعاني والمغيبات من خلال الإلهام والفيض الذي يلقى في قلب السالك عندما يقطع شوطاً كبيراً في مجاهدة النفس ويصل الى مرتبة متقدمة في مسيرته الروحية المرتكزة على تطهير القلب من الشواغل الحسية وتحليته بالفضائل ليصل الى مرحلة يغدو معها مصداقاً لقوله تعالى ((**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**))[١])).[٢]

والطريق الى بلوغ حالة الكشف والشهود تجريد الروح عن البدن وانقطاعها الى الله وتطهير النفس من المعاصي والوساوس بما يخلق عند الانسان ملكة نورانية تتراءى من خلالها الحقائق ((ان الروح الانساني اذا تجرد من البدن خرج عن وثاقه من بيت قالبه وموطن طبعه مهاجراً الى ربه لمشاهدة آياته الكبرى وتطهر من درن المعاصي واللذات والشهوات والوساوس العادية والتعلقات ولاح له نور المعرفة والايمان وملكوته الأعلى)).[٣]

ويرى الفيض الكاشاني ان المعرفة الحقيقية هي ما يصل اليه الانسان عن هذا الطريق وقد سمّي بالعلم اللدنّي الذي أشارت اليه الآية الشريفة ((**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**))[٤] وهو أفضل العلوم وأعلاها ، بل هو العلم حقيقة. وما عداه جهل...[٥].

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) الوافي ، م.س : ١ : ٩.

(٣) الشيرازي ، صدر الدين: الاسفار ،م. س : ٧: ٢٤.

(٤)الكهف: ٦٥.

(٥) (ظ) الوافي ، ١: ٩.

الأدلة على الكشف والشهود:

العرفان مسلك خاص لا يعتمد على العلم فقط ، بل العمل هو الأصل والأساس فيه. وعلى هذا الأساس يكون العلم حاصل العمل ، أي لابد من طي المراحل والانطلاق نحو السير والسلوك بغية الوصول الى معرفة الحقيقة.

ونرى هذا المعنى موجودا في بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن نوع من المعرفة لا يحصل من خلال الدرس والتجربة والتأملات الفلسفية ، بل عن طريق العمل بالشريعة والسير والسلوك نحو الحق تعالى ومنها قال تعالى ((**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ**))[١].

تحدثت الآية الشريفة بعد اشارتها الى جهاد ابراهيم ... ضد الشرك وعبادة الأصنام عن المنزلة الرفيعة لإيمانه ويقينه ، ومكافئة لهذه المكانة فإن الله أراه ملكوت السموات والأرض...فقد اطلع ابراهيم على سلطانه في السموات المتمثل بالكواكب والنجوم ، وسلطانه على الارض ما ظهر منها وما بطن ، وبما ان الانسان لا يمكنه رؤية هذه الحقائق بعينه الظاهرية واستدلالاته العقلية ، تدرك ان الله أراه هذه الحقائق عن طريق الشهود الباطني وازالة الحجب التي تحول دون مشاهدة الانسان الحقائق الغيبية.[٢]

وهذا ما ذكره الطباطبائي في اطار شرحه لهذه الآية الشريفة اذ قال ((ان الملكوت هي مجموعة الأمور التي لها ارتباط بالذات المقدسة الالهية

---

(١)الانعام: ٧٥.

(٢) (ظ) الشيرازي ، مكارم: نفحات القرآن ، ١٩٦-١٩٧.

من حيث انتمائها الى تلك الذات ، وهذا ما شاهده ابراهيم ، وعن هذا الطريق استطاع ان يصل الى التوحيد الخالص)).[١]

والروايات التي تطرقت الى الكشف والشهود هي الأخرى وصلت حسب علماء الحديث الى حد الاستفاضة.

ورد في الخبر ((ان ذعلب اليماني سأل أمير المؤمنين علي ...: هل رأيت ربك؟ فقال ...: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان)).[٢]

فالرواية تشير الى المعرفة الشهودية ، وإلا فالعلم البرهاني لا ينسجم والرؤية ، حيث يمكن رؤية المصداق وليس المفهوم ، ولاسيما بالالتفات الى قوله ...: رأته القلوب بحقائق الايمان التي تفيد امكانية الرؤية بالشهود الباطني الذي يمثل حقيقة الايمان. ولا يختص هذا الأمر بأفراد معينين ، بل لكل انسان بلوغ تلك الرؤية والمشاهدة عن طريق السير والسلوك وتهذيب النفس ، فهي مشاهدة باطنية وقلبية.[٣]

وان أدعية أهل البيت (عليهم السلام) هي الأخرى فاضت بالعبارات التي تعكس حقيقة الكشف والشهود الباطني في ادراك الحقائق ورؤيتها على ما هي عليه.

---

(١) الميزان: ٧: ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٩.

(٣) (ظ) ابراهيميان ، حسين: م.س: ١٢٥-١٢٦.

اشكالات على الكشف والشهود:

ان الاشكال الأساسي على الكشف والشهود واعتباره مصدراً من مصادر المعرفة انه يمثل وسيلة ذاتية من وسائل المعرفة وليست موضوعية ، فانه وعلى الرغم من انه لا يسعنا تكذيب العارف في ما يقوله وما ينكشف له ، بيد أننا لا نتمكن من التسليم بما يقوله وأخذه كنتيجة معرفية ثابتة ، لأننا لا نملك دليلاً على حجية قوله ، فيبقى الكشف حجة على صاحبه.

وبهذا الصدد يقول أحد الباحثين المعاصرين: ((مشكلة العارف انه يرى بقلبه ، أو يعيش الحقائق بقلبه...فليس هناك من حقائق يستطيع اثباتها للآخرين ، وليس هناك الزام للآخرين بمشاهدات العارف ، لأن اللغة الأساسية التي يؤمن بها العلم هي لغة العقل)).[١]

وعلى هذا الأساس سلخ بعض المفسرين العارفين المعاصرين حجية الكشف والشهود حتى عن صاحبها ما لم تقترن بالبرهان والرد الى السنة وكشف المعصوم فقال: ((ان شهود المعصومين (عليهم السلام) مصون من الزيادة والنقصان وينبغي ان يكون مرجعاً لتشخيص صحة وسقم شهود غير المعصومين ، كما ان الحكمة المتعالية والعرفان النظري ميزان جيد...ولهذا فإن الدخول الى ساحة العرفان الميمونة غير ميمون لغير المطلعين على أسس البرهان)).[٢]

والاشكالية الاخرى التي يمكن اثارتها تتمثل بوجود الكشف والشهود الواقعي الذي يحصل عن طريق الايمان واليقين ، والكشف الذي يحصل عبر الرياضات النفسانية والذي تفرزه التلقينات المكررة وانحراف الذهن

---

(١) الحيدري ، كمال: العرفان الشيعي: ١٦٠.

(٢) الاملي ، جوادي: نظرية المعرفة في القرآن: ٣٣٤-٣٣٥.

والفكر عن جادة الصواب ، بل ربما بسبب الالقاءات الشيطانية. وعندها لا يمكن تصديق كل من ادعى الكشف والشهود ، كما لا يمكننا اعتبار كل تمثل وكل نداء إلهياً واقعياً ، وذلك لأن هناك كشفاً شيطانياً.

وجاء في الرواية ((ان الامام علي ... مرّ بالحسن البصري ، فقال الحسن البصري...قتلت بالأمس أناساً مسلمين. فقال له ...: قد كان ما رأيت فما منعك ان تعين علينا عدونا. قال:..ناداني منادي ((يا حسن الى أين ارجع فإن القاتل والمقتول في النار))...قال ...: صدقت أفتدري من ذلك المنادي؟ قال: لا ، قال ...: ذلك أخوك ابليس)).[١]

وقد أشار القرآن الى مثل هذه النداءات واصفاً إياها بوحي الشياطين ، قال تعالى ((**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**))[٢].

ويرى أحد المفسرين المعاصرين ان ثمة معايير يمكن من خلالها التمييز بين المكاشفات الشيطانية والرحمانية وهي ((ان المكاشفات الرحمانية يقينية وقطعية تقترن بمستوى عال من الايمان واليقين والمعرفة والاخلاص والتوحيد والعمل الصالح ، بينما تفتقد المكاشفات الشيطانية هذه المواصفات...كما ان المكاشفات الحقيقية تتفق دائماً مع الكتاب والسنة ، وفي نفس الاتجاه الذي يتجه اليه كلام الله والمعصومين...ومحتوى المكاشفات

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج: ١: ٢٥٠.

(٢)الانعام: ١١٢.

الحقيقية يتفق دائماً مع العقل اتفاقاً كاملاً وتكون بعيدة عن الأمنيات والأوهام غير المعقولة)).[١]

والذي نخلص اليه مما سبق ان الكشف والشهود مصدر من مصادر المعرفة أيده العديد من الآيات القرآنية كقوله تعالى ((**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**))[٢] فالفؤاد أداة أخرى لا تنتمي الى الاجهزة الحسية كما هو الحال بالنسبة للسمع والبصر. وقد أشار القرآن الى نمط الادراك الذي يتم عبر الفؤاد فقال ((**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**))[٣]، حيث يعترف القرآن بوجود أداة شهود يسميها بالفؤاد.

وألزم القرآن الصدق في المعرفة بالبرهان ، فلا مجال لتكذيب المعرفة طالما وجد البرهان. قال تعالى ((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[٤] ومن الواضح ان البرهان يجب ان يكون حجة على الجميع ، وإلا لما كان ملزماً لأحد ، ولظلت القضية محصورة في الشخص دون ان تكون حجة على غيره.

وهكذا تختلف وسائل المعرفة ما بين المنهج العرفاني وسائر المناهج ، ففي حين تعد وسيلة المعرفة في العلوم الحسية والعقلية احدى القوى العاملة للنفس ، وهي قوة الذهن والعقل والحسن ، فإن المجاهدة والرياضة والسير والسلوك هي بحسب العرفاء الأداة الوحيدة التي توصل الى معرفة حقيقة

---

(١) الشيرازي ، مكارم: تفسير الأمثل ، مدرسة الامام علي ، قم ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ٧: ٢٦٧.

(٢)الاسراء: ٣٦.

(٣)النجم: ١١.

(٤)البقرة: ١١١.

الوجـود ، وقـد اتفقـت كلمـة العرفـاء علـى ان القلـب هـو الأداة الأساسـية فـي التوصل الى المعارف اليقينية. فالقلب هو محل الكشف والشهود والمرآة التي تتجلى على صفحتها معاني الغيب.

واذا كان العرفاء يعولون على الكشف والشهود في معرفة الحقائق فانهم يقرون بأن حجية هذا الكشف تقتصر على صاحبها ما لم تعضد بدليل العقل ؛ الأمر الذي ينفي أي تناقض بين العرفان والبرهان.

وان الكتـاب والسـنة والعقـل هـي المعـايير المعتمـدة لتمييـز المكاشـفات الحقيقية عن المكاشفات الشيطانية الوهمية.

الفصل الثاني

المنهج العرفاني وعلاقته بالمناهج الاخرى

١- منهج الرأي:

انفرد القرآن بمنهجه في طرح وإفادة معانيه ومفاهيمه ، فلا هو بمرونة أساليب كلام العامة، ولا بصعوبة تعابير الخاصة ، حيث جمع بين السهولة والامتناع ، فالقرآن سهل في التعبير والأداء يفهمه القريب والبعيد ، وهو في نفس الوقت ممتنع في الافادة بمبانيه الشامخة والأداء بمراميه الشاسعة ، ذلك لأنه جمع بين دلالة الظاهر وخفاء الباطن في ظاهر أنيق وباطن عميق.

وان للقرآن لغته الخاصة به ، شأن كل صاحب اصطلاح، فللقرآن اصطلاحه الخاص ، يستعمل ألفاظاً وتعابير في معان أرادها بالذات ، من غير ان يكون في اللغة أو في سائر الأعراف دليل يدل عليه ، لأنه من اصطلاحه الخاص ولا يعرف إلا من قبله ، ومن ثم كان القرآن ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض...وقد سلك القرآن في تعاليمه مسلكاً ينتفع به الجمهور ، ويخضع له العلماء ، فالجمهور يأخذون بظاهر الكلام...والعلماء يعرفون حقيقة الحال ، ويأخذون بلطائف الاشارات وظرائف الكنايات التي مثلت لهم الحقيقة في واقع الأمر.[١]

وفي ضوء ما ورد في القرآن الكريم من كنايات واشارات انطوت على كثير من الحقائق واللطائف جعلت من الضروري الاستعانة بالمنهج

---

(١) (ظ) معرفة ، محمد هادي: التفسير والمفسرون، م س : ١: ٨٩-٩٨.

العرفاني في التفسير بهدف الوقوف على جانب عظيم من حقائق القرآن ، شريطة ان لا يجري ذلك انطلاقاً من الذوق وبعيداً عن الضوابط والقواعد.[١]

والذي يبدو من جملة من التفاسير ان اغلب أصحابها ركزوا في تعاطيهم مع النصوص القرآنية على ظاهر القرآن وعلى التعابير التي أوردها سائر مفسري الظاهر على خلفية أمور كثيرة أبرزها ((غلبة أحكام الظاهر عليهم ، وقصور أفهامهم على ادراك بواطن القرآن وأسرار الآيات ، والحديث المشهور من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)).[٢]

وقد حظيت مسألة النهي عن التفسير بالرأي باهتمام جل المفسرين إن لم نقل جميعهم ، بفعل كثافة الاحاديث والروايات الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام ، وقد بلغت أحاديث النهي عن التفسير بالرأي حد التواتر عند الفريقين لتدلل بوضوح على المطلوب.[٣]

ويذهب أحد المفسرين العارفين المعاصرين أبعد من الدليل النقلي على النهي المذكور ليستدل عليه بالعديد من الآيات ومنها الآية الشريفة ((**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**))[٤] والآية ((**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**))[٥] وانها انها لا تقتصر على الدليل النقلي بشقيه القرآني والروائي ، بل هناك الدليل العقلي

---

(١) (ظ) مهر، حسين علوي ، روشها وكرايشهاي تفسيري ، انتشارات اسوه ، طهران ، ط١، ١٣٨١ش: ٢٣١.

(٢) معرفة: م.س: ١٠١.

(٣) (ظ) كسار ، جواد علي: م.س: ١: ١٨٢.

(٤)الاسراء: ٣٦.

(٥)الاعراف: ٢٨.

الذي يمنع من تفسير أي كلام ونسبة معناه الى متكلمه بالاستناد الى الرأي المحض ، من غير فرق بين الكلام الديني وغير الديني فضلاً عن ان يكون ذلك هو الكلام الالهي.[١]

((ان منهج التفسير بالرأي من المناهج المذمومة والمرفوضة في التفسير...والتي تؤدي الى الانحراف عن التفسير ، وبالتالي يكون مصيره جهنم كما ورد في الروايات. ولذلك فإن معرفة هذا المنهج التفسيري والاحتراز عن مصاديقه يحظيان بأهمية خاصة عند المفسرين...فهذا المنهج لا يكشف ولا يبين في الحقيقة المراد من آيات القرآن ، بل يبين نظر ورأي المفسر)).[٢]

ان النهي الوارد في تفسير القرآن بالرأي كما ورد في الحديث الشريف المتقدم ، لا يخلو إما ان يكون معناه ترك الاستنباط والاستقلال بالفهم والاقتصار على ظاهر المنقول أو معنى آخر ، والاول باطل لوجوه:

منها:((انه لو كان مشروطاً بالسماع والاسناد الى النبي ، فإن ما ينقل عن آراء المفسرين من الصحابة والتابعين لا يقبل لكونه تفسير بالرأي)).[٣]

ومنها: ((ان الصحابة قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه ، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي وقد دعا لابن عباس ((اللهم فقهه في

---

(١) (ظ) الاملي ، عبد الله جوادي: تفسير تسنيم: ٤٠.

(٢) الاصفهاني ، محمد علي: م.س: ٣٠٠.

(٣) بهشتي ، احمد: وحيانيت وعقلانيت عرفان ، م س :١٩١.

الدين وعلمه التأويل))[١] فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ، فما فائدة تخصيصه بذلك)).[٢]

ومنها: انه يفهم من قوله تعالى ((**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**))[٣] جواز فهم ما وراء السماع مما يكون مصداقاً للفظة الاستنباط...ولذلك يفهم من الآية جواز الاستنباط من القرآن لكل أحد على قدر فهمه وعلمه.[٤]

ومن هنا يخلص أحد العرفاء الى ان اغلب المفسرين من غير أصحاب المنهج الكشفي العرفاني داخلون في حدود النهي الوارد في الحديث ، وأما العارف الرباني فهو مأمون من الغلط معصوم عن معاصي القلب ، إذ كل ما يقوله حق وصدق حدثه قلبه عن ربه.[٥]

وعلى ضوء ما سبق ينزّل الغزالي(ت ٥٠٥هـ) النهي على احد وجهين انطلاقا من التمييز بين الاجتهاد الصحيح والرأي الفاسد وهما:[٦]

((الاول: ان يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه ، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ؛ بحيث لو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لما لاح له ذلك المعنى من القرآن.

---

(١) النوري ، حسين بن الشيخ محمد تقي بن علي : مستدرك الوسائل ٥٣٤/٣.

(٢) معرفة: م.س: ٦٠.

(٣) النساء: ٨٣.

(٤) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: مفاتيح الغيب ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٣: ١٥٠.

(٥) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: م.ن: ١٥٠.

(٦) احياء علوم الدين: م.س ، ١: ٢٩٢.

الثاني: ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل في المجالات التي ترتبط بغرائب القرآن)).

ويخلص الى ان المنهي عنه في الوجهين كليهما هو الثاني فيقول ((فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور ، فهو داخل في من فسّر القرآن برأيه)).[١]

أما المفسر المعاصر جوادي الاملي فقد حصر مقولة التفسير بالرأي بما يكون خلاف معايير الفهم العربي والاصول العقلية والخطوط الكلية العامة للقرآن.[٢]

ومن الواضح ان هذا الحصر يرجع مقولة التفسير بالرأي المنهي عنه الى الجهل ، على العكس مما لو استندت الممارسة التفسيرية الى مبادىء العلوم المحضة وقوانينها ؛ إذ ستكون في هذه الحالة اجتهاداً مشروعاً. ولذلك يرفض هذا العارف تحميل المفسر مسبقاته الذهنية واسقاطه لآرائه ومعتقداته ونزعاته الخاصة على التفسير ((لأن مثل هذه العملية تطبيق وليس تفسير ، وبالتالي فهي تفسير بالرأي منهي عنه)).[٣]

وضيّق السيد الخوئي دائرة الرأي المنهي عنه في التفسير ليقتصر به على نطاق الاحكام فقال ((ان معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الائمة عليهم السلام...فاذا عمل الانسان بالعموم أو الاطلاق

---

(١) احياء علوم الدين: ٢٩٢.

(٢) (ظ) تفسير تسنيم: م.س: ١: ٥٩.

(٣) تفسير تسنيم: م.س: ٦٠.

الوارد في الكتاب ، ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الائمة كان هذا من التفسير بالرأي)).[١]

ويعتقد العلامة الطباطبائي بتعدد وتشتت أقوال المفسرين في المراد من مقولة التفسير بالرأي ، فيفند تلك الاقوال جميعا ليخلص الى ان التفسير مقولة في المنهج وفي طبيعة الطريق والاسلوب الذي يعتمد في تفسير القرآن ، فاذا ما اعتمد المفسر الاسلوب الخاطىء هوى في محذور التفسير بالرأي ، وكان من الطبيعي ان يترتب على ذلك خطأ النتائج ، رغم اصابته للواقع أحياناً فقال بهذا الصدد ((التفسر بالرأي المنهي عنه أمر راجع الى طريق الكشف دون المكشوف)).[٢]

ومن الجدير بالذكر ان أحد كبار العرفاء المعاصرين نعى على الثقافة الاسلامية القرآنية انها حولت التفسير بالرأي الى حجاب كبير يحول دون الانفتاح على كتاب الله من جهتين ؛ الاولى تتمثل بعملية الخلط بين مقولة التفسير بالرأي المذمومة وبين عملية التمعن والتدبر بآيات القرآن والتفكر بها للتزود من مأدبة القرآن والاستزادة من عطاياه ومواهبه والتي تمثل حالة مشروعة تضع الانسان أمام أفق رحب من المعاني المتكثرة التي لا نهاية لها؛ والثانية عدم تحرير النزاع في تحديد المراد من التفسير بالرأي على نحو دقيق ، وما يؤدي اليه ذلك من خلط والتباس ، يفضي بدوره الى تبعات سلبية على علاقة الانسان بكتاب الله.[٣]

---

(١) البيان في تفسير القرآن ، : ٢٨٧.

(٢) الميزان: ٣: ٧٦.

(٣) (ظ) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، م س : ١٩٢.

والقرآن حسب رؤية هذا العارف يشتمل على العديد من المقاصد والمفسر من يشرح مقاصد القرآن ويكشف عن مكنوناتها ، ومن ثم فإن المفسر يكون مفسراً حين يفهمنا المقصد من النزول. وعلى هذا الضوء يخلص الى ان ((الاستفادات الاخلاقية والايمانية والعرفانية لا شأن لها بالتفسير أبداً ، فكيف بالتفسير بالرأي)).[١]

وفي ضوء ذلك يسعى هذا العارف لتضييق دائرة التفسير بالرأي المنهي عنه عبر اخراج ما يتوافق مع العلوم العقلية والموازين البرهانية عن نطاق هذه الدائرة. وهذا المدار يستوعب آيات المعارف دون آيات الاحكام التي لا دور فيها للعقل ، بل تؤخذ على سبيل التعبد المحض ((هنالك كلام في التفسير بالرأي ، إذ ربما لا يكون لهذا التفسير صلة بآيات المعارف والعلوم العقلية التي توافق الموازين البرهانية والآيات الاخلاقية مما للعقل فيه دخل...فلا يُعد ما يتطابق والبرهان تفسيراً بالرأي)).[٢]

ثم يواصل تضييقه لمساحة الرأي الممنوع وهو يضع محدداً آخر ، يتمثل ببعض الاستفادات العرفانية التي قامت عليها شواهد سمعية قرآنية وحديثية من هذه المساحة ليقول: ((ان جميع هذه المعارف واللطائف مستفادة من القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ولها شواهد سمعية ومن ثم لا يمكن نسبتها الى التفسير بالرأي)).[٣]

---

(١) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة: ١٩٩.

(٢) م.ن، ٢٠٠.

(٣) م .ن: ٣٤٧.

٢- المنهج الصوفي:

تنطوي التعاليم الاسلامية على سلسلة من المعارف الاعتقادية والاصول الاخلاقية والعملية التي تستمد منابعها الاصلية من القرآن الكريم لكونه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الينبوع الذي كان ولا يزال يروي الدين الاسلامي ، وقد تعددت وتنوعت على هذا الأساس مناهج تفسيره بغية فهم نصوصه ومعرفة حقائقه وأسراره ، فكان من بين تلك المناهج المنهج الصوفي.

والمنهج الصوفي في تفسير القرآن حسب أحد الباحثين المعاصرين ((ظهر على أثر الضعف الذي أصيبت به الاتجاهات العقلية والأثرية ، حيث لم يتم تقنين دور العقل وفعاليته في العمل التفسيري ، ولا الاستفادة المقننة من المأثور والمنقول في تكوين فهم أفضل للقرآن الكريم ورسالته. فاتجه بعض المفسرين الى الباطن وتجلياته لجبر بعض النقص والضعف الذي أصاب هذين الاتجاهين ، إلا ان المنهج الذي استعانوا به لفهم القرآن خلا – بشكل عام – من أي جهد نظري وتنظيري لدعم أسس المنهج المتبع ومرتكزاته)).[١]

ان نظرة سريعة الى التراث الاسلامي لتكشف بوضوح ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة مما عرف بالظاهر والباطن ، أو الشريعة والطريقة. حيث يمثل ((التصوف)) أو ((العرفان)) باطن هذه الشريعة على ضوء ما ورد في الحديث النبوي الشريف القائل ((الشريعة

---

(١) مصطفوي: محمد: أساسيات المنهج والخطاب ، م س : ٢١٧.

أقوالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة أحوالي))[١] فالشريعة علم والطريقة عمل والحقيقة هي الوصول الى الله.

وعلى ضوء هذا الحديث يعتقد العلامة الطباطبائي ان الشريعة المقدسة تبدأ بحركة نحو الكمال والمعنويات وتزكية النفس ، ومن خلال القيام بأحكام الشرع والطريقة والاخلاص ، والعبادة تكون بدايات السير والسلوك العرفانية ، وبدايات كشف الحقيقة.[٢]

ويعد المتصوف أو العارف ((الشريعة والطريقة والحقيقة)) مراتب للمعرفة وهي بالطبع مراتب للشرع سميت بـ ((الاسلام والايمان والايقان)) والانسان المؤمن عليه ان يقطع هذه المراحل ليقترب من الهدف النهائي. فالطريقة باطن الشريعة والحقيقة لقاء الله كما عبر القرآن ((**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا**))[٣]. واذا غلب ذكر الله على قلب الانسان ستحصل له المكاشفة ومشاهدة الحق ، وبذلك تنقشع عن قلبه سحب الحجب حتى يبلغ مقام الحضور فيرى العالم آيات الله ، ومن يصل الى مقام الكشف يرى الاسماء والصفات...والمراحل الثلاث التي يعتقد بها الصوفي انما يعبر عنها العارف بالتخلية والتحلية والتجلية ، والتخلية هي خلو الباطن من السوء ، والتحلية تحلي النفس بالصفات الحميدة والتجلية هي تجلي الخالق واشراق نور الحق في قلب السالك والعارف.[٤]

---

(١) النوري: مستدرك الوسائل ، م س ، كتاب الجهاد ، ح٨.

(٢) (ظ) مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي، ترجمة: جواد علي كسار ، مؤسسة ام القرى ، بيروت ، ط٢، ١٢١٨هـ : ١٩.

(٣) الكهف : ١١٠.

(٤) (ظ) الحيدري ، كمال: العرفان الشيعي ، م .س : ٢١٣-٢١٧.

((يعتمد الصوفي في منهجه التفسيري على التذوق الوجداني الذي يدركه في حالة استغراقه في الوجد والرياضة الروحية ، بضرب من الحدس النفسي والكشف الباطني والشهود القلبي من دون ربط ومناسبة مع ظاهر الآية. فهو يسعى الى تأييد آرائه بالقرآن باللجوء الى تفسيره تفسيراً باطنياً واستخراج معان لا يحتملها النص بحسب قانون اللغة العام)).[١]

في حين يتفق المنهج العرفاني الصحيح مع حقائق الشرع في الأخذ بظاهر القرآن والتعامل مع هذا الظاهر كطريق للوصول الى الباطن وانه الأصل الذي يمثل التنزيل ، مع هذا الفارق وهو ان لأصحاب هذا المنهج الى جانب الظاهر ((مذاقات عرفانية لا يسعهم اغفالها، لانها بمثابة واردات أو هواتف هي سانحات ملكوتية قدسية تفاض على القلوب الواعية...فذلك القلب له لغته كما ان للوضع لغته وللعقل لغته ، مع ان تلك الواردات والهواتف لها واقع مشروع أقره المأثور)).[٢]

وبخصوص اللغة فإن العرفاء يعتقدون بأن المعنى لا يوجد في النص ، بل خارجه ، حيث يستشعره الانسان بقلبه ، ولذلك تبدو اللغة عاجزة عن التوصل الى الحقيقة ، ولا يمكن لها وللمعارف المتصلة بها كالنحو والصرف والبلاغة ان تكشف عن وجه المعاني.

وذهب الباحث محمد علي الاصفهاني في اطار دفاعه عن المنهج العرفاني انه منهج يقر ما أورده المفسرون بخصوص الظاهر ، الا انه ((لا يقول بأن هذا التفسير الظاهري هو المقصود فقط ؛ لأنه تحديد لكلام الله غير المحدود ، فهناك شيء فوق ادراك العقل ، وهو القلب الذي يمتاز بذوق

---

(١) بابائي ، علي اكبر: مدارس التفسير الاسلامي، م .س : ٢: ١٠٩.

(٢) معرفة ، محمد هادي: م.س: ٩٣٩-٩٤٧.

خاص ، كالشخص الذي يأكل شيئاً لذيذاً ، ولكنه لا يستطيع ان يصف ذلك الشيء للآخرين ، فلغة القلب لا تحيط بها الالفاظ...)).[١]

بيد ان هذا التصور حول عجز اللغة عن ايصال المعنى دفع بأصحاب المنهج الصوفي للقول باللغة الرمزية أو لغة الاسرار ، لانه كلما اتسعت اللغة ضاقت العبارة. وعلى هذا الاساس يخلص اصحاب هذا المنهج الى ((ضرورة اختراع لغة مرنة ومطاطة قادرة على السعة والضيق حسب الرؤية والأفق الذي ينظر صاحبها من خلالها الى الحق والمعنى. ففسر بعض[٢] قوله تعالى ((**وَلاَ تَـأْكُلُوا أَمْـوَالَكُمْ بَيْـنَكُمْ بِالْبَاطِـلِ وَتُـدْلُوا بِهَـا إِلَـى الْحُكَّامِ**))[٣]: لا تأكلوا معارفكم ومعلوماتكم بباطل شهوات النفس ولذاتها ، بتحصيل مآربها، واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها ، وترسلوا الى حكام النفوس الأمارة بالسوء)).[٤]

والذي يبدو ان اعتقاد أصحاب المنهج الصوفي بعدم قدرة اللغة على الاحاطة بأبعاد الحقيقة المطلقة جعل تلك الحقائق تفقد فاعليتها وتأثيرها على المخاطب بعدما تنزلت في قوالب لغوية ؛ الأمر الذي دفعهم الى ما سموه بلغة الاشارة واستبدال النظام اللغوي الخاضع للقواعد والاصول والمفاهيم بالنظام الاشاري.

---

(١) مناهج التفسير واتجاهاته ، م. س : ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ابن عربي ، محيي الدين: تفسير القرآن الكريم ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ١: ١١٧.

(٣) البقرة: ١٨٨.

(٤) مصطفوي ، محمد: م.س: ٢٢٤.

واستناداً لما تقدم صنف أغلب المفسرين والباحثين المنهج الصوفي في تفسير القرآن ضمن مناهج التفسير بالرأي المذمومة ، بل أبعد من ذلك عدوا ((المنهج الصوفي من أوضح مصاديق التفسير بالرأي وأبرزها)).[١]

فالمفسر في المنهج الصوفي يبذل قصارى جهده في صرف الآية عن ظاهرها لاشارة خفية تظهر له وإن أمكن الجمع أحياناً بين ظاهر الآية وباطنها. وان ما يبدو للفهم من ظاهر القرآن ليس هو مراد الله حقيقة ، ولابد من السعي لاستكشاف الباطن ، والتفسير الصحيح للقرآن ينحصر في تبيين باطنه فقط ، بل أبعد من ذلك أن لا نتيجة من التمسك بالظاهر سوى العذاب.

ويقول أحد الباحثين المعاصرين بشأن نظريتهم هذه ((انهم استدلوا بالآية الشريفة ((**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**))[٢] التي تعني ان العمل بباطن القرآن الكريم يكون سبباً للرحمة ، أما التمسك بظاهره فلا نتيجة له غير العذاب ، وعلى هذا الأساس ، فالمهم هو فهم باطن القرآن الكريم ، والتفسير الصحيح هو تفسير باطنه)).[٣]

ويضيف هذا الباحث ((ولم نعثر على دليل آخر لهذه النظرية ، وأما ما يستدل به البعض من الروايات الدالة على اشتمال القرآن على الظاهر والباطن ، فإن هذه الروايات لا تدل على ان المراد من القرآن باطنه فقط ، بل تدل على ان المراد هو باطن القرآن وظاهره معاً)).[٤]

---

(١) حمية ، خنجر علي: مدخل الى التأويل الصوفي للقرآن، م.س : ٢٠٣.

(٢) الحديد: ١٣.

(٣) بابائي ، علي اكبر: م.س: ٢: ١١٧.

(٤) م.ن

أما المنهج العرفاني الصحيح في التفسير فهو المنهج الذي يجمع بين الظاهر والباطن ويؤكد على حقيقة التلازم بينهما ، وان الوصول الى حقائق القرآن وسبر أغواره لا يعني بأي شكل من الاشكال اهمال اللفظ وظاهر التفسير ، والظاهر حسب العرفاء عنوان الباطن والسبيل اليه ، ومن ثمّ فهو ليس نقيضاً لمعطيات ظواهر الكتاب وحقائق الشريعة.

فالعارف ينطلق في تفسيره العرفاني من ظاهر القرآن الذي يمثل باب بيت الباطن ((ومن أراد الدخول الى مدينة الباطن وسبر غور باطن القرآن عليه الولوج من باب الظاهر ، وإلا سيعتبر القرآن كتاباً صامتاً يستنطقه بما لديه من آراء وأفكار ، والحال ليس الأمر كذلك ، فالقرآن كتاب ناطق وهو الذي يحفز المفسر ويسوقه الى الوقوف على الحقائق)).[١]

والذي يبدو للبحث ان ثمة ضابطة لقبول منهج التفسير العرفاني تتبلور في أمرين ؛ الأول ضرورة اقتران الظاهر بالباطن بحيث لا يكون أي منهما بديلاً عن الآخر ومدعاة لاهماله، والثاني الأهم ان الباطن انما ينطلق من الظاهر وليس له ان يسقطه من عملية التفسير.

وعلى هذا الاساس شدّد الشيرازي النكير على اصحاب النزعة الباطنية البعيدة عن ظواهر القرآن ليصفهم بالقول ((الباطنية نصرانيّ هذه الامة)).[٢] كما ألف رسالة مستقلة سماها ((كسر أصنام الجاهلية)) في الرد

---

(١) بهشتي ، أحمد: وحيانيت وعقلانيت عرفان، م.س : ٥١.

(٢) صدر الدين: تفسير القرآن الكريم، م.س : ٤: ١٦٨.

علـى الصـوفية وهـو يصـفهم بالفجـار والمنـافقين وينعـتهم بـالحمق والجنـون والشقاء.[١]

((فالطريقة والحقيقة لا تحصل سوى من خلال الشريعة ، ويضل كل مـن يسـعى للوصـول الـى البـاطن بعيـداً عـن الظـاهر علـى طريقـة بعـض المتصوفة)).[٢]

مع ذلك فإن منهج العرفاء في تفسير القرآن يعرض بالذم لأصحاب النزعـة الظاهريـة الـذين يسـتغرقون فـي ظـاهر اللفـظ دون السـعي لتخطيـه والنفوذ الى الباطن ؛ الأمر الذي جعلهم ينكرون العديد من الحقائق بما فيها النبوة والولاية.

ومصداقاً لما سبق قال السيد الخميني ((ان أول من وقف على الظاهر وعمى قلبه عن حظ الباطن هو الشيطان اللعين ، حيث نظر الى ظاهر آدم... فاشتبه عليه الأمر وقال ((**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**))[٣] وأنا خير منه ، فإن النار خير من الطين ، ولم يلتفت ان جهله بباطن آدم ... والنظر الى ظاهره فحسب ، بلا نظر الى مقام نورانيته وروحانيته خروج عن مذهب البرهان ويجعل قياسه مغالطا عليلا)).[٤]

الا ان ذلك وحسب هذا العارف لا ينبغي ان يكون ذريعة للصدود عن الظاهر والاستخفاف به فربما وجدت هذه الدعوى تجاوباً من النفس يؤدي

---

(١) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: كسر أصنام الجاهلية ، كلية المعقول والمنقول ، طهران ، ١٣٤٩: ٣.

(٢) بهشتي: م.س: ٥١.

(٣) الاعراف: ١٢.

(٤) شرح دعاء السحر، م.س : ٩٥.

الى العزوف عن الظاهر ، والحال انها تلبيس شيطاني وتسويل نفساني ، وفي الاكثر هي كلمة حق يراد بها باطل فيقول بهذا الصدد:

((لا يذهبن بنور عقلك الشيطان ولا يلتبس عليك الأمر حتى تقع في الخذلان ، فإن الشيطان يوسوس في صدور الناس باختلاط الحق بالباطل والصحيح بالسقيم ، فربما يخرجك عن الصراط المستقيم بصورة صحيحة ومعنى سقيم ، فيقول: ان العلوم الظاهرية والأخذ بظاهر الكتب السماوية ليس بشيء وخروج عن الحق ، والعبارات القالبية والمناسك الصورية مجعولة للعوام كالأنعام وأهل الصورة وأصحاب القشور ، وأما اصحاب القلوب والمعارف فليس لهم إلا الأذكار القلبية والخواطر السرية التي هي بواطن المناسك ونهايتها وروح العبادات وغايتها...الى غير ذلك من التلبيسات والتسويلات)).[1]

وفي إدانة صريحة للنزعتين المتطرفتين ؛ نزعة اهمال الباطن وتضخيم الظاهر ، واهمال الظاهر وتضخيم الباطن يسجل هذا العارف صراحة أن النزعة الاولى تعطيل لعملية التفسير والنزعة الثانية ضلالة ، والصراط المستقيم هو الأخذ بظاهر القرآن واعتماده في الانطلاق صوب الباطن فيقول بهذا الخصوص:

((فمن تمسك بالظاهر ووقف على بابه قصُر وعطّل ، وترده الآيات والروايات المستفيضة الدالة على تحسين التدبر في آيات الله والتفكر في كتبه وكلماته والتعريض بالمعرض عنهما والاعتراض بالواقف على قشرهما ، ومن سلك طريق الباطن بلا نظر الى الظاهر ضلّ وأضّل عن الطريق المستقيم ، ومن أخذ الظاهر وتمسك به للوصول الى الحقائق ونظر الى

---

(١) شرح دعاء السحر، م.س: ٩٦.

المرآة لرؤية جمال المحبوب فقد هدي الى الصراط المستقيم ، وتلى الكتاب حق تلاوته)).[١]

فالنزعتان في الواقع إفراط وتفريط في التعاطي مع النص القرآني والمنهج الصحيح الذي يمثل الصراط المستقيم بالنسبة للمفسر يكمن في الانطلاق من الظاهر والباطن معا ، والتأدب بالآداب الصورية والمعنوية على سواء.

ثم يستطرد هذا العارف ملقيا باللائمة على الصوفية ومنهجهم التفسيري في التركيز على الباطن وانصرافهم عن ظاهر القرآن كونه لا يمثل أكثر من دعوات صورية ، لينتقد أهل الظاهر أيضاً كونهم اختزلوا القرآن على الآداب الصورية الظاهرية فقال: ((ينبغي لأهل الظاهر ان يعرفوا بأن قصر القرآن على الآداب الصورية الظاهرية ، وابعاده عن الاحكام العملية والاخلاقية ، والعقائد العامة في باب التوحيد والاسماء والصفات ، هو انكار لحق القرآن ورمي للشريعة الخاتمة بالنقص ، التي لا ينبغي أن يتصور ما هو أكمل منها وإلا كانت خاتميتها محالة في سنة العدل...وما دام القرآن خاتم الكتب النازلة وآخر آصرة تربط بين الخالق والمخلوق ، فينبغي ان يكون في حقائق التوحيد والتجريد والمعارف التي تعد المقصد الأساسي والغاية الذاتية للأديان والشرائع والكتب الالهية النازلة ، في المرتبة العليا وذروة الكمال)).[٢]

ثم ينعطف الى اهل الباطن قائلاً ((ينبغي لأهل الباطن ان يعلموا ان الوصول الى المقصد الأصلي والغاية الحقيقية لا يكون إلا بتطهير الظاهر

---

(١) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر، م.س : ٩٧.

(٢) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، م.س : ٢٩١.

والباطن ، ومن دون التثبت بالصورة والظاهر لا يمكن البلوغ الى اللب والباطن. وبدون التلبس بلباس ظاهر الشريعة لا يمكن العثور على طريق الى الباطن)).[١]

فلا يمكن سلوك أية طريق في المعارف القرآنية ، إلا ان ينطلق الانسان من ظاهر الشريعة، فان لم يتأدب الانسان بآداب الشريعة الحقة لا تتمثل فيه أي خصلة من الاخلاق الحسنة على وجه الحقيقة ، كما لا يشع في قلبه نور المعرفة الالهية ويغوص في العلم الباطن لتكشف له أسرار الشريعة.

والذي نخلص اليه مما سبق هو ان المنهج الصوفي يندرج ضمن التفسير بالرأي ، وانه منهج ظهر إثر الضعف الذي أصيبت به الاتجاهات العقلية والاثرية ، حيث اتجه المفسر عبر هذا المنهج الى الباطن وتجلياته لجبر بعض النقص، والضعف الذي أصاب هذين الاتجاهين.

فالمنهج الصوفي نزعة معرفية يرى ان الحقيقة تتصل بالحال والأحوال والقلب والوجدان ، دون القول والبيان ، والعقل والامعان.

ويرى المتصوفة ان المعنى لا يوجد في النص ، بل خارجه حيث يستشعر به الانسان في قلبه وباطنه وان اللغة عاجزة عن التوصل الى الحقيقة ، والحل يكمن في التصفية والتحلية والتخلية التي تؤدي الى المشاهدة والمكاشفة والعرفان والتي يعتمدها العرفاء أنفسهم أيضاً، غير انهم يتميزون عن المتصوفة بتمسكهم بظواهر الشريعة وظواهر الالفاظ القرآنية كونها الطريق الموصل الى الباطن.

---

(١) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، م.س : ٢٩١.

٣ـ معايير صحة المنهج العرفاني:

ان المعيار الواضح في تمييز التفسير بالرأي عن غيره ، إخضاعه لقواعد التفسير وضوابطه ، فإن كان المفسر ملتزماً بتلك القواعد ومستوفياً لشرائطها في عملية التفسير فهو تفسير سليم وليس رأياً شخصياً من المفسر ، وفي غير ذلك فإن التفسير يوسم بالتفسير بالرأي المنهي عنه.

والمعايير هذه تتضمن بعض الضوابط التي من شأنها الحيلولة دون وقوع المفسر في هوة التفسير بالرأي المنهي عنه ، حيث تستفاد هذه المعايير والضوابط من خلال تحليل أدلة التفسير بالرأي ، أما أهم هذه المعايير فيمكن خلاصتها في ما يأتي:

أولاً: الالتفات الى القرائن العقلية والنقلية في تفسير آيات القرآن الكريم.

فالقرائن النقلية تتطلب من المفسر ان يكون على علم ودراية ببيئة الوحي وأسباب النزول، ليكون على بصيرة من كتاب الله فيفهمه فهماً صحيحاً. ويتبنى اسلوب التفاهم بين أبناء البشر على انه اذا كانت هناك نقطة يريد المتكلم العاقل بيانها فإنه سيقرن بعباراته العادية ، ذكر المعارف البديهية والبراهين القاطعة البينة التي تتعلق بتلك النقطة ، بوصفها قرائن للتعبير عن مقاصده ، والمستمع بدوره سيفهم مقاصد المتكلم ، جاعلاً تلك المعارف والبراهين القطعية ، قرائن لكلام المتكلم...ولذلك ينبغي الاهتمام بالبديهيات العقلية والبراهين القاطعة ، عندما نحاول فهم الآيات القرآنية ، إذ لا قيمة لظهور الآيات دونها.[١]

---

(١) (ظ) رجبي ، محمود: بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، م.س : ١٥٧-١٥٨.

وعلى هذا الأساس نرى أغلب المفسرين يقوم بتفسير الآية بالرواية في حالة وجود رواية معتبرة ، وفي ضوء القرائن العقلية وظواهر الآيات اذا لم توجد رواية عن طريق المعصوم. والتفسير في هذه الحالة صحيح ومقبول ويبعد المفسر عن الوقوع في مقولة التفسير بالرأي.

ثانياً: عدم تحميل الآراء الشخصية والمذهبية على القرآن.

فالمفسر قد يحمّل القرآن ما لا تتحمله الآيات القرآنية وهذا ما سينتهي به لا محالة الى التفسير بالرأي. ومن أبرز مصاديق ذلك حمل النظريات غير المبرهنة على القرآن ، وحمل العقائد الشخصية على القرآن من دون وجود أي مناسبة مع ظاهر الآيات القرآنية ، الى جانب إبداء الآراء الشخصية ، بدلاً من التفسير ونسبتها الى الله تبارك وتعالى والتعاطي مع القرآن على أساس هوى النفس.

ثالثاً: تفسير القرآن من ذوي الاختصاص.[١]

فالعملية التفسيرية لابد ان تتم عن طريق أفراد متخصصين على غرار سائر الاعمال التخصصية ، بحيث يكون المفسر عارفاً بالمصادر والضوابط وشروط التفسير ، وبخلافه فإن التفسير سيكون خاطئاً وتفسيراً بالرأي وإن كان صحيحاً.

والذي نخلص اليه مما سبق ان منهج التفسير بالرأي منهج مذموم ينبغي معرفته بغية عدم الوقوع فيه ، وقد وردت في ذمه والنهي عنه العديد من الآيات والروايات كما تبين من آراء العلماء والمفسرين ان معنى الرأي هو

---

(١) (ظ) الرضائي ، محمد علي: مناهج التفسير واتجاهاته ، م.س : ٣٣٩-٣٤١.

التفسير من دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية ، أو تحميل المفسر رأيه الشخصي على القرآن ، وعدم توافر الشروط اللازمة لدى المفسر.

وتبين ان منهج التفسير بالرأي قد يرجع الى شخص المفسر وذلك لعدم توفر الشروط فيه، أو الى المنهج لعدم الرجوع الى الضوابط والمعايير التي تقود الى التفسير الصحيح.

وخلص البحث الى ان ما يستفيده الانسان من معطيات أخلاقية وعرفانية من آيات القرآن هي ليست من ضمن مقولة التفسير بالرأي ، وكذا الافكار واللطائف اذا كانت مستمدة من القرآن والحديث ، وما قام عليه الدليل في الامور المستوحاة من القرآن، من البرهان العقلي أو العرفاني ، وكذلك ما لم يجزم المفسر بأن المراد هو ما ذكره دون سواه ، بل يسوق ما يصل اليه بوصفه وجهاً من الوجوه ، وهذه هي طريقة أغلب العرفاء في تفاسيرهم حذراً من السقوط في مقولة التفسير بالرأي.

٤- المنهج العقلي:

ان المراد من منهج التفسير العقلي ، هو الاستفادة من ادوات البرهان والقرائن العقلية ، على حين هناك من يذهب الى ان التفسير العقلي ، هو الاستفادة من الفكر في جمع الايات والاحاديث ن وهناك من عد كلا القسمين من اقسام التفسير العقلي.

ولايرى العرفاء تنافياً بين طريق الكشف والشهود وطريقي الوحي والعقل ، بل يرون أن ثمة تكاملاً بين هذا وذاك ، وان بلوغ الحقائق ونيل الواقعيات يمكن الوصول اليه من خلال الطرق الثلاثة:

١- طريق ظاهر النصوص والبيانات الدينية حيث تحفظ الحقائق في لفافة الدعوة البسيطة.

٢- طريق الاستدلال العقلي الذي يقوم على المنطق الفكري وهذا هو طريق التفكير الفلسفي.

٣- طريق تصفية النفس والمجاهدات الدينية وهذا هو طريق العرفان.[١]

وقد اضطلع جملة من العرفاء بمهمة التوفيق بين الطرق الثلاثة عندما يتبدى أو يظهر شيء من التعارض بينها.[٢]

هنالك جدل دائر بين المفكرين سواءً في الغرب أم الشرق بخصوص الحصول على المعارف وامكانية الركون الى غير الحس والتجربة.

---

(١) (ظ) الخشن ، حسين: تأملات في المنهج المعرفي لدى العرفاء ن جريدة بينات ، العدد ٢٦٧.

(٢) (ظ) الطباطبائي ، محمد حسين: الشيعة ، نص الحوار مع كوربان ، ١٠٤.

يؤمن الماديون بتعذر الاعتماد على ما سوى الحس والتجربة في الوصول الى المعارف ، أي ان الانسان يؤمن بالشيء الذي يكون محسوساً أو مستنبطاً من خلال تكرار الاحساس به وهو التجربة ، وما عدا ذلك فهو أمر خرافي ولا يمكن الاعتقاد به.

ويعتقد الالهيون انه يمكن قبول الأمور المحسوسة الخاضعة للتجربة ، كذلك يمكن الاعتقاد بالأمور الخارجة عن نطاق الحس ، عن طريق البراهين والبحوث العقلية ، بل انهم يعدون البراهين العقلية وحدها طريق المعرفة ، وذلك لأن قيمة التجربة نفسها انما تثبت بالبراهين العقلية(١).

أما العرفاء فلا يرون طرائق المعرفة مقتصرة على الحس والتجربة والبراهين والبحوث العقلية ، بل يؤمنون بطريق آخر يحصل عبر التهذيب. يقول أحد العلماء المعاصرين بهذا الخصوص ان ((الاصول التي يتبناها المادي في نظرته الكونية للعالم ، تفرض عليه ان لا يعتقد إلا بأداتين من أدوات المعرفة: العقل والحس وما يعتمد عليه من تمثيل واستقراء وتجربة. وأما الالهي فيعتقد ان هناك وراء هذه الادوات ، أداة أخرى ، يتجهز بها عدة ممن طهرت قلوبهم وصفت أذهانهم ، وصقلت نفوسهم ، فاستعدوا لتلقي المعارف من عالم الغيب ، وما وراء الحس والشهود...هناك شهادة وهناك غيب ، ويمكن للانسان ان يتصل بعالم الغيب ، ويقف على أشياء لا يقف عليها بحسه ولا بعقله ، وليس حقيقة هذا الوقوف إلا إفاضة المعاني

---

(١)(ظ) الاملي، عبدالله جوادي:زن در اينه عرفان، م٠س، ص١٣٦

والحقائق والصور من ذلك العالم على نفس العارف السالك المطهر من درن المعاصي ورذائل الأوصاف)).[١]

ولما كان العارفون يركزون على منهج الكشف والشهود في معرفة حقائق القرآن ويوردون بعض العبارات بشأن العقل والبرهان والتي ربما تشم منها رائحة الاقصاء والتهميش فإن العديد من الباحثين ترددوا في التعامل مع هذا المنهج ذاهبين الى اعتباره ضرباً من الخيال وحتى تفسيراً بالرأي.

ان انتقاد العرفاء للعقل لا يعني رفضه ، بل يرون له حدوداً معرفية لا يسعه تجاوزها ((فالعارف يريد ان يصل الى الحقيقة ، لكنه يجد ان العقل قاصر عن ذلك لسببين: الأول ان العقل عرضة للوقوع في الاشتباه والخطأ ، والدليل على ذلك تباين النتائج التي ينتهي اليها الفلاسفة برغم اعتمادهم جميعاً على العقل ، والثاني محدودية العقل ، ذلك ان العقل بما هو أداة معرفية عاجز عن الوصول الى الحقائق الموغلة في الغيب ، وقاصر عن اختراق الحجب ، وان قدرة العقل في الوصول الى الحقائق الكونية قدرة مقيدة لا تسمح له في أحسن الاحوال ، تجاوز منتصف الطريق الذي يسلكه العارف باتجاه الحقيقة)).[٢]

بالمقابل فإن الفيلسوف يريد ان يصل الى الحقيقة أيضاً ، ولا يجد وسيلة أفضل من العقل ، باعتبار ان ميزة العقل المعرفية هي اتصافه بالحجية ،

---

(١) السبحاني ، جعفر: نظرية المعرفة ، دار الولاية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ١٧٩.

(٢) فياض ، حبيب: مقاربات في فهم الدين ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ٩٤-٩٥.

ولديه قابلية البرهنة والاقناع ((فالعقل عندما يصل الى حقيقة ما ، لديه قدرة اثباتها للآخرين ، بخلاف طريقة السير والسلوك التي لا تشكل المفضيات المعرفية التي تنتهي اليها حجة إلا على صاحبها...)).[١]

يقول أحد الاعلام بخصوص الطور العرفاني والطور العقلي ومدى ارتباط العرفان بالعقل ((لقد إلتبس الأمر على البعض فظن ان الكلمة التي يستخدمها بعض المحققين لتبيين الفارق بين طور العقل وطور العرفان بقوله ان العرفان طور فوق طور العقل جعلته يتخيل بأن المقصود منه ان العرفان أمر فوق العقل بالنحو الذي لا شأن للعقل في اثباته وتقييمه. ان هذه الكلمة تريد القول بأن الشهود العرفاني معرفة تختلف عن المعرفة التي يتم تحصيلها من خلال ترتيب المقدمات العقلية لبلوغ النتائج. وهذا الاختلاف هو في الشدة والضعف. ان ترتيب المقدمات لبلوغ النتائج معرفة غيابية وليست شهودية ، بينما العرفان شهود ، ومن هنا فإن الطور العرفاني أعلى من الطور العقلي في ميدان المعرفة...فالعلو في طبيعة الأمر المدرك من جهة شدة وضوحه ، وليس في العبارة أي تقليل من شأن العقل)).[٢]

فالعقل يمثل دور المرجع ، لأنه هو الذي يفسر النصوص ، ومن خلاله يتم فهمها ومحاكمتها ، بل هو أساس حجتها ، وهو الذي يفرض الايمان بالأنبياء والرسل ، كما ويعد المرجع في ضبط إيقاع أهل الكشف والشهود.

---

(١) فياض ، حبيب: الاتجاهات العقلية في الفكر الاسلامي ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ١١-١٢.

(٢) اللواتي ، محمد رضا: العرفان الاسلامي ، الخطوط العامة في المنهج ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ٢٠١١م ، ٣٩.

ويقول أحد الباحثين المعاصرين بخصوص مرجعية العقل التي نص عليها الكتاب والسنة: ((ان القرآن الكريم استخدم الاستدلالات العقلية في أمهات القضايا العقدية ، وتكررت دعوته الى التأمل والتفكر ، كما ذم الذين لا يستخدمون عقولهم ولا يزنون القضايا وفق ميزان العقل ، قال تعالى ((**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**))[١]...فالعقل ميزان القلب وإمامه ، كما انه إمام في تفسير مطلق النص)).[٢]

جدير بالذكر أن ثمة توافقا وتكاملا بين المعرفة والشهودية والعقلية ، وان معرفة الله لا تختزل بالمعرفة العقلية والفكرية ، بل المراتب العليا من معرفة الله كامنة في المعرفة القلبية وان بإمكان الانسان ((ان يظفر بحقائق وأسرار يعجز العقل عن بلوغها وسير أغوارها)).[٣]

فالمنهج العرفاني ينطلق من حقيقة انه لا طريق لمعرفة الله إلا من خلال تصفية القلب وتزكيته بواسطة الرياضات المعنوية التي أقرها الشارع المقدس ((وأما كيفية تحصيل العلوم الحقيقية فهي في غاية السهولة ، لأنها موقوفة على فراغ القلب وصفاء الباطن)).[٤]

وعلى الرغم ما سبق الا ان الاتجاه العرفاني الصحيح وإن كان يعتقد بتفسير الوجود ونظامه وتجلياته على أسس المكاشفة والشهود ، لكنه لا يرفض اسلوب الاستدلال العقلي ، بل يسمح له في حدود معينة لعدم قدرته

---

(١)الانفال: ٢٢.

(٢) الخشن ، حسين: المنهج التكاملي في البناء العقائدي ، جريدة بينات ، ٢٦٧.

(٣) كبير ، يحيى: فلسفة وحي الهي ، قم ، مطبوعات ديني ، ط٢ ، ١٣٨٨ ، ٧٩.

(٤) الحيدري ، كمال: شرح الاسفار الاربعة ، قم ، دار فراقد ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ١: ٧٠.

على نيل ما وراء ذلك. ولا يستغني العارف عن الاسلوب العقلي في اثبات ما يناله من كشف وشهود وحقائق يروم عرضها على الآخرين ، وإلا لبقيت تلك المكاشفات في دائرة المزاعم والادعاءات التي ليس لها دليل قطعي يؤيدها أو يثبتها ، فلا تكون حجة على غيره.

ومن هنا يقول السيد كمال الحيدري بخصوص المدرسة العرفانية الحقة انها تمنح العقل دوره في المعرفة الى جانب الكشف بغية الوصول الى الحقيقة ((فالمدرسة العرفانية تعطي العقل والاستدلال البرهاني موقعه الخاص به ، لكنها لا تكتفي بالعقل وحده في ادراك الحقائق ، بل تحاول الاستعانة بالعقل والكشف معاً للوصول الى الكمال المطلوب ، فكل واحد منهما يعين الآخر للوصول الى الحقائق ومعرفتها)).[١]

واستنادا لذلك ورد الذم لاولئك الذين اقتصروا على مجرد الذوق والوجدان ، ورفضوا البحث والبرهان ، لأن ديدن الصوفية الاقتصار على مجرد الذوق والوجدان وعدم الالتفات الى العقل والبرهان.[٢]

يقول العارف زادة آملي بخصوص التلازم بين العرفان والبرهان ، أو الكشف والشهود والعقل ((إياك ان تظن بفطانتك البتراء ان مقاصد هؤلاء القوم من أكابر العرفاء واصطلاحاتهم وكلماتهم المرموزة خالية عن البرهان. من قبيل المجازفات التخمينية أو التخيلات الشعرية ، حاشاهم عن ذلك ، وعدم تطبيق كلامهم على القوانين الصحيحة البرهانية...ورتبة المكاشفة فوق رتبة البراهين في إفادة اليقين ، بل البرهان هو سبيل المشاهدة في الاشياء التي يكون لها سبب ، إذ السبب برهان على ذي السبب ، وقد

---

(١) شرح الاسفار الاربعة ، قم ، دار فراقد ، ط١ ، ٢٠٠٨م: ٨٦.

(٢) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: الاسفار الاربعة ، م.س : ١: ١١.

تقرر ان العلم اليقيني بذوات الاسباب لا يحصل إلا من جهة العلم بأسبابها فاذا كان هذا هكذا فكيف يسوغ كون مقتضى البرهان مخالفاً للمشاهدة...فالبرهان الحقيقي لا يخالف قط الشهود الكشفي)).[١]

وبالنتيجة فإن المنهج العرفاني الحق هو المنهج الذي لا يكتفي بأحد الطريقين دون الآخر ، بل نجده يذم القائلين بالاستغناء بأحدهما عن الآخر ، مع تركيزه على ان المعرفة المدركة بالكشف والشهود تفوق بمراتب تلك المدركة بواسطة العقل.

وبهذا الصدد يقول صدر الدين الشيرازي: ((ان كثيراً من المنتسبين الى العلم ينكرون العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه السالكون والعرفاء وهو أقوى وأحكم من سائر العلوم)).[٢]

فالدائرة التي يقول فيها العقل كلمته ، تختلف عن تلك التي يقول فيها العرفان والكشف مقولته ، وليس أحدهما في عرض الآخر ليقع التنافي والتناقض بينهما ، وإنما يأتي دور الكشف حيث ينتهي دور العقل ((ان بعض أسرار الدين وأطوار الشرع المبين بلغ الى حد ما هو خارج عن طور العقل الفكري ، وإنما يعرف بطور الولاية والنبوة ، ونسبة طور العقل ونوره الى طور الولاية ونورها ، كنسبة نور الحس الى الفكر ، فليس لميزان الفكر كثير فائدة وتصرف هناك)).[٣]

---

(١) قران وبرهان وعرفان ، قم ، اسراء ، ١٣٨٢ ، ط١ : ١٢٢.

(٢) الاسفار الاربعة ، م.س : ١٤٢.

(٣) الشيرازي ، صدر الدين: مفاتيح الغيب ، طهران ، مكتبة المحمودي ، ط١ ، ١٣٩١ ، ٢٨٣.

ويعلق أحد الباحثين على هذا الكلام بالقول: ((ان مراده من طور الولاية هو المكاشفة والعيان ، فهو لا يخطىء العقل فيما يصل اليه ، ولكن يعتقد ان له حداً يقف عنده الاستدلال والبرهان...فالعقل يمكنه ان يتقدم لاكتشاف حقائق الوجود الى حد معين لا يستطيع تجاوزه بعد ذلك ، لقصوره عن ادراك ما وراء ذلك الحد ، وهنا يبدأ دور المكاشفة والشهود)).[١]

وعلى هذا الاساس لا يقع أي تصادم أو تعارض بين العقل وقدرته على معرفة الحقيقة ، والشهود وقدرته على اكتناهها ؛ لأن المكاشفة تبدأ من حيث ينتهي دور العقل ، فهي في طولها لا في عرضها فلا تنافي بينهما ، وهذا معنى ما ذهب اليه بعض العرفاء ((ان المكاشفة طور وراء طور العقل))[٢] وليس المراد ان المكاشفة تقول شيئاً يتنافى مع أحكام العقل الصريح ، بل يشاهد العارف حقائق لا يستطيع نيلها العقل.

ما تجدر الاشارة اليه ان هناك اتجاهاً متطرفاً ينكر أي دور للاستدلالات العقلية في مجال الكشف عن الحقائق الوجودية ، وهذا ما يظهر من خلال كلمات العرفاء الذين يعتمدون الباطن.

قال حيدرالاملي بهذا الخصوص: ((ان النفع من العلوم هو تحصيل معرفة الله على سبيل اليقين ومعرفة الاشياء – على ما هي عليه – التي هي أيضاً من معرفة الله تعالى ، لأن من عرف الاشياء على ما هي عليه ، عرف الله على ما هو عليه ، ومن عرف الله على ما هو عليه ، عرف الاشياء على ما

---

(١) الحيدري ، كمال: شرح كتاب الاسفار الاربعة ، م.س : ١: ١١٠.

(٢) القيصري ، شرح نصوص الحكم لابن عربي ، منشورات بيدار ، قم ، ط١ ، ١٣٩٧ ، ٣٠٤.

هي عليه ؛ لاستحالة انفكاك كل واحد منهما عن الآخر ، وكلاهما مستحيل من العلوم الرسمية)).[١]

ويضيف أيضاً ((والغرض اظهار رداءة العلوم الرسمية ونفاسة العلوم الحقيقية وشرف أهلها وحسنها ؛ لينظر العاقل فيهما ويختار ما هو مناسب لحاله منهما)).[٢]

ويبدو هذا الاتجاه مذموماً كونه يتنكر جملة وتفصيلا لدور العقل الذي ورد الحديث عنه بصورة مستفيضة في العديد من الآيات القرآنية والاحاديث والروايات. فالآية القرآنية الشريفة ((**لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**))[٣] تشير صراحة الى ان التمرد على العقل بصفته الحجة الباطنية على غرار التمرد على أوامر المعصومين وعدم طاعة تعاليمهم لا يؤدي سوى الى الضلال ، ومن ثمّ الخلود في نار جهنم.[٤]

ومن هنا تتبلور العلاقة بين العرفان والعقل ، إذ أن العارف يحتاج لا محالة المنهج العقلي في سبيل تجاوز الذاتية ، وتحويل مشاهداته الى معرفة جمعية ، على حين يحتاج المنهج العقلي الى الأخذ بالنتاجات التي يفضي اليها المنهج الشهودي في سبيل الكشف عن حقائق فوق عقلية سيظل عاجزاً عن ادراكها بمعزل عن الشهود.[٥]

---

(١) جامع الاسرار ، شركة المنشورات العلمية والثقافية ، ٤٧٢.

(٢) م.ن: ٤٩٨.

(٣)الملك: ١٠.

(٤) (ظ): شهركي ، حبيب الله: عقل از نظر قرآن ، قم ، دفتر تبليغات اسلامي ، ط١ ، ١٣٨٧ ، ١١٤.

(٥) (ظ)فياض ، حبيب: مقاربات في فهم الدين ، م.س : ٨٨.

وجدير ذكره انه لابد من التمييز بين نمطين من المعرفة العرفانية في سياق علاقتها بالمعرفة العقلية ، إذ ثمة حقائق يشهدها العارف ويستمدها من العالم العلوي قابلة للعقلنة ، ويمكن تحويلها من معاينات مشهودة الى حقائق معقولة ، على حين هناك حقائق مستمدة من العالم ذاته لا سبيل الى معقوليتها ، تبقى داخل الفضاء العرفاني ، لاقتصار طبيعتها وطريقة ادراكها على السير والسلوك والمكاشفة.

وعن طريق العقل يمتاز العارف عن الصوفي إذ يستطيع أن يتجاوز اشكالية الشطح وعدم التوازن التي يتهم بها في حال نقله لمشاهداته كما هي ، ومن دون إمرارها في قناة العقل.

وقيل بهذا الخصوص: ((الاستدلالات العقلية تشبه أموراً كتبت بلسان ما ، ثم تجري قراءتها باللسان الأصلي نفسه ، ولكن الاستدلالات العرفانية تشبه أموراً تجري ترجمتها بلسان آخر ولغة أخرى ، بمعنى ان العارف ، على الأقل بحسب ادعائه ، يوضح بلسان العقل ما رآه بعين قلبه وشهده بكل وجوده)).[١]

وعلى هذا الأساس نخلص الى القول بأن التداخل بين العرفان والعقل يأخذ منحى تكاملياً انطلاقاً من أرضية معرفية مشتركة رغم التباين بينهما على صعيد الحدود والمنهج ؛ فالمنهج العقلي طريقة في التفكير من أجل ادراك المطلوب ، على حين عند العارف طريقة في الوصول الى المقصد.

((فالعقل هو المكون الاساس في المنهج العقلي ، فيما يعتبر القلب المكون الاساسي في المنهج العرفاني ، فالأول يتبع طريقة بحثية ، في حين

---

(١) المطهري ، مرتضى: الكلام والعرفان ، م.س : ٧١.

ان العارف مريد ومحب ، الاول يريد ان يعقل ويفهم والثاني يريد ان يصل ويشاهد)).[١]

ونخلص مما سبق الى ان دائرة العقل والمنهج العقلي في تفسير القرآن الكريم تختلف عن دائرة العرفان الذي يستند الى السير والسلوك والمكاشفة والمعاينة والشهود ، وان ليس هنالك من تضاد بينهما سوى ان للعقل مساحة لا يمكنه تجاوزها ، وهنا يأتي دور العرفان ، والعرفان لا يخطىء العقل في ما يصل اليه ، لكنه يعتقد بأن له حداً يقف عنده الاستدلال والبرهان. والعديد من المكاشفات العرفانية تبقى في اطار المعرفة الذاتية لولا العقل وعبر ما يقدمه من أدلة وبراهين تمنح تلك المكاشفات الحجية.

(١) فياض ، حبيب: الاتجاهات العقلية في الفكر الاسلامي ، م.س : ١١-١٢.

الفصل الثالث
الفهم العرفاني للنص القرآني

ـ مستويات النص القرآني:

لا يزال النص القرآني كمرجع اعلى للمسلمين يحتفظ بحيوية خاصة، ولا يعودالسر في تنوع التفاسير من اجتماعية واعتقادية وفكرية وعقلية، او الاستظهارات من عرفية عامة ودقية عقلية وظاهروباطن، الا لخصوصية هذا النص في كونه نصا خالدا يقرا على مدى الاجيال ومن مختلف الاتجاهات.

والقراءة العرفانية للنص القرآني هي واحدة من تلك التي راجت بعد نشوء مدرسة العرفان وقد سعت هذه المدرسة للوصول الى قراءة للنص القرآني تعتمد على الكشف والشهود سبيلا للوصول الى معرفة حقائق القرآن واستكشاف كنه ما يريده.

لم يكتف القرآن الكريم باسلوب واحد في نصوصه في الكشف عن مضامينه المعرفية وعرض حقائقه وأسراره بقدر ما اتسم به من طابع إيضاحي قريب من الذهن والفهم العام، ومن هنا كانت آياته هدى وتبياناً وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس جميعا. مع ذلك ضمّن عرضه لذلك درجات من العمق ومستويات متفاوتة للفهم ، حيث تستطيع بعض هذه الأفهام إدراك بعض هذا التفاوت المعرفي ، على حين يمكن للبعض الآخر ادراك ذلك كله اذا ما وفق للوقوف على كافة أبعاده المعرفية المختلفة.

وقد تظافرت جملة من النصوص الروائية التي بينت هذه الحقيقة القرآنية ، ومنها ما روي عن الامام الصادق ... أنه قال: ((كتاب الله

عزوجل على أربعة أشياء: على العبارة ، والاشارة ، واللطائف ، والحقائق. فالعبـارة للعـوام ، والاشـارة للخـواص ، واللطـائف للأوليـاء ، والحقـائق للأنبياء))[1].

والرواية تشير الى إمكانية قراءة النصوص القرآنية وتفسيرها معرفياً وفق أربعة مستويات، كالآتي(2):

*** المستوى الاول:**

ان القراءة في هذا المستوى لا تتجاوز ظواهر النصوص القرآنية ومعاني الالفاظ ، وبالتالي لا يتجاوز مداها المعرفي المصاديق في عالم الحس ، وهي المرتبة القرآنية المختصة بالعوام الذين يقتصر إدراكهم ومبلغ فهمهم على المحسوس ، أي بعبارة أخرى ان إدراكهم محصور في هذا المستوى.

*** المستوى الثاني:**

تتطلب القراءة في هذا المستوى نوعاً من الذكاء الحاد والنظرة العقلية الثاقبة التي يسعها النفوذ الى ما هو خاف بين سطور ظاهر النص ، وتختص هذه المرتبة من الفهم بأولئك الذين توجهوا الى الآخرة حتى اقتدحت في قلوبهم نفحات معرفية وومضات اشراقية محددة بفعل اشتغالهم باصلاح وتطهير ذواتهم ، ولكن من دون ان يجلوا عالم الغيب ويشاهدوا الحقائق الجمة الماثلة وراء النص القرآني.

---

(١) المجلسي: بحار الانوار ، م.س: كتاب القرآن ، باب ان للقرآن ظهرا وبطنا ، ح٨١ ، ٩٢: ١٠٣.

(2)(ظ) الحسن، طلال: المنهج التفسيري، ط٢،دار فرائد، إيران، قم، ٢٠١٠، ١٩٣.

*** المستوى الثالث:**

وهي المرتبة الخاصة بأولئك الذين غادروا القيود والحدود والعبودية والتبعية لعالم المادة، فلم تعد أنفسهم محكومة للمادة ، فلطفت أنفسهم وخلت سرائرهم من التبعات ، فصارت لهم الولاية والقدرة على الهداية ، وهذه رتبة العرفاء والأولياء.

((جدير بالذكر ان اللطائف منها ما هو نظري ومنها ما هو قلبي شهودي. فأما اللطائف النظرية العقلية فانها كانت تمثل مرتبة معرفية رفيعة ، إلا انها لا تخرج عن دائرة العلوم الحصولية))(١).

وأما اللطائف القلبية فانها تمثل مستوى عالياً ورفيعاً من الكشف الشهودي لمجموعة من الحقائق القرآنية في مراتبها المتوسطة.

بعبارة أخرى ان اللطائف العقلية تحدد المصداق للنص القرآني ولكن في دائرة عالم المفاهيم لا الوجود الخارجي ، وأما اللطائف القلبية فانها تحدد مصداق النص خارجاً وتقف عليه ، ولكن ضمن دائرة محدودة أيضاً لا مطلقة فهي قراءة محدودة في عالم الغيب والحقائق.

*** المستوى الرابع:**

المرتبة الرابعة للنص القرآني والتي عبرت عنها الرواية بالحقائق ، فانها تعني تمامية القراءة والوقوف على المصاديق الخارجية التامة للنص ، وهو مقام الانبياء عليهم السلام وورثتهم. والذي بلغ ذروة هذه المرتبة خاتم

---

(١)أحمد بهشتي: وحيانيت وعقلانيت عرفان، م٠س،ص٧٩س

الانبيـاء والمرسـلين ((**ثُـمَّ دَنَـا فَتَـدَلَّى*فَكَـانَ قَـابَ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَـى**))[١]. وورثته الاولياء الكاملون عليهم سلام الله ، حيث يكون لهم من المكنـة القلبيـة مـا بـه يجمعون بـين عـالمي الوحـدة (الخـالق) والكثـرة (المخلـوق) فينظـرون بعينين صحيحتين ، فيرون الوحدة في عين الكثرة والكثرة فـي عين الوحـدة والتـي تعنـي حسـب اصـطلاحات المدرسـة العرفانيـة انهـم مصـداق الوجـود المتفرد وشؤونه وتجلياته.[٢]

والـذي يمكـن ان نخلـص اليـه ممـا سـبق ان هنالـك تسلسـلاً منطقيـاً لهـذه المراتـب وان مـن يبلـغ المرتبـة العليـا يكـون مسـتوعباً للمرتبـة الأدنـى ولا عكس، أي ان صـاحب الحقـائق واقـف علـى اللطـائف والاشـارة فضـلا عـن العبارة ، وصاحب الاشارة واقف على العبارة وهكذا.

اتفق العرفـاء مـن ان القـرآن لا يكشـف عـن أسـراره إلا بالطهـارة حيـث يحتاج لفهمه لطافة قريحة وصقالة قلب وصفاء باطن عبر التزكية والتهذيب، وبالتالي فهو مختص بأصحاب القلوب المنفتحين على مشكاة النبوة ومصباح الولايـة بالرياضـات والمجاهـدات. ولابـد مـن خـرق حجـاب الطبـع والطبيعـة والخـروج مـن الحجـب الظلمانيـة لرؤيـة ظهـور الحـق فـي كـل الاشـياء ، وإحاطتـه عليهـا ، فهـي آياتـه وبيناتـه وتجلياتـه الدالـة بكمالاتهـا علـى كمـال منشئها وبارئها.[٣]

---

(١) النجم: ٨-٩.

(٢) (ظ) الحسن ، طلال: المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري، م.س،١٩٣

(٣) (ظ) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر، م. س : ٢٦٦.

ان الوقوف على مراتب القرآن والاحاطة بمعانيه وتفهم مضامينه وأسراره انما تتيسر من خلال تلاوته والتي تتجاوز إطارها اللغوي الذي يعني قراءته بطريقة وكيفية مخصوصة ، ليكون المراد بها شيء وراء ذلك. فقد ورد عن رسول الله g في قوله تعالى ((**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**))[١] انه قال: ((بيّنه تبيانا ، ولا تنثره نثر البقل ، ولا تهذه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، حركوا به القلوب ، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة)).[٢]

ومما يؤيد ذلك ما ورد عن الامام علي ... في وصف المتقين والتعاطي مع القرآن عبر تطهير القلوب وتهذيب النفس أنه قال ((تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، واذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم...))[٣].

فتلاوة القرآن انما تعني استجلاء معانيه لتكون مقاماً رفيعاً يتضمن العديد من الصفات والخصائص التي كشفت عنها الرواية ((يرتلون آياته ، ويتفهمون معانيه ، ويعملون بأحكامه ، ويرجون وعده ، ويخشون عذابه ، ويتمثلون قصصه ، ويعتبرون أمثاله ، ويخافون أوامره ، ويجتنبون

---

(١) المزمل: ٤.

(٢) الراوندي ، قطب الدين: النوادر ، ط١ ، دار الحديث ، ١٤٠٧هـ ، ١٦٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

نواهيه))[١] تبياناً لما ورد في قوله تعالى ((**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ**...))[٢].

فالقراءة الهادفة للوصول الى مراتب القرآن انما هي القراءة التي تقف عند العجائب وتفهم المعاني وتحرك القلوب بغية الوقوف على الاشارات واللطائف والحقائق وبلوغ حقيقة المعرفة.

جدير بالذكر أن المعرفة عند العرفاء حصولية وحضورية شهودية. تنقسم فيها المعرفة الحصولية الى ظاهرية ساذجة وتحقيقية برهانية ، والحضورية الشهودية تنقسم الى تحققية إحاطية وغير إحاطية. والفرق بينهما أن المعرفة التحقيقية هي اعتماد الأدلة العقلية القطعية في إثبات حقيقة من حقائق الوجود. وأما المعرفة التحققية وبغض النظر عن كونها إحاطية أو غير إحاطية فانها تسلك بالانسان طريقاً آخر للوقوف على الحقائق ، هو طريق الكشف والشهود والمعاينة ونتيجتها حقائق وجودية خارجية.[٣]

فمن يمتلك المعرفة الشهودية يرى ببصره حقائق ويسمع بأذنه كلمات يحرم من سماعها ورؤيتها الآخرون. وان أول نصيب للانسان من المعرفة الشهودية ما يراه في المنام من رؤيا صادقة يشاهد فيها حقائق الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، تعود لمسافات قريبة أو بعيدة ، الأمر الذي يدل على السمع والبصر الباطنين. ولا تختص تلك الباصرة والسامعة بالانسان النائم

---

(١) الورام ، ابي فراس: مجموعة ورام ، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، مكتبة الفقيه: ٢: ٢٣٦.

(٢) البقرة: ١٢١.

(٣) (ظ) الحيدري ، كمال: اللباب في تفسير الكتاب ، ط١ ، دار فراقد ، قم ، ٢٠١٠م ، ١: ١٣٧.

فقط ، بل غير النائم يستطيع مشاهدة الاشياء البعيدة عنه أو يشم رائحتها ((**إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ**))[١].

ولا يختص هذا الاحساس بالنبي يعقوب ... فمن هذا القبيل الهاتف الذي سمعه الحر (رض) في كربلاء ، والنداء الذي سمعه الامام الحسين ... وهو في طريقه الى كربلاء حين استرجع – والاعمق من ذلك ما سمعه ورآه سلام الله عليه عصر التاسع أو يوم العاشر من المحرم قرب خيام حرم آل الرسول g.

هذه الاصوات والمناظر ليست أموراً يكون للنوم دور فيها ، بل كل من التفت الى قلبه وأزال عنه الصدأ والرين أمكنه إدراك نبع هذه المعرفة والتعرف على العالم الخارجي عن هذا الطريق...فصاحب القلب المهذب وبمجرد ملاحظته في اليقظة لأي منظر ، يشاهد الحقيقة التي تناسب ذلك المنظر وبعبارة أخرى ان كل شيء من الاشياء الطبيعية لدى الانسان المهذب النفس آية ومرآة تعرض حقيقة سامية من حقائق عالم الملكوت.[٢]

يندرج ظاهر القرآن في دائرة المعرفة الحصولية ، على حين يندرج باطنه في دائرة المعرفة الشهودية ، ليكون التفسير حصولياً والغوص في باطن النص القرآني شهوديا حضوريا.

فمن أراد ظاهر النص القرآني والاستغراق في دائرة التفسير ، عليه بالتحقيق والاستعانة بالأدلة والبراهين المجازة في قراءة النص القرآني ،

---

(١) يوسف: ٩٤.

(٢) (ظ) الاملي ، جوادي: المعرفة في القرآن، م.س : ١٨٠.

ومن رام الوقوف على ما وراء ذلك وصولاً الى حقائق القرآن وروحه ، عليه بالتحقق والحضور.[١]

فالقراءة التحققية تتجاوز دائرة اللفظ والمفهوم والذهن وتدخل في دائرة أخرى غيبية هي دائرة الحقائق الوجودية خارجا والمجردة من المادة وآثارها.

ومما سبق نفهم ما ورد في الرواية الشريفة ((انما يعرف القرآن من خوطب به))[٢]. ان المعرفة الحقة التامة بالقرآن ، والتي تعني ادراك الحقائق الغيبية منحصرة بمن خوطب بهذا القرآن ، فالمعرفة التامة والاحاطة بجميع المراتب ليست ممكنة سوى للنبي وآله عليهم السلام.

جدير بالذكر أن قوله ... من خوطب به لا يعني بالضرورة شخص النبي وعترته الطاهرة عليهم السلام كونهم يمثلون المرتبة الاعلائية ممن خوطبوا بالقرآن الكريم حيث انفتحت قلوبهم الشريفة على عالم الغيب فوقفوا على الحقائق والأسرار... وسوف يكون مخاطباً بالقرآن أيضاً من ملك الاستعداد وأهلية الوقوف على الحقائق الغيبية بعد ان صار قلبه صقيلاً ومزكى من الشوائب وقد خرج من تبعات عالم المادة ولم يعد محكوماً لها.[٣]

وفي ضوء ما تقدم فمن فسّر القرآن من خلال الرجوع الى من جعلهم الله تعالى أئمة يهدون بأمره ، فصاروا علماً ومرجعاً ومداراً يدور معهم الحق حيث داروا ، يصبح ممن خوطب بالقرآن بواسطة ذلك المدار الحق.

---

(١) (ظ) الحسن ، طلال: المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري، م.س : ٢٠١.

(٢) الفروع من الكافي ، م .س ، ح٤٨٥: ٨: ٣١١.

(٣) (ظ) الحسن ، طلال: المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري ، م.س : ٢٠٩.

ويخرج من زمرة المخاطبين بالقرآن من فسّر النصوص القرآنية بعيداً عن الطريق والمنهج الذي رسمه القرآن ، كونه رجع الى أبواب ما أنزل الله بها من سلطان ((**إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى**))[١] أو باتخاذه نفسه باباً.

ومن هنا قال الامام علي ... : ((إن كنت انما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، إنما يعرف القرآن من خوطب به))[٢]. حيث سيقع المفسر في دائرة التفسير بالرأي المذموم.

ربما يصيب المفسر في تفسيره مع ذلك يحكم بخطأه ((ان من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ))[٣]. والحكم بالخطأ مع فرض الاصابة كونه لم يأت البيوت من أبوابها ((**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**))[٤].

ان الآيات القرآنية على اختلاف مضامينها تنشد توحيده تبارك وتعالى بما يليق بساحة عزه وكبريائه ، فيظهر في مقام الاعتقاد في لباس أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وفي مقام الأخلاق بالتخلق بالأخلاق الكريمة ، وفي مقام الاعمال والافعال الاتيان بالافعال الصالحة والورع عن محارم الله. فجميع أجزاء هذا الدين ترجع الى التوحيد ، ومن ثم فالواصل الى روح

---

(١) النجم: ٢٣.

(٢) الفروع من الكافي: كتاب فضل القرآن ، ح١٣: ٢: ٦٠٢.

(٣) نهج البلاغة: ١٩٦.

(٤) البقرة: ١٨٩.

القرآن والواقف على تفسيره وحقائقه لا يرى إلا حقيقة واحدة ، وان مجموع السور والكلمات والحروف هي مرايا ومظاهر لتلك الحقيقة....ومن هنا نفهم بوضوح سر التفاوت في مقامات ومنازل السور القرآنية وآياتها ، من قبيل ما ورد عن علي ... قال ((سمعت رسول الله(ص) يقول: ان الله تبارك وتعالى قال لي: يا محمد ((**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**))[١] فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن العظيم، وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش))[٢].

وعلى هذا الأساس سوف تختلف الآيات والسور في كونها تمثل تجليات تلك الحقيقة الكبرى سعة وضيقا ، حتى تنتهي الى القرآن بمجموعه فانه يمثل التجلي الاعظم لتلك الحقيقة البسيطة[٣].

وهذا ما يفسر لنا قول الامام الصادق ... ((والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون))[٤] وقول الامام علي ... ((فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه))[٥].

والعارف انما ينشد في تحليله وتفسيره للنص القرآني الوصول الى حقيقة التوحيد وإن اختلفت أساليب العرفاء في الاشارة اليها وتحديدها

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) الصدوق ، ابوجعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي : عيون أخبار الرضا ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ ، ح٦٠: ١: ٢٧٠.

(٣) (ظ) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد: ١٨٠.

(٤) بحار الانوار: ٨٩ : ١٠٧.

(٥) النوري : الفروع من الكافي، م.س ، ح٥٨٦: ٨: ٣٨٧.

وتعريفها ، ليخلصوا جميعاً الى انه ((بقاء الحق وفناء ما دونه...واثبات الوجود ونفي الموجود ورؤية الوحدة في عين الكثرة))[١].

ولا يصل العارف الى حقيقة التوحيد الا ان يكون الطريق والهدف واحد ، فيتخطى مرحلة ((**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**))[٢] فيتجاوز السير الآفاقي والأنفسي ليصل الى مرحلة ((**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**))[٣].

والعارف انما يقطع هذا الطريق بالقلب من خلال التذوق بالعلم الحضوري. فعندما يشير القرآن الكريم الى قصة الوحي الى الرسول الأكرم(ص) يشرع من القلب ((**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**))[٤] ثم يقول ((**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**))[٥] لأنه ((**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**)) فلأن القلب أدرك الوحي جيداً فان البصر أدركه جيداً كذلك...فالله حقيقة لا يمكن لأحد أن يجد طريقه الى بحره الواسع والوقوف على أسرار نصوصه ما تختزنه من معارف ومضامين إلا عن طريق الشهود.[٦]

وينطوي هكذا توحيد حسب العرفاء على فضائل جمة لا يحيط بها حصر ، انه يمكن الاشارة الى أهمها وأشرفها والتي تكمن في ((ان يعرف ان جميع الموجودات مجبولة على التوحيد مخلوقة لأجله ، وأن جميع

---

(١) الاملي ، حيدر: نص النصوص، م.س : ٣٥٠.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) فصلت: ٥٣.

(٤) النجم: ١١.

(٥) النجم: ١٧.

(٦) (ظ) الاملي ، جوادي: التوحيد في القرآن، م.س : ١٦١-١٦٣.

الانبياء والأولياء ما بعثوا إلا لإظهاره ودعوة الخلق إليه...وان مدار جميع الكمالات وأساس جميع المقامات ظاهراً وباطناً منوطة به وبمراتبه، وان علمه خلاصة العلوم كلها...وانه أصل الدين والاسلام))[١].

والآيات القرآنية خير شاهد ودليل على هذه الدعاوى. أما دليل الدعوى الاولى فقوله تبارك وتعالى ((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**))[٢] لانطواء هذه الآية على التوحيد الخالص.

والدليل على الدعوى الثانية قوله تعالى ((**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**))[٣] لأنه اقرار بالالوهية بلسان كل من في السموات والارض. والاقرار هذا هو المعني بالفطرة في قوله تعالى ((**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**))[٤] وكذا الآية الشريفة ((**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**))[٥] إذ التسبيح لا يكون إلا عن معرفة ، والمعرفة لا تكون إلا بعد الوجود...فتكون المعرفة الجبلية موجودة في كل شيء ، وان معرفة كهذه ليست إلا على حسب التوحيد.

وقوله تبارك وتعالى ((**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**))[٦] وقوله بالنسبة للأولياء ((**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ**

---

(١) حمية ، خنجر علي: العرفان الشيعي، م.س : ١٦٦.

(٢) الاخلاص: ١.

(٣) العنكبوت: ٦١.

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) الاسراء: ٤٤.

(٦) النساء: ١٦٥.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ))[١] دليل على ان الانبياء جميعاً وكذا الأولياء ما وجدوا إلا لاظهار التوحيد واشاعته ، ناهيك عما يحكم به الوجدان أنه لولا الدعوة الى التوحيد ما بعث أحد من الانبياء ، ولا وجد فرد من الاولياء قط.

وأما كون جميع الكمالات وأساس جميع المقامات مبنية على التوحيد فلقوله تبارك وتعالى ((**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**))[٢] والمراد من أراد غير التوحيد ، الذي هو الدين الحقيقي والطريق الالهي المشتمل على الايمان والايقان والتسليم والتصديق ، فلن يقبل عمله...ومن لا يحصل له هذا المجموع يكون ناقصاً في الظاهر والباطن...فلا يكون مدار الدين والكمال بحسب الظاهر والباطن إلا على الاسلام الحقيقي ، الذي هو الدين الالهي المعبر عنه بالتوحيد.

وكون التوحيد أصل الدين والاسلام وسبب الجنة والنار فدليله واضح حسب ظاهر الشرع، لأن الاسلام الظاهر لا يحصل إلا بنفي تعدد الالهة واثبات إله واحد ، ولا يحصل الاسلام الباطن إلا بنفي وجودات كثيرة واثبات وجود واحد...فثبت ان التوحيد أصل الدين والاسلام ظاهراً وباطناً[٣].

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) (ظ) جامع الاسرار، م.س : ٦٩٠ والقمي القاضي سعيد ، شرح توحيد الصدوق ، ط١ ، طهران وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، ١٤١٥هـ: ١: ٦٢.

وهكذا فمن لم يكن عالماً بالتوحيد عارفاً به لن ينال الجنة الظاهرية لقوله تعالى ((**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**))[١] ولا الجنة الباطنة الحقيقية والمتمثلة عند العرفاء بالمشاهدة لقوله تعالى ((**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...**))[٢].

والذي يمكن ان نخلص اليه مما سبق أن للقرآن عدة مستويات ولكل مستوى قرآني مرتبة من الفهم ، وان القرآن ينطوي على أسرار وحقائق لا يمكن الوصول الى كنهها إلا بالطهارة والتزكية والتهذيب وصقل القلب وصفاء الباطن ، وان ثمة معرفة شهودية يمكن ان يمتلكها الانسان تمكنه من رؤية تلك الحقائق.

وان ذروة معرفة واكتناه تلك الحقائق ميسرة لمن خوطب بالقرآن وهو الانسان الكامل.

---

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) النساء: ٤٨.

ـ العمق القرآني:

يتصف النص القرآني بالعديد من الخصائص التي تميزه عن سائر النصوص لعل أبرزها يكمن في ما يختزنه من عمق جعله يتفرد به عما سواه وإليه يعزى السر في خلود القرآن وتعاليه على حدود الزمان والمكان ، ومن ثم تفرده بالغضاضة والطراوة أبدا إزاء مختلف المدارس الفكرية فالنص القرآني كالبحر يجذب اليه الغواصين في عباب الفكر ويدفع بهم في عمقه دون ان يبلغ بهم النهاية.

وتعتقد المدرسة العرفانية في التفسير ان منشأ هذا العمق وسر اختصاص النص القرآني بالبطون وتوافره على شمولية المعنى انما يعود الى كينونة القرآن وما انطوى عليه من مضامين وحقائق ذات مراتب متعددة ترجع الى طبيعة كلامه وما يتسم به من خصوصية تهب القرآن مثل هذا العمق والامتداد والشمولية.

وقد انطلق العرفاء في تعاملهم مع النص القرآني من خلال نظريتهم في التجلي(*) والتي اقتبسوها من العديد من النصوص الدينية والروايات

(*) المراد بالتجلي ظهور الذات المطلقة بعد تعيّنها بالتعينات (الذاتية أو الأسمائية أو الأفعالية) في المقيدات والكثرات وهي مكملة لنظرية وحدة الوجود ، ويدرس التجلي في العرفان النظري في مجال معرفة الوجود ليشير لكيفية ارتباط الوحدة بالكثرة وظهور الكثرات من الواحد ، وفي العرفان العملي من حيث علم المعرفة ليعكس ارتباط العارف بالحق دون واسطة. (ظ): رحيميان ، سعيد: مبانى عرفان نظرى ، ط١ ، طهران، مركز تحقيق وتوسعه علوم اسلامى ، ١٣٩٠: ١٢٢.

المأثورة عن أئمة الهدى (ع) لعل أوضحها ما روي عن الامام الصادق (ع) أنه قال ((ان الله تجلى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون))[١].

فالله تبارك وتعالى تجلى لخلقه في القرآن الكريم وان ثمة ملازمة بين المتجلي (الله) والمتجلى به (القرآن) في العمق ، مما يؤدي الى ان يكون المتجلي به مماثلا للمتجلي في عمقه ، وهذا هو سر البطون وانطواء القرآن على معان لا تنفد مع الزمان. ((فالمعاني الباطنية هي سلسلة اشارات فلطائف ، ثم حقائق تنبع من المعاني الظاهرية لمن شرح الله صدره بالقرآن ، عاش قلبه القرآن فعاش القرآن قلبه ، فأصبح عشيرا للوحي القرآني))[٢] لأنه صورة لتجل مطلق لا نهائي. حيث يتجلى الله في القرآن بأسمائه وصفاته ، وان القرآن هو مظهر لأسماء الله وصفاته وخاصة الأسم الاعظم.[٣]

ولما كان القرآن تجلي الأسم الاعظم ومظهره. وما دام الأسم الاعظم عبارة عن واقعية جامعة ومحيطة ، فاذا لابد من ان ينطوي القرآن على حقائق ذات مراتب ، ويستبطن من ثم كل الحقائق التي تقع في حيطة الأسم

---

(١) بحار الانوار، م.س : ٨٩: ١٠٧

(٢) الصادقي ، محمد: العرفان في تفسير القرآن ، ط١ ، قم ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ١٩٨٠م: ١: ٥١-٥٢.

(٣) (ظ) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر، م.س : ٩١.

الاعظم ((وطريق الارتقاء المعرفي للتزود من حقائق القرآن مفتوح أمام الانسان ، والحركة فيه تتم على خلفية التزكية ونقاء القلب وطهارة الباطن))[١].

وعلى ضوء ذلك فان القرآن الكريم صورة أحدية جمع جميع الاسماء والصفات ، ومعرفا لمقام الحق المقدس بتمام الشؤون والتجليات ، بعبارة أخرى ان هذه الصحيفة النورانية هي صورة الأسم الاعظم...فالوجود برمته ينبض بالحياة والحركة والحيوية ، والعالم المادي كله في تسبيح شهودي عبادي ((**وَإِن مِّن شَيْءٍ إَِّلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**))[٢] وكل موجود من الموجودات هو مظهر لاسم الله وآية الله والجميع تجليات لأسماء الله...وعوالم الوجود برمته هي كتب وآيات وكلمات وصحف إلهية ، فالعالم قرآن تدويني متلو آفاقيا ، والانسان متلو أنفسيا...ويعد الانسان وذروته الانسان الكامل أعظم التجليات وأكبرها وأهمها ، إذ هو تجل الأسم الاعظم الجامع لجميع المراتب والاسماء والصفات.[٣]

ويرى العارف بناءً على ما تقدم أن أسمى ما يعطاه ((انشراح صدره لأرواح المعاني وبطونها ، وسر الحقائق ومكنونها...والدخول في مدينة العلماء والراسخين ، والسفر من طريق الحس الى منازل الكتاب الالهي ، فان للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن أدناها ما يكون في منثور الالفاظ...وهذا المنزل رزق المسجونين في عالم الطبيعة ، ولا يمس سائر

---

(١) الشيرازي ، صدر الدين: تفسير القرآن، م.س : ٤: ٣٩٦.

(٢) الاسراء: ٤٤.

(٣) (ظ) كسار ، جواد علي: فهم القرآن ، م.س : ٢٦٥.

مراتبه إلا المطهرون عن أرجاس عالم الطبيعة وحدثه...المتوسلون بأذيال أهل بيت العصمة والطهارة...المتمسكون بالعروة الوثقى))[١].

وهكذا يبدو على ضوء المدرسة العرفانية أن للقرآن قراءتين[٢]؛ قراءة آفاقية تنطلق من النفس البشرية وتتفاعل مع مظاهر الوجود ، وقراءة أنفسية تنطلق من باطن الانسان ، ولا تبدو ميسّرة إلا بعد ان يخترق الانسان حجب الغفلة وتحطيم أواصر الارتباط بعالم المادة ((**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**))[٣].

واذا لم يكن الانسان ممتلكاً للرؤية الداخلية ولم يطلع على بعض خصائص تجرد النفس الانسانية وبعيداً عن القراءة الأنفسية للنصوص القرآنية فسوف يكون محروماً من شهود المعارف العالية ، ولهذا يظن أن مشاهدات العرفاء مجرد أساطير ، على حين يترنم العارفون السالكون الواصلون ((إن الراحل إليك قريب المسافة وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك))[٤].[٥]

واستناداً لهذه القراءة الأنفسية الوجودية للنص القرآني سوف يتم التعامل بين وجود ووجود آخر ، فيصبح باطن الانسان تعبيراً عن حقيقة القرآن ووجوده ، وهي الحقيقة التي تكشف عن نفسها وتفتح أسرارها على ضوء ما يملكه هذا الانسان من تهذيب وتزكية وطهارة باطنية.

---

(١) (ظ) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س : ١٦٨.

(٢) (ظ) الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر، م.س : ٩٢.

(٣) فصلت: ٥٣.

(٤) مفاتيح الجنان: دعاء ابو حمزة الثمالي.

(٥) (ظ) الاملي ، حوادي: المعرفة في القرآن، م.س : ٢٨.

ومما لاشك فيه ان هذا الالتحام بين الانسان والقرآن والذي يتسنى بعد العبور من ظاهر النص القرآني سيجعل المفسر إزاء فهم جديد للقرآن بصفته حقيقة ذات مراتب ولا يمثل اللفظ فيها إلا القشر ((فالقرآن ليس من مقولة السمع والبصر ولا من مقولة الألفاظ ، ولا يمكن فهم هذه الحقائق بالبراهين المشائية والقياسات الفلسفية والمجادلات الكلامية...واذا كانت الأنشطة العقلية والذهنية قاصرتين عن التعاطي مع عمق القرآن فلا يعني ذلك انسداد الطريق مطلقا ، بقدر ما يملي على الانسان الارتقاء من طور في المعرفة أداته العقل ، الى طور آخر أداته القلب والوسيلة إليه التزكية وطهارة الباطن...فالقرآن لا يشكف عن عمقه وما يكتنفه من حقائق وأسرار إلا بالطهارة))[١].

وسلك بعض العرفاء طريقا آخر في تبيين نظرية التجلي وكيفية تجلي الله في القرآن ليخلصوا الى القول بتعدد بطون القرآن ووجود المراتب لحقائقه عبر الاستشهاد ببعض روايات المعصومين (ع) حيال القرآن والتي تفيد تجلي الله لخلقه في القرآن ، وعدت بعضها القرآن حبلاً ممدوداً من الله الى الانسان والذي يؤدي الى ما خلصوا اليه من نتيجة.

فالقرآن موضع تجلي الله تبارك وتعالى – فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه – وما دام الله قد تجلى في هذا الكتاب ، وفي عين كونه علياً ((**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**))[٢] فهو قريب ((**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**))[٣] فكذلك سيكون موضع تجليه ، أي النص القرآني ، فهو قريب

---

(١)الخميني ، روح الله: صحيفة نور، م.س : ١٣: ٢٥٨.

(٢) الاعلى: ١.

(٣) البقرة: ١٨٦.

في عين كونه بعيداً ، ودانٍ في عين كونه عالياً...القرآن الكريم حبل الله الممدود ، له مراتب كثيرة ، فكذلك الناس لهم من القرآن مراتب متعددة تبعاً للمراتب المختلفة في التزكية والتهذيب وطهارة القلب.[١]

واستناداً لما تقدم يمكن التوصل الى ان المنهج العرفاني في فهم وتفسير النص القرآني وما ينطوي عليه من عمق هو منهج خاص وسبيل من سبل المعرفة يتمثل بالسير والسلوك وتطهير القلب وتزكية النفس. فلما كانت معاني القرآن ذات مراتب منبثقة من أسماء الله وصفاته ، فمن الطبيعي ان لا يكون هناك سبيل الى تحصيلها غير السلوك الروحي ، والاتصاف بتلك الاسماء والصفات.

على ان هذه النظرية لم تسلم من بعض الانتقادات التي أوردها الباحثون والمعنيون بشؤون القرآن ، فالقرآن سيتحول في ضوء هذه النظرية الى بحر عميق مليء بالحقائق التي لا يقوى على فهمها العقل وبالتالي إبعاد العقل من هذه الدائرة المعرفية.[٢]

ويبدو ان العرفاء استفادوا من بعض الروايات التي تفيد تعذر الوصول الى عمق القرآن عن طريق العقل ، مع ان ذلك لا يعني تغييب العقل عن التفسير فقد قال الامام الصادق ... ((ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال))[٣].

فالامام ... لم يقل يتعذر الوصول الى ذلك الأصل بأي شكل من الاشكال ، بل قال بتعذر الوصول اليه عن طريق العقل ، ورغم تعذر الوصول اليه

---

(١) (ظ) الاملي ، جوادي: تسنيم ، م.س : ٢: ١٤٨-١٥٠.

(٢) (ظ) ابو زيد ، نصر حامد: مفهوم النص ، م. س : ٢٥٥.

(٣) المجلسي ، محمد باقر: بحار الانوار ، م.س : ٩٢: ١٠٠.

عن طريق العقل ، غير انه يمكن الوصول اليه عن طريق القلوب. ان العقول بحاجة الى تمرين وبحث وتحقيق للوصول الى عمق القضايا العقلية ، فإن القلوب هي الاخرى بحاجة الى تهذيب وتطهير وسير وسلوك لبلوغ القضايا العرفانية وعمق النصوص القرآنية.[١]

وان العرفاء الذين يصلون مرحلة الشهود وطريقهم في ذلك تزكية النفس وتهذيبها لا يبلغون مرتبة المخلصين وبالتالي قد يقعون في الخطأ حين عودتهم من حالة الشهادة وصياغة مكاشفاتهم في قالب المفاهيم ، فلابد لهم من الاستفادة من الميزان العقلي فلا يقيموا اعتباراً لمشاهداتهم ان تعارضت والقوانين العقلية والقضايا البرهانية.[٢]

نخلص مما سبق ان القرآن الكريم يتفرد عن سائر الكتب والنصوص بما يعرف بالعمق والبطون والتي منحت القرآن هذه الغضاضة والطراوة والتجدد بما جعله يتعالى على الزمان والمكان. وقد تعامل العرفاء في منهجهم العرفاني مع النص القرآني من خلال نظرية التجلي التي استمدوها من بعض الروايات الواردة عن المعصومين (عليهم السلام).

ذهب العرفاء استناداً الى هذه النظرية الى ان القرآن الكريم هو تجلي إسم الله الاعظم ومظهره ، وبما ان جميع الحقائق تقع تحت حيطة هذا الاسم فسوف ينطوي القرآن على حقائق ذات مراتب.

---

(١) ظ:بهشتي ، احمد ، وحيانيت وعقلانيت عرفان ، م.س : م.س: ٤٩.

(٢) (ظ) الاملي ، جوادي: المعرفة في القرآن، م. س: ٢٦٠.

فالمراد من الطاعات وأعمال الجوارح تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ، والمراد من تزكيته حصول أنوار المعارف فيه.[١]

وهذا ما يعبر عنه العرفاء في منهجهم العرفاني بالتجلي الذي يعني ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيب بعد الستر.

وان غاية ما يطمح اليه العارف في فهمه للنص القرآني انشراح صدره لما تختزنه بطونه من معان وأسرار وحقائق. وذلك عن طريق التزكية والتهذيب وعبر القراءة الآفاقية والأنفسية للنص ، حيث تتسنى القراءة الأخيرة من خلال تحطيم قيود الغفلة والخلود الى عالم الطبيعة ليصبح باطن الانسان تعبيرا عن حقيقة القرآن.

وان ما يؤكده المنهج العرفاني في تفسير النص القرآني هو تعذر الوقوف على معناه ومحتواه وتفسيره وادراك مضامينه ما لم يكن الانسان طاهر النفس والباطن ، فيجب عليه التحلي بما يراه القرآن علامة لطهارة القلب والباطن ، وان يدفع عن نفسه كل ما يراه باعثاً على تلوث النفس والباطن.

قال أمير المؤمنين ... ((فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه))[٢]. فالله تعالى تجلى بوضوح في القرآن ، آيات الله ، العلائم الدالة على الله ، علامات الحقيقة ، حقيقة الحق ظهرت وتجلت في القرآن ، الا ان هؤلاء لا يرون ولا يبصرون.

---

(١) (ظ) المحمود ، حسين علي: المعرفة وفقا للمنهج العرفاني عند الامام الخميني ، ط٢ ، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني ، قم ، ٢٠٠٦م: ١٤٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

فالسبب في عدم تقبل الحق والوصول الى الحقيقة يعزى الى الانسان وليس الى القرآن ((**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي**))[١] فالغطاء كان على أعين هؤلاء ولم يكن على القرآن.

ويقال لمن أغفل هذه الحقائق يوم القيامة انها كانت موجودة ، لكنك كنت في حجاب عنها ((**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**))[٢] أي ان الحقيقة كانت موجودة والانسان غافل عنها ، والآن قد رفع الغطاء عن هذا الانسان وليس عن الحق، لأن الحق لم يكن مستوراً ، لم يكن محجوباً ، كان قلب الانسان هو المحجوب ، هو المظلم.

---

(١) الكهف: ١٠١.

(٢) ق: ٢٢.

ـ مراتب الفهم العرفاني للنص القرآني:

يؤمن العرفاء بنظرية تعدد مراتب الفهم تبعاً لتعدد مراتب ومستويات النص القرآني واشتماله على معاني مترتبة بعضها على بعض آخر. حيث يكون للانسان – استناداً لهذه النظرية – إدراك متفاوت لمعاني القرآن وحقائقه على ضوء ما لديه من استعداد وجودي وسعة نفسية وجهد فكري ، وبذلك تتعدد مراتب الفهم الانساني للقرآن لتنطلق من الفهم الظاهري وتسير في خط تصاعدي ليبلغ هذا الفهم ذروته مع المطهرين ، ليمثل النبي (ص) – الانسان الكامل – وأهل بيته (ع) أقصى مراتب الفهم القرآني.

وقد استدل العرفاء على هذه النظرية بطرق عدة ؛ طريق الأدلة الوجودية القائم على أساس تعدد مراتب الواقع من خلال التماثل السائد بين القرآن والانسان والعالم ، فكما ان للقرآن مراتب يكون بناء على هذه الرؤية للانسان والعالم مراتب ، والثلاثة مظاهر لأسماء الله وتجليات للألوهية...وليس هناك من يشذ عن هذه النظرية وينكر أن لفهم القرآن مراتب ، لكنهم يختلفون في طبيعة الاستدلال عليها ، فمن لا يأنس بالرؤية العرفانية يتمسك بالأدلة المعرفية أو الأدلة النقلية التي سنتطرق لها في خاتمة البحث.

وقبل الخوض في تفاصيل هذه النظرية لابد من الاشارة الى انه واستناداً لهذه النظرية سيكون بمقدور الفكر القرآني تقديم تفسير منطقي رصين لما أوردناه سابقاً بخصوص اتصاف القرآن بالعمق وكيف انه سيتجاوز عنصري الزمان والمكان ولا يزيده التقادم الزمني إلا غضاضة وتجدد وقدرة على مواكبة المتغيرات.[١]

---

(١) (ظ) كسار ، جواد علي: فهم القرآن ، م.س : ١: ٢٨٨.

تبدو قضية اختلاف الناس في الادراك والفهم بديهية غنية عن الاستدلال على غرار الحقيقة الأخرى التي فرغ منها البحث في تعدد مستويات النص القرآني ، على ان هذه المسألة لا تقتصر على عقل الانسان المسلم وإدراكه الذهني ، ولا تنحصر في القرآن وحده كنص معرفي منتج للمعاني والدلالات ، بل تعمّ لتشمل الذهنية الانسانية برمتها وتمتد لتستوعب جميع المعارف والعلوم التي تختلف مستوياتها.

إن اشتمال النص القرآني على معان مترتبة فوق بعضها البعض مما لا يسع أحد إنكاره إلا من حرم نعمة التدبر في هذا النص. فمراتب الفهم معلومة الى بنية النص القرآني كنص معرفي قابل للتعقل والادراك من جهة ، والى بنية الذهن الانساني ومستواه كآلة مدركة من جهة أخرى.[١]

وعلى هذا الأساس فلا مناص من تقرير قاعدة في مراتب الفهم وتعدد المعاني ((إن للقرآن مراتب مختلفة مترتبة طولا من غير ان تكون الجميع في عرض واحد...بل هي معان مطابقية يدل على كل واحد منها اللفظ بالمطابقة بحسب مراتب الأفهام))[٢] فهي قاعدة تفرزها عمومية الهداية القرآنية من جانب ، ومن جانب آخر اختلاف الأفهام الذي يعزى الى اختلاف الاذهان والادراكات العقلية.

وايد مفسر معاصر هذه النظرية على الصعيد المعرفي والادراكي منطلقاً من عدم تساوي الناس في الذكاء على الرغم من اشتراكهم بثقافة فطرية معينة ؛ الأمر الذي يتطلب بيان المعارف الفطرية بوسائل مختلفة

---

(١) (ظ) الطباطبائي ، محمد حسين: تفسير الميزان ، م. س : ٣: ٤٨.

(٢) الطباطبائي : م. ن : ٣: ٦٤.

وعلى مستويات متنوعة ، فبعض مخاطبي القرآن أناس ساذجون، وبعضهم الآخر حكماء أجلاء ، ومفكرون متعمقون.[١]

((فالقرآن نعمة يستفيد منها الجميع))[٢] وهذا ما ينسجم بحد ذاته ومبدأ عموم الهداية وشمولها للجميع. فالقرآن هدى لمختلف طبقات الناس ، وكل يغترف بمقدار فهمه. ولذلك كان من الطبيعي أن تتعدد مراتب الفهم وتتنوع تبعاً لاختلاف مدركات الناس وتفاوت أمزجتهم العقلية ومراتبهم في المعرفة والفهم.

واستدل آخرون على اختلاف مراتب فهم القرآن بالعديد من النصوص عن طريق النقل متمثلا بالقرآن والسنة النبوية المطهرة. قال تعالى ((**أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**))[٣]. حيث تقرر الآية الشريفة قاعدة مفادها أن الفيض أو العطايا والمواهب تنزل من الله من دون تحديد وتقييد وانما تتحدد وتأخذ أحجاماً صغيرة أو كبيرة تبعاً للأوعية والقابليات. فالوجود النازل من الله خال من الصور والافكار ويتقدر من ناحية الأشياء نفسها...فهذه الاشياء انما تنال من العطاء الالهي بقدر قابلياتها واستعداداتها وتختلف باختلاف الاستعدادات والظروف والأوعية. وهذه قاعدة عامة تجري في الامور العينية والحقائق الخارجية كما تجري في العلوم والاعتقادات.[٤]

---

(١) (ظ)الاملي ، جوادي: تسنيم ، م. س : ١: ٤٨.

(٢) الخميني ، روح الله: صحيفة النور، م. س : ١٩: ٢١١.

(٣) الرعد: ١٧.

(٤) (ظ) الطباطبائي: الميزان ، م. س : ٣: ٣٣٩.

واستدل آخر بهذه الآية على اختلاف مراتب الفهم قائلا ((فأودية الفهم سالت من فيضه بقدرها ، وجداول العقول فاضت من رشحة نهرها))[١].

واستدل آخرون على النظرية المذكورة في اختلاف مراتب الفهم لدى الناس سيّما في التعامل مع النص القرآني بالحديث النبوي الشريف الذي وصف القرآن بالمائدة التي يتغذى عليها الجميع كل حسب شهيته واستعداده ((إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا مأدبته ما استطعتم))[٢]. ولكل انسان رزقه من هذه المأدبة.

فالقرآن مركز العلوم وقد انطوى على رموز ودلالات يدركها أهل الفهم بخصوص كل ما اختلف فيه الخلائق...ولكن لما كانت معارف القرآن وعلومه ممتدة الى ما لا نهاية له ، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه ، لأن ذلك لا نهاية له ، وانما لكل عبد بقدر رزقه ، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ((**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**))[٣].[٤]

ونظّر آخر لهذا التقريب الحسي الذي يمثل القرآن بالمأدبة والرزق الذي ينتهل منه الجميع على أنه ما من رزق إلا وفي القرآن نوع من لبّه وقشره وأصله وفرعه لقوله تعالى ((**وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ**

---

(١) الشيرازي ، صدر الدين: تفسير القرآن الكريم ، م. س : ٤: ٤١٣.

(٢) النوري : الوسائل ،م. س ، ح١٣: ٦: ١٦٨.

(٣) الكهف: ١٠٩.

(٤) (ظ) الغزالي: احياء علوم الدين ، م. س : ١: ٢٨٣.

مُبِينٍ))[١] فالقرآن بمثابة مأدبة نازلة من السماء الى الارض...وفيها لكل صنف من أصناف الخلق رزق معلوم ونصيب مقسوم...ففيها للخاصة أغذية لطيفة وفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فالحكمة والبرهان لقوم ، والموعظة والخطابة لقوم...[٢]

واستناداً لما تقدم نخلص في اطار الدليل النقلي على اثبات نظرية اختلاف مراتب الفهم في ضوء ذات المقاربة التي تشبّه القرآن بالمائدة ، الى ان جميع بني البشر يستفيدون من هذه المأدبة الغنّاء ، ولكن كل على حسب توجهه ومسلكه الخاص ، فالفلاسفة يركزون على المسائل الفلسفية ، في حين يؤكد العرفاء على القضايا العرفانية للاسلام ، والفقهاء على الأمور الفقهية ، والسياسيون على المسائل السياسية والاجتماعية للاسلام ، لكن يبقى الاسلام والقرآن هما كل شيء ، فالقرآن رحمة للبشر جميعاً ، ولهذا كان اختلاف مراتب فهمه ، كونه تضمن في خطابه لغة عامة الناس ، ولغة الفلاسفة ، ولغة العرفاء ولغة أهل المعرفة على اختلاف توجهاتهم.[٣]

يمكن القول بعد استعراض الأدلة المعرفية والنقلية على اختلاف مراتب الفهم لمستويات وعمق النص القرآني بأن المنهج العرفاني ينطلق من مقولة الكشف والشهود في طليعة المناهج التي تبنت النظرية الوجودية كإطار تفسيري لتفاوت واختلاف درجات فهم القرآن واختلاف مراتب معانيه.

فالمنهج العرفاني وفي اطار تبنيه لهذه النظرية ينطلق من بعض المرتكزات والتي يتمثل أهمها في التماثل والتناظر بين الوجود والانسان

---

(١) الانعام: ٥٩.

(٢) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: تفسير القرآن الكريم ، م. س : ٧: ٢٨٦.

(٣) (ظ) الخميني ، روح الله: صحيفة النور، م. س : ١٤: ٢٥١.

والقرآن. فللوجود مراتب وللانسان مثلها، وللوجود ظاهر وباطن وحد ومطلع على غرار الانسان والقرآن...العالم والانسان كلاهما مظاهر كلمات الله ، والانسان الكامل أتمها ، وفيه اجتمعت كل حقائق الوجود ، والقرآن كلمات الله الذي نزل على الانسان الكامل الذي يمثل الذروة في الفهم ، ثم يأتي من يليه يأخذ منه بحسب مرتبته واستعداده الوجودي. هذا التناظر قائم هو الآخر بين القرآن والوجود. فالعالم مصحف كبير تلاه الله علينا تلاوة حال ، وان القرآن عالم مطوي تلاه الحق علينا تلاوة قول...وعلى ضوء هذا التوازي الوجودي سيكون هناك تناظر بين مراتب الانسان ومراتب القرآن ، يؤول بالتالي الى تعدد مراتب الفهم وترتب بعضها على بعض.[١]

وبناءً على هذه الرؤية القائلة بالتناظر بين العالم والانسان والقرآن سيكون للانسان مراتب مختلفة في فهم القرآن تبعاً لمراتبه الوجودية التي تناظر المراتب الوجودية لظهور حقائق القرآن ، كما سيكون للانسان الكامل الذروة في سلم المراتب ، وهذا ما أشار اليه النبي الاكرم (ص) بقوله ((أوتيت جوامع الكلم))[٢].

ولايبدو هذا المنهج عاجزاً في استعراض النصوص التي تفيد أن النبي(ص) يمثل الحد الأقصى من معرفة القرآن وفهمه ، ثم تتوالى تلك المراتب وتتسع لتشمل أفراد أمته ، وذلك على خلفية قاعدة التوازي والتناظر بين القرآن والانسان والوجود...سيّما بعض النصوص التي تتضمن بعض التعابير الرائعة في وصف العلاقة بين الانسان والقرآن حينما يصفه بوصف

---

(١) (ظ) ابن عربي: الفتوحات المكية ، م. س : ٤: ٦١.

(٢) الترمذي ، ابوعيسى محمد بن عيسى : سنن الترمذي ، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الفكر العربي، بيروت ، ط٢، ١٩٨٣م، ٣: ١٢٨.

النزول. فالقرآن على ضوء هذا الفهم الوجودي ، كما نزل على النبي (ص) فهو في عملية نزول دائمة على قلوب أمته الى يوم القيامة.

فقوله ((**الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ *خَلَقَ الإِنسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**))[١] فينزل عليه القرآن ليترجم منه بما علّمه الحق من البيان الذي لم يقبله إلا هذا الانسان ، فكان للقرآن علم التمييز فعلم أين محله الذي ينزل عليه من العالم. فنزل على قلب محمد (ص) نزل به الروح الأمين ، ثم لا يزال ينزل على قلوب أمته الى يوم القيامة. فنزوله في القلوب جديد لا يبلى فهو الوحي الدائم...ولا يزال كلام الله يتلى من حين نزوله حروفاً وأصواتاً الى ان يرفع من الصدور...ولذلك فالارتقاء في الفهم سيتم على أساس تنقية الداخل وتزكية القلب وتوسيع قدرة التلقي من خلال الورع والتقوى.[٢]

وعلى ضوء هذه الرؤية التي تكشف عن تماثل بين القرآن والانسان والعالم ، سوف لن يكون شيء في الوجود إلا وله ظاهر وباطن وحد ومطلع بما في ذلك القرآن والانسان ، وهذا يشير مبدئياً الى أربع مراتب رئيسية للفهم ((فالرجال أربعة أصناف متوازية مع مراتب الوجود والنص ؛ رجال لهم الظاهر ، ورجال لهم الباطن ، ورجال لهم الحد ورجال لهم المطلع. وان الله لما أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة ، أبقى لهم باب الفهم عن الله في ما أوحى به الى نبيه (ص) في كتابه العزيز. وكان علي... يقول ما بقي بين أيدينا إلا أن يرزق الله عبداً فهماً في هذا القرآن...فما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع ، ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال))[٣].

---

(١) الرحمن: ١-٤.

(٢) (ظ) ابن عربي: الفتوحات المكية ، م. س : ٣: ١٠٨.

(٣) م.ن: ١: ١٨٧.

وهكذا تخلص هذه الرؤية ان السر في تعدد مراتب الفهم يرجع الى كينونة القرآن وانه يتألف من حقائق ذات مراتب متعددة ، ولما كان هناك تماثل بين القرآن والانسان فإن مراتب فهمه هو الآخر تتعدد تبعاً لمراتب النص القرآني.

وينبري عارف آخر من حملة هذا المنهج لذات النظرية ويعتمد الموازاة السابقة بين الوجود والقرآن والانسان على أساس أنها جميعاً تجليات لأسماء الله ، وانها تنطوي جميعاً على مراتب ودرجات يناظر كل واحد منها ما موجود في الآخر...فالعالم مقسم الى غيب وشهادة، وكذلك الانسان مشتمل على غيب وشهادة ، أي روح وجسم...وهناك صورة مماثلة تماماً لهذا التوازي الوجودي بين الانسان والقرآن...فالانسان حقيقة واحدة وله مراتب كثيرة وكذلك القرآن.[١]

ثم يخوض في التفاصيل بصورة أعمق ليكشف بوضوح عن جوهر هذه الرؤية فيقول: ((ان العوالم بكثرتها ثلاثة ، والمدارك الانسانية على شجونها ثلاثة ، والانسان بحسب غلبة كل واحد منها يقع في عالم من هذه العوالم والنشآت...فالناس أصناف ثلاثة ؛ أهل الدنيا وهم أهل الحس...وأهل الآخرة وهم الصلحاء...وأهل الله وهم العرفاء بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر))[٢].

وهنالك العديد من النتائج التي يرتبها العرفاء على هذه الرؤية الوجودية لثلاثية العالم والانسان والقرآن لعل أهمها هو أن القرآن الكريم ليس هذه

---

(١) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: الحكمة المتعالية ، ط٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨١م : ٢: ٣٩.

(٢) الشيرازي ، صدر الدين: تفسير القرآن الكريم ، م. س : ٤: ١٠١.

الالفاظ التي تقع بين الدفتين ، وانها ليست أكثر من التنزل الأخير للحقيقة القرآنية. والقرآن انما نزل الى العالم الأسفل لنجاة المحبوسين في سجن الدنيا...واكتسى بكسوة الالفاظ والعبارات رحمة من الله وشفقة على عباده وتأنيساً لهم ، وتقريباً الى أفهامهم ومداراة معهم ومنازلة الى أذواقهم ، وإلا فما للتراب ورب الأرباب.[١]

وقد انطلق السيد الخميني من هذه الرؤية في تعضيد نظرية اختلاف مراتب الفهم لدى الانسان تبعاً لاختلاف مستويات ومراتب النص القرآني حيث يعد القرآن حقيقة وهذه الحقيقة تسبق الالفاظ وتعلو عليها ، كونها ليست أكثر من قشور وصورة ، وبالتالي ((فالقرآن ليس من مقولة السمع والبصر ، ولا من مقولة الالفاظ ، ولا من مقولة الأعراض ، لكن انزل لهذه الدنيا من أجلنا))[٢].

والحقيقة القرآنية استناداً لهذه الرؤية العرفانية رفيعة سامية ، وهي عصية على الفهم والادراك ما دامها هناك حتى تتنزل ، ومن أهم بركات البعثة النبوية نزول تلك الحقيقة من عالم الغيب على قلب النبي (ص) ، ثم ظهرت للبشر في كسوة الألفاظ والحروف ، بحيث أصبح من السهولة بمكان التعاطي معها في نطاق الوجود الانساني وعلى مستوى دائرة الادراك ((فقد ظهر القرآن وصار بين يدي البشر بفعل اتصال النبي (ص) بمبدأ الفيض ، بحيث تجلى على قلبه...ثم جرى على لسانه...ولو كان القرآن هذه الأجزاء الثلاثين لم يكن ممكناً أن ينفذ الى القلب مرة واحدة ، خاصة هذه القلوب ،

---

(١) (ظ) الشيرازي: تفسير القرآن الكريم ، م. س : ٦: ٨.

(٢) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س : ١٦٣.

العادية ، لكن القلب باب آخر والقرآن تعبير عن حقيقة ، وهذه الحقيقة تنفذ الى القلب أيضاً))[١].

جدير بالذكر ان المراد بالانسان بالدرجة الأساس في النظرية الوجودية التي تتحدث عن المماثلة والتناظر بين القرآن والانسان والعالم ، هو الانسان الكامل الذي يمثل الذروة القصوى لتجليات الاسماء والصفات ، بل هو الكون الجامع والتجلي الأكبر للاسم الاعظم، وبالتالي فهو يجسد المرتبة القصوى على خط المعرفة ، كونه يعيش الحقيقة القرآنية مباشرة وعياناً ((بل هو هي ، وهي هو قبل ان يفترقا في النزول ويصيران مظهرين وتجليين))[٢].

---

(١) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س : ١٦٣.

(٢) م.ن.

الفصل الرابع

منهج التفسير العرفاني المستند الى الظاهر

الامام الخميني انموذجا

١- حجب التفسير

ان معرفة موانع فهم القرآن والحجب التي تصد عن الوقوف على معانيه تتيح للمفسر تعامل أفضل مع النص القرآني ، حيث تدفع به لتجاوز تلك الموانع وإزالة تلك الحجب بعد معرفتها بغية سبر أغوار النصوص القرآنية وادراك مضامينها والوقوف على حقائقها.

وقد نبّه العرفاء الى قضية الحجب وان رفعها يأتي في سياق الاداب المهمة التي ينبغي الالتزام بها من اجل فهم عمق القرآن.

ونخوض الآن في استعراض بعض هذه الحجب التي ذكرها الامام الخميني كوننا سنسلط الضوء على منهجه التفسيري العرفاني الذي يعتمد الباطن معتبراً بوابته ظاهر النص القرآني.

أ- حجاب غياب قصدية التعلم:

هنالك مطالبة بتأسيس علاقة بين المفسر والقرآن بغية تفادي التورط في الحجب التي تحول دون فهم باطن القرآن وعمقه المنطلق من الظاهر ، ولا تعني تلك العلاقة سوى انفتاح المفسر على القرآن قاصداً فهمه والتعلم منه.

وتأتي قصدية التعلم عند العرفاء خطوة تالية لمعرفة الانسان لمقاصد القرآن وفي مقدمتها التوحيد والتي من شأنها معالجة وازالة الحجب ((الان وبعد ان عرفت مقاصد هذه الصحيفة الالهية ومطالبها ، ثمَّ مسألة مهمة ينبغي أن تأخذها بنظر الاعتبار يفضي الالتفات اليها الى ان ينفتح أمامك

طريق الاستفادة من الكتاب الشريف ، وتتفرج على قلبك أبواب حكمه ومعارفه ، وتلك المسألة هي ان تنظر الى الكتاب الالهي الشريف بقصد التعلم ، وأن تعده كتاب تعليم وإفادة، وترى نفسك موظفاً بالتعلم والافادة منه)).[١]

وعلى هذا الاساس الذي ذهب اليه العرفاء والذي يتمثل في غياب قصد التعلم يفسرون ضآلة ما أفضت اليه العلاقة مع القرآن.

وبهذا الخصوص يقول السيد الخميني: ((ان السبب في ان استفادتنا من هذا الكتاب العظيم ضئيلة جداً يعود الى غياب هذا القصد ، فنحن لا نتعامل معه بقصد التعليم والتعلم ، بل غالبا ما تقتصر علاقتنا مع القرآن على القراءة فحسب ، نقرأ لغرض نيل الثواب والأجر ، لهذا لا نهتم إلا بجهاته التوحيدية ، فقصدنا ان نتلو القرآن صحيحاً لينالنا الثواب ، نحن نقنع بهذا القدر وتجمد علاقتنا مع القرآن عند هذه التخوم من دون ان نتخطاها)).[٢]

ولا ينبغي ان يفهم من كلام العرفاء هذا ان ثمة دعوة لاهمال تلاوة القرآن الكريم في أطر السياقات التي تمليها قواعد التجويد والترتيل ، لكون بحثهم يتمحور حول فهم القرآن والحجب والموانع التي تحول دونه ، وبالتالي فليست هنالك من علاقة بين قصدية التعلم والتلاوة وما تضمنته من آداب ، فالانسان يقرأ القرآن ليبلغ الفهم من دون ان تكون القراءة هدفا بحد ذاتها.

---

(١) آداب الصلاة ، م.س: ١٩١-١٩٢.

(٢) م.ن.

ب- حجاب الغرور وحب الذات

ان ثمة شعوراً وهمياً يسود أغلب المعنيين بحقول العلم والمعرفة يكمن في رؤية الانسان لذاته والذي يؤدي به في خاتمة المطاف الى التعالي والغرور والعزوف عن الفهم والتعلم.

ولا يستثني العرفاء من هذا الحجاب حتى المعنيين والعاكفين على الدراسات القرآنية وسائر المعارف الدينية ، بل أبعد من ذلك يرون ابتلاء هذا الوسط بما يفوق ما تعانيه سائر الاوساط العلمية والمعرفية ، وهذا ما يلحق ضرراً ببنية المعرفة القرآنية ومن ثم يتحول الى حجاب يصد عن الوقوف على معاني النص القرآني.

وتأسيساً على ذلك يقول العرفاء ((من الحجب الكبيرة حجاب الذاتية والغرور وتضخم الذات ، حيث يرى الانسان المتعلم نفسه بواسطة هذا الحجاب مستغنياً لا يحتاج الى الاستفادة...وهذه الخصلة من أهم كبريات مكائد الشيطان الذي يومي للانسان بالكمالات الموهومة على الدوام ويدعه راضياً بما عنده قانعاً به، مستخفاً بما وراءه عازفاً عن كل ما سواه)).[١]

ويتابع العرفاء تمثيلهم لتجليات ومصاديق تلك الحالة ومنها اقناع الشيطان لأهل التجويد بتزيين ذلك العلم لهم واسقاط سائر العلوم من أعينهم ، ويوهمهم بانطباق عنوان حملة القرآن عليهم ، ومن ثمّ يحرمهم من فهم القرآن ، كما يرضي أصحاب الاهتمام الادبي بتلك القشور والشكليات الخالية من اللب ، فيوحي لهم بأن القرآن بتمام شؤونه يتمثل بما عندهم ، ويشغل أهل التفاسير المألوفة بوجوه القراءات والآراء المختلفة لأرباب اللغة وسبب النزول والمدني والمكي وعدد الآيات والحروف وأمثال ذلك من

---

(١) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، م.س: ١٩٣.

الامور العرضية الخارجة عن المقصد ، والتي تستوجب بنفسها الاحتجاب عن القرآن والغفلة عن الذكر الالهي.[١]

ج- حجاب تضخيم النزعة اللغوية:

ان القرآن الكريم نص عربي ، وعليه فإن لهذه اللغة وآدابها وظيفتها التي تنهض بها ازاء النص القرآني. وهذه حقيقة واضحة لا يشك فيها أحد. لكن تبقى هناك ثمة فجوة بين التوافر على موضع الحاجة من قواعد هذه اللغة وآدابها في فهم معاني القرآن ، وبين اختزال القرآن في النص اللغوي والتعامل معه على هذا الاساس ، حيث تبدو اللغة في الفهم الاول وسيلة للفهم ، على حين تكون في الثاني غاية وهدف بحد ذاته.

يرفض العرفاء نزعة الاستغراق في اللغة وتضخيم جوانبها الأدبية من خلال منطلقين مرتبطين بأسس وأصول منهج المدرسة العرفانية في التفسير.[٢]

الاول منطلقهم الخاص الذي ينسجم مع نظريتهم في الفهم ، في ان هذه المدرسة لا تتعامل مع القرآن كنص لغوي ، وانما هو عبارة عن تنزلات كثيرة حتى بلغ المرحلة الاخيرة التي اكتسى فيها بحلة الالفاظ وكسوة الحروف والصيغة النصية التي بين أيدينا هي تنزل أخير للحقيقة القرآنية.

ويرون حسب نظريتهم في تناظر الانسان وجودياً مع القرآن ان لا يمكث عند هذه الالفاظ ويعكف على القشرة الاخيرة ، بل يرتقي على خط وجودي صاعد الى ما وراء الحروف والالفاظ ، ثم يواصل رقيه ليعيش

---

(١) (ظ) آداب الصلاة: م.س: ١٩٢.

(٢) (ظ) كسار، جواد علي: فهم القرآن: م.س: ٣١٤-٣١٥.

معاني القرآن وحقائقه على قدر سموه الوجودي والتكاملي ، وهذا ما يتطلب عدم تضخيم جانب اللغة وآدابها ، ويكتفي منها بالنزر القليل الذي يدع الانسان يفهم ظاهر النص القرآني الذي هو نص لغوي عربي في نهاية المطاف ، فهماً صحيحاً منسجماً مع قواعد اللغة.

الثاني ان القرآن نص لغوي مما لا مراء فيه ، بيد ان ذلك لا يسوغ العكوف على اللغة ، ذلك لأن لهذا النص اللغوي آفاقاً مديدة تشمل الكون والانسان والحياة ، وله معارف تعم عالمي الغيب والشهادة ((**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[١] و((**وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ**))[٢] و ((**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**))[٣]. وهكذا نص ستكون له بلا شك الكلمة الفصل في مسائل العقيدة من مبدأ ومعاد ورحلة الانسن وما بينهما ومصيره بعد ذلك ،...واهتمام متميز بتربية الانسان وتفجير مكنوناته واستعداداته الداخلية ، الى اشارات في الطبيعة والعلوم وغير ذلك ، فكيف يمكن ان تستوفيه اللغة وحدها ، أو ان تكون هي المنهج الافضل لادراك معارفه واكتناه معانيه...فللغة طاقات محدودة لا تتعداها ، ولها وظيفة خاصة بها ، لتترك المجال لما بعدها.

واستناداً للمنطلقين المذكورين توالت تحذيرات العرفاء من تضخيم النزعة اللغوية وما يصاحبها من اهتمامات تفصيلية تتراكم وتعلو ، حتى تحجب معارف القرآن ومعانيه وتتحول الى غاية مطلوبة بذاتها.

فللقرآن حقيقة خارج هذه الالفاظ هي التي ينبغي للمفسر ان يطلبها ، كما ان للقرآن مقاصد أساسية ينشدها صاحب الكتاب جل جلاله هي التي ينبغي

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الاعراف: ١٤٥.

(٣) الانعام: ٣٨.

تحريها، والاستغراق في اللغة وآدابها ليس فقط لا يشفي غليل النفس في بلوغ مقاصد القرآن ، بل يبعد عنها ويصد العقول والنفوس عن تحصيلها سيما بعد ان تتراكم وتتحول الى سد منيع يحول بين المفسر والقرآن.

وبهذا الخصوص يقول العارف ((صاحب هذا الكتاب ليس السكاكي والشيخ حتى يكون مقصده جهات البلاغة والفصاحة ، ولا سيبويه والخليل حتى يكون منظوره جهات النحو والصرف ، ولا المسعودي وابن خلكان حتى يكون مبتغاه البحث في اطراف تأريخ العالم ، كما ان هذا الكتاب ليس مثل عصا موسى ويده البيضاء أو روح عيسى التي تحيي الاموات لكي تكون الغاية منه الاعجاز والدلالة على صدق النبي الاكرم فحسب ، وانما هذه الصحيفة الالهية هي كتاب إحياء القلوب بالحياة الأبدية العلمية والمعارف الالهية)).[١]

وهذا ما سجله عارف آخر في اطار رفضه لتشديد النزعة اللغوية والاستغراق فيها والتي تتحول شيئاً فشيئاً الى حجاب غليظ يقف حائلاً بين المفسر والنص القرآني والمقصود الاصلي الذي يقف وراء نزول القرآن ، ذلك لأن ((المقصود الاصلي من انزال القرآن ليس إلا سياقة الخلق الى جوار الله بتكميل ذواتهم وتنوير قلوبهم بنور معرفة الله وآياته ، دون صرف الاوقات في نحو الكلام وتحسين الالفاظ وعلم البلاغة وفن البديع ، فإن ذلك من التوابع التي يقع الاحتجاج بها على المنكرين)).[٢]

ويفهم من ذلك ان اللغة وآدابها مطلوبة بالعرض لا بالذات ، وبالتالي الاستفادة منها بقدر الحاجة من دون مبالغة وإطناب. والمهم ان لا يطيل

---

(١) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، م.س: ١٩٤.

(٢) الشيرازي ، صدر الدين: مفاتيح الغيب ، م.س: ٦٢.

المفسر وقوفه عند اللفظ وينفذ الى ما وراء اللفظ ، وان وقوفه عند اللفظ من شأنه ان يحول اللغة الى غاية وليست واسطة ، وهذا هو مرادهم من تحول اللغة وآدابها الى حجاب ومانع يصد عن الفهم.

د- حجاب العلم:

يأتي هذا الحجاب امتداداً لما سبق ، كون نزعة التضخم والاستغراق في العلوم والمعارف الجزئية لا يقتصر على اللغة فحسب ، بل تمتد لتشمل كل العلوم وجميع المعارف.

وهنا يسجل أحد العرفاء انتقاده لأصحاب هذه النزعة التي لا يستثنى منها حتى العرفاء حين تحاصر عقولهم بالاصطلاحات ، بحيث لا يعودون يرون القرآن ولا يفقهونه إلا من خلال هذا الكم المتراكم من المصطلحات التي تفرزها علومهم ، وعند ذلك تتحول هذه المصطلحات الى حجب تحبس العارف في اطارها.[١]

وهذا ما أشار اليه عارف آخر حين عد العلم برمته ربما يكون حجاباً غليظاً يحول دون الانفتاح على النص القرآني وادراك مضامينه واماطة اللثام عن عمق حقائقه ((من الحجب الكبيرة هذا العلم نفسه ، فهو يشغل الانسان ويلهيه بهذه المفاهيم العقلية الكلية ، ومن ثم يصده عن الطريق...وكلما ازداد العلم صار الحجاب أكثر غلاظة)).[٢]

وكذلك يعتقد العرفاء بأن ثمة وجوهاً أخر لهذا الحجاب تبرز هذه المرة بالتصور الاحادي لمفهوم العلم الناشيء من ألفة الانسان لمصدر واحد في

---

(١) (ظ) ابن عربي ، محيي الدين: الفتوحات المكية ، م.س: ١٩٦.

(٢) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س: ١٤٢.

المعرفة وعدم انفتاحه ومعرفته بباقي المصادر ، وهذا ما يقوده الى الانكار ورفض معطيات معرفية أخرى غير متوفرة لديه.

ويستدلون على بعض مصاديق ذلك من قبيل اقتصار العلم على المشاهدة والتجربة ويعدون ذلك هو العلم وما سواه لا يمت بصلة لحقيقة العلم ، وهذا حجاب كبير يعاني منه الكثيرون.[١]

وعلى هذا الاساس يتحول العلم الى حجاب عندما يصد عن المعرفة ويحول دون الهداية ، ومن ثم يسد الطريق بوجه الانسان ((بمعنى ان ما ينبغي العثور عليه من خلال العلم يتحول بنفسه الى مانع ؛ فالعلم الذي ينبغي له هداية الانسان ينقلب الى مانع عن الهداية)).[٢]

ويرى العرفاء ان هذا الداء لا يختص بعلوم دون أخرى ، بما في ذلك علوم القرآن والتفسير ، بل حتى علم التوحيد الذي يصنف كأشرف العلوم في دائرة تصنيف العلوم الاسلامية ، أي حتى أشرف العلوم يمكن ان يتحول الى حجاب اذا قعد بالانسان عن بلوغ المقصد...فالعلم يتحول الى رادع يصد الانسان عن المقصد. وما يتحول الى رادع عن المقصد لا يعد علماً ، بل هو حجاب ، يستوي في ذلك العلم الشرعي وعلم التفسير وعلم التوحيد ، فعلم التوحيد يتحول الى مانع حين يسلك طريقه الى قلب غير مهذب.[٣]

واستناداً لذلك فإن بعض العرفاء يميلون الى تفسير هذه المشكلة على أساس أخلاقي بعيداً عن طبيعة العلم أو الممارسة العلمية ، بمعنى أنهم

---

(١) (ظ) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س: ١٤٢.

(٢) م.ن.

(٣) (ظ) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س: ١٤٢.

يحملون الانسان المسؤولية على أساس ضعفه الروحي وعدم تزكيته لباطنه وتهذيبه لأخلاقه ولا جريرة في ذلك للعلم.

وتأسيساً على ذلك فعندما يرد العلم الى قلب غير مهذب يؤدي الى تراجع الانسان ، وكلما ازداد العلم تفاقمت المصيبة ، فعندما تكون الارض سبخة فهي لا تثمر مهما القي فيها من بذور.[١]

هـ- حجاب التفسير والجمود على أقوال المفسرين:

يتوغل النص في حجاب التفسير من خلال الارتكاز الى سلطتي المأثور والسلف خاصة الصحابة منهم...فهنالك جمود على الظاهر وتحفظ من ممارسة الفهم والاجتهاد بذريعة الخوف من الانزلاق الى هوة التفسير بالرأي الممنوع. وهذا حجاب عظيم...الى جانب العكوف على المأثور والمراوحة في نطاق قول الصحابي وتفسيره وتفاسير الاوائل من التابعين حتى صار المتبادر الى أذهان أغلب الناس ان لا معنى للنص القرآني سوى ما روي عن ابن عباس وسائر المفسرين.[٢]

ويعتقد العرفاء ممن يؤمنون بضرورة فهم الظاهر القرآني للتوغل الى باطنه ان لا معنى لتعطيل القرآن وهجره بالمرة سوى الجمود على ما كتبه المفسرون وفهموه ، ومنع الاخرين من التدبر في آياته والتفكير بنصوصه خشية الوقوع في ورطة التفسير بالرأي.

وبهذا الخصوص يقول أحد العرفاء المعاصرين ((من الحجب الأخر المانعة من الاستفادة من هذه الصحيفة النورية ، الاعتقاد بأنه لا يحق لأحد

---

(١) (ظ) الخميني ، روح الله: تفسير سورة الحمد ، م.س: ١٤٢.

(٢) (ظ) الشيرازي ، صدر الدين: مفاتيح الغيب ، م.س: ٦٩.

ان يستفيد من القرآن الشريف غير ما كتبه المفسرون وباستثناء ما فهموه. لقد خلطوا عملية التفكير بالآيات الشريفة والتدبر بها بالتفسير بالرأي الذي يعد ممنوعا ، وعن طريق هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة عطلوا القرآن الشريف من جميع ضروب الافادة ، وجعلوه مهجوراً بالكامل ، في حين ان الاستفادات الاخلاقية والايمانية والعرفانية لا صلة لها بالتفسير أساساً فضلاً عن ان تكون تفسيراً بالرأي)).[١]

و- حجاب المعاصي:

تمثل الحجب السابقة موانع ادراكية نظرية لا صلة لها بطهارة القلب وتزكية الباطن والسير والسلوك الى الله ، لكونها تتعلق بجهة التعامل المنهجي مع القرآن نصا يتعاطاه المفسر عبر الممارسة الذهنية والرؤية العقلية بعيداً عن المنطلقات الاخلاقية ، في حين يبدو حجاب المعاصي في دائرة القلب.

والعرفاء عادة يتجاوزون الجانب العقلي الى القلب الذي من شأنه الوقوف على العديد من الاسرار والحقائق الكامنة في النص القرآني وان ما يرتكبه الانسان من معاص تشكل حجاباً تحول دون فهمه لتلك الحقائق ((من الحجب الأخرى المانعة عن فهم القرآن الشريف والاستفادة من معارف هذا الكتاب الالهي ومواعظه ، حجاب المعاصي والكدورات الناشئة عن الطغيان والكبر بازاء ساحة قدس ربّ العالمين ، مما يؤدي الى حجب القلب عن ادراك الحقائق)).[٢]

---

(١) الخميني ، روح الله: آداب الصلاة ، م.س: ١٩٩.

(٢) م.ن: ٢٠١.

ويشبه عارف آخر القلب أو روح الانسان بالمرآة والذي يجب ان لا يحجبه حائل عن المطلوب ، والشهوات حجب تطال القلب فتحول دون ادراكه للمعاني فيقول ((كلما كانت الشهوات أشد تراكماً كانت معاني الكلام أشد احتجاباً ، وكلما خفّ عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه ، فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة)).[١]

ز- حجاب حب الدنيا:

يأتي هذا الحجاب الذي يعيق الانسان عن الوقوف على حقائق القرآن كامتداد لحجاب المعاصي التي تطبع القلب ، حيث يعدّه العرفاء من الحجب الغليظة الاخرى التي تصرف القلب عن اكتناه معارف القرآن وتقصر همّه على الانغماس في الدنيا فتصير وجهته دنيوية بالكامل...وهنالك علاقة طردية بين حب الدنيا وهذا الحجاب ، فكلما ازداد التعلق بالدنيا أصبح حجاب القلب أضخم، ومن ثمّ يبلغ هذا الحجاب ذروته فيطفىء حتى نور الفطرة.[٢]

ولا يستبعد العرفاء أن يكون حب الدنيا في مقدمة أقفال القلوب التي أشارت اليها الآية القرآنية الكريمة ((**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**))[٣] فلا مناص لمن أراد دخول حريم القرآن ويتذوق معارفه من ان يطهر قلبه عن العلائق التي تمثل جوهر حب الدنيا ، فكما ان غير المطهر

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين ، م.س: ١: ٢٨٤.

(٢) (ظ) الخميني ، روح الله: م.س: ٢٠١-٢٠٢.

(٣) محمد: ٢٤.

بالطهارة الظاهرية ممنوع تشريعاً وتكليفاً من ظاهر هذا الكتاب...كذلك ممنوع من معارفه ومواعظه ومن باطنه وسرّه من كان قلبه ملوثاً بالارجاس والتعلقات الدنيوية.[١]

والذي نخلص اليه مما سبق أن ثمة حجبا تصد الانسان عن ملامسة وادراك باطن القرآن والوقوف على معانيه وحقائقه ، ما يتطلب معرفة هذه الحجب من أجل الغوص في باطن النص القرآني واكتناه مضامينه من خلال العمل على ازالة تلك الحجب.

وعد بعض العرفاء من أصحاب المنهج العرفاني التفسيري الباطني الذي يمر عبر الظاهر من دون الاستغراق فيه ان رفع الحجب المذكورة يأتي في سياق آداب التعاطي مع القرآن من أجل فهمه ومعرفة بطونه.

وقد أجملوا تلك الحجب بغياب قصد التعلم والغرور والعجب وحب الذات والمبالغة في النزعة اللغوية وحجاب العلم والجمود على أقوال المفسرين السابقين فضلا عن حجاب المعاصي وحب الدنيا والتي تحول جميعاً دون انفتاح الفكر والقلب على النص القرآني وفهم معانيه ومضامينه.

وعلى هذا الاساس يرد دور المنهج التفسيري العرفاني الذي ينفذ من خلال الظاهر القرآني الى باطنه بعد تخطي تلك الحجب.

وقد تجلى هذا المنهج بوضوح في تفسير أحد العرفاء المعاصرين وهو السيد الخميني والذي سنبحثه نموذجا لهذا المنهج في المبحث الاتي:

---

(١) (ظ) الخميني: م.س: ٢٠٢.

٢- نماذج من التفسير العرفاني المستند الى الظاهر

يتميز المنهج التفسيري للسيد الخميني(ت ١٤٠٩هـ) ببعض الخصائص تتمثل باستناده الى عنصر التدبر والاستنطاق لا التحميل في فهم القرآن ، وهذا ما يجسد عملياً مقتضيات تعدد البطون القرآنية الى جانب ظواهرها ، فضلا عن ميزة تأكيده على الجانب الاحتمالي لآرائه التفسيرية والذي يلعب دوراً بالغ الأهمية في مقاربة فهم البطون الأخرى للظواهر القرآنية ، كون الجزم في طرح التفسير يؤدي الى جمود الذهن عليه واغلاق أبواب التدبر ، ورغم ميزة المنهج العرفانية الواضحة ، لكنه لا يغفل آراء وأقوال الاخرين من غير العرفاء واستنطاقاتهم للنصوص القرآنية ، وهذا الأمر يجعل هذا المنهج شمولياً يستوعب كل الالتفاتات الواردة بشأن النص القرآني.[١]

وتأسيساً على ذلك يوازن هذا المنهج العرفاني العلاقة بين الظاهر والباطن في تفسير النصوص القرآنية ، حيث الظاهر عنوان الباطن والمدخل اليه ، وليس بينهما أي انفصام أو قطيعة أو تعارض ، واللفظ والعبارة هما تجلي للمعنى والحقيقة.[٢]

وعلى هذا الأساس يرى ان العارف الكامل الذي يعتمد هذا المنهج هو من قرأ وتدبر ظاهر الكتاب وباطنه ، وغاص في صورته ومعناه ، فالظاهر بلا باطن والصورة بلا معنى كالجسد بلا روح والدنيا بلا آخرة ، كما ان

---

(١) (ظ)المحمود ، حسن علي: المعرفة وفقا للمنهج العرفاني ، م س : ١٣٩.

(٢) (ظ) الخميني: شرح دعاء السحر ، م.س: ٧٣.

الباطن لا يمكن تحصيله إلا عن طريق الظاهر ، فان الدنيا مزرعة الآخرة.[١]

فهذا المنهج كما هو واضح يؤمن بالظاهر ولا يعمل على الغائه ، غير انه يذم الاستغراق فيه ، كما يهاجم المنحى الباطني الذي يحد من قيمة الظاهر وعليه يعد الظهر والباطن معاً في تفسير النص القرآني وان كلا منهما يمر عبر الآخر.

ومما يفهم من المنهج العرفاني الظاهري للخميني انه يركز على مقاصد القرآن ، اذ التفسير لديه يتمثل بالكشف عن مقاصد النص القرآني وفهم مراده، ويشخص المقصد لجميع الكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن بتعريف الحق تعالى بجميع ما له من اسماء وصفات ، وصولا الى نشر التوحيد والمعارف الالهية.[٢]

ويقترح الخميني طريقتين لتحري مقاصد القرآن التي ينبغي للمنهج التفسيري ان يعكف على كشفها وبيانها وشرحها ؛ طريقة البحث العقلي والممارسة البرهانية، والاخرى الرجوع الى النص القرآني واستنطاقه والتدبر في مضمونه.[٣]

وتأكيداً على ضرورة عرفانية المنهج التفسيري وعدم الاكتفاء بظاهر النص القرآني من دون ضم الباطن اليه والذي من شأنه ان يكمله ويجعله مفتوحاً لمزيد من الافهام ، كون القرآن ليس كتاب قصة أو تأريخ ، بقدر ما هو كتاب سير وسلوك الى الله وكتاب توحيد ومعارف ، وإن ثمة لطائف

---

(١) (ظ) الخميني: شرح دعاء السحر ، م.س: ٩٦-٩٧.

(٢) (ظ) م.ن: ١٥٣.

(٣) (ظ) كسار: م.س: ١١٣.

عرفانية كامنة في النص القرآني لابد للمفسر من بذل قصارى جهده من اجل الوقوف عليها لتكون مشاعل تضيء طريق الانسان وتأخذ بيده الى السير والسلوك والانفتاح على الحقائق.

وبخصوص القصص القرآنية والاستفادات العرفانية والاخلاقية التي يمكن استكشافها ما أورده السيد الخميني في منهجه التفسيري حول قصة موسى ... والعبد الصالح أنه لو تأمل الانسان في المحاورة التي جرت بينهما وقيام موسى ... بشد رحاله رغم عظم منزلته طلباً لعلم لم يكن عنده ، وكيفية عرضه حاجته على العبد الصالح كما ورد في الآية القرآنية الشريفة ((**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**))[١] وجواب العبد الصالح ، واعتذارات موسى ... المتكررة ، لاستفاد من ذلك كله عظمة مقام العلم ، وبعض آداب تعامل المتعلم مع المعلم ، وان الكثير من استفادات القرآن من هذا القبيل.[٢]

فالمنهج هنا لم يكتف بتفسير ظاهر النص وانما عبّر من خلاله لبعض الامور التي ربما لا يكتشفها المفسر للوهلة الاولى والتي تتطلب منه نوعا من الغوص في باطن القرآن.

وعلى هذا الاساس تعامل مع الآية الشريفة ((**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**))[٣] على ان ظاهر الآية يحكي عن حياة يوسف ومكر اخوته لابعاده عن أبيه ، في حين أن ثمة عبرة عرفانية كامنة وراء ذلك الظاهر ، وهي ان المخالفين لطريق الهداية ، يحاولون ان يسرقوا

---

(١) الكهف: ٦٦.

(٢) (ظ) الاصفهاني ، محمد الرضائي: م.س: ٢١٣.

(٣) يوسف: ١٢.

أولادكم بحجة اللعب ، ولابد ان تحذروا من ذلك...كما يسعى المستعمرون عن طريق مختلف الطرق الى فصل جيل الشباب عن أمتهم ، وسوقهم الى التيه والضياع...والقرآن لم يقص علينا هذا القصص لكي نتسلى بها ، بل قال ((**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ**))[١]. فهذه القصص عبرة ؛ أي لابد من العبور من ظاهر الالفاظ الى ما ورائها والوصول الى الباطن.[٢]

ولعل في هذا المنهج ما يجسد غضاضة القرآن وتعاليه على الزمان والمكان على أساس امكانية الاستفادة مما ورد فيه من اشارات وتعليمات في كل زمان ومكان وهذا ما يمنحه أحد أسباب الخلود.

ويركز السيد الخميني في منهجه التفسيري على أهم مقصد من مقاصد القرآن والذي يتمثل بالتوحيد ، ومنه يطرح آراءه في مفهوم الوجود والتسبيح والتجلي وسائر المفاهيم التي تعتمدها المدرسة العرفانية.

وفي اطار تناوله لبعض الآيات ذات الدلالة على توحيد الذات والصفات يسجل تحفظه على ما أورده المفسرون بهذا الخصوص بالقول ((أن علماء الظاهر والمحدثين والفقهاء رضوان الله عليهم فسروا تلك الآيات على نحو مخالف ، بل مباين بالكامل لما فسرها به اهل المعرفة وعلماء الباطن)).[٣]

وتأسيساً على هذه الرؤية التوحيدية العرفانية في تفسيره لسورة التوحيد يقر بادىء ذي بدء بأن ذلك يفوق طاقة استيعابه ويتجاوز قدراته الفكرية والعقلية ، ولولا حكم العقل بأن الميسور لا يسقط بالمعسور ، لما خاض في تفسير السورة.

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) (ظ) الخميني ، روح الله : صحيفة نور، م س: ١٨: ٣٥٩

(٣) آداب الصلاة ، م.س: ١٨٥.

فقد استهل تفسيره السورة معلقاً على البسملة ليعتبرها حسب مسلك أهل العرفان تتعلق بنفس السورة المبدوءة بها ، لأن اسم الله يكون تمام المشيئة حسب مقام الظهور ، ويكون مقام الفيض الأقدس ، حسب تجلي الأحد ومقام جمع اسماء الأحد ، حسب مقام الواحد...وبناءً على ذلك يختلف معنى ((الله)) حسب اختلاف الاعتبارات في الاسم ، لأن ((الله)) يكون المسمى لتلك الاسماء فعند اختلاف الاعتبارات يختلف المفهوم من ((الله)) ، وعليه يختلف معنى البسملة في كل سورة لاختلاف متعلقه من سورة لأخرى من السور القرآنية التي هي متعلقة في اللفظ ومظهره في المعنى.[١]

ويضيف أن العارف بالمظاهر ، وظهور الاسماء الالهية ، يرى ويشاهد بأن جميع الافعال والاعمال والاعيان ظاهرة ومتحققة بالاسم الشريف الاعظم ، وبمقام المشيئة المطلقة.. فيقول بسم الله أي بسبب مقام المشيئة المطلقة ، لصاحب مقام الرحمانية الذي هو بسط الوجود ، ومقام الرحيمية الذي هو بسط مقام كمال الوجود ، أو بسبب مقام المشيئة المطلقة لصاحب مقام الرحمانية الذي هو مقام التجلي بالظهور وبسط الوجود ، ومقام الرحيمية الذي هو مقام التجلي بالباطن وقبض الوجود آكل وأشرب وأكتب وأفعل كذا وكذا.[٢]

ويخلص من كل ذلك الى ان العارف يرى من جهة ظهور المشيئة المطلقة في جميع الافعال وفناء تلك المشيئة فيها ، فيرى هيمنة سلطان الوحدة ، ويكون لديه معنى بسم الله في جميع السور القرآنية والاعمال

---

(١) (ظ) الاربعون حديثا ، م.س: ٧٢٧-٧٢٨.

(٢)(ظ) م.ن: ٧٢٧-٧٢٨.

والافعال بمعنى واحد ، على حين يرى من جهة أخرى انطلاقا من عالم الكثرة والاختلاف لكل بسملة في اول كل سورة معنى يغاير الآخر.[١]

وفسر لفظ الجلالة ((الله)) بالاسم الجامع الاعظم للرب المطلق معتبراً سبب تقديمه على ((أحد)) رغم كون الاسماء الذاتية متقدمة اعتباراً على الاسماء الصفاتية ، اشارة الى مقام التجلي في قلب السالك ، كون أول ما يتجلى في قلب العارف الاسماء الصفاتية ثم الاسماء الذاتية الأحدية.[٢]

وانطلاقاً من منهجه التفسيري الذي يؤمن بالثنائية وان لكل ظاهر باطنا ، اعتبر الضمير ((هو)) يرمز الى مقام انقطعت عنه آمال العارفين ، وتنزه عن كل تجل وظهور.

ويضيف في مواصلة تفسيره لـ ((أحد)) الواردة في السورة ليعدها تجلي الاسماء الباطنية الغيبية ، على حين يشير لفظ الجلالة الى تجلي الاسماء الظاهرية ، والاسماء الاربعة الاخرى – الصمد – لم يلد – لم يولد – لم يكن له كفوا أحد – هي اسماء سلبية تنزيهية تابعة للاسماء الثبوتية الجمالية.[٣]

وعلى هذا الاساس يخالف السيد الخميني حذو المفسرين من العامة والخاصة فيما ذهبوا اليه من كون التوحيد من الفطرة ، وانما ينطلق من مبانيه العرفانية في اثبات التوحيد من خلال نزوع الانسان لحب الكمال ونفرته من النقص.

---

(١) (ظ) الاربعون حديثا ، م.س: ٧٢٩.

(٢) م.ن.

(٣)(ظ) الاربعون حديثا ، م.س: ٧٢٩.

فيقول بهذا الخصوص في تفسيره للفطرة الواردة في الآية ((**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ...**))[١] ((ان من الامور الفطرية التي فطر الناس عليها هو النفور من النقص...فالفطرة تنفر من النقص والعيب ، كما انها تنجذب الى الكمال. فالفطرة لابد وان تتوجه الى الواحد الأحد ، لأن كل كثير ومركب ناقص، ولا تكون كثرة من دون محدودية مع أن المحدودية نقص. وكل نقص مرغوب عنه من جانب الفطرة وليس بمرغوب فيه)).[٢]

ويستدرك السيد الخميني لتأكيد صحة مشربه العرفاني في ما ذهب اليه بضرورة معرفة ان الفطرة وان فسرت في العديد من الاحاديث بالتوحيد ، الا ان ذلك من قبيل بيان المصداق ، أو التفسير بأشرف أجزاء الشيء ، ويستدل على ذلك بذات الآية الشريفة التي اعتبرت ((الدين)) هو ((فطرة الله)) مع ان الدين يشمل التوحيد والمبادىء الاخرى...وهكذا فسرت الفطرة بالاسلام والمعرفة ، وعندها فهي ليست مقصورة على التوحيد ، وان جميع المبادىء الحقة هي من الامور التي فطر الله الانسان عليها.[٣]

وكذلك وظف السيد الخميني منهجه التفسيري العرفاني في انموذج آخر من الآيات القرآنية وردت على لسان الامام زين العابدين (ع) حين سئل عن التوحيد فقال ((ان الله عزوجل علم انه سيكون في آخر الزمان أقوام

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الخميني، الاربعون حديث ، م٠س: ٧٢٩

(٣)(ظ) الاربعون حديثا ، م.س: ٢٢١-٢٢٢.

متعمقون ، فانزل الله تعالى ((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**))[١] والآيات من سورة الحديد الى قوله ((**وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**))[٢] فمن رام وراء ذلك فقد هلك)).[٣]

يستهل تفسيره للآية الاولى ((**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[٤] التي تعلن صراحة تسبيح الموجودات بأسرها لله رب العالمين ، ليعتبر هذا التسبيح تسبيحاً حقيقياً وليس مجازياً بدلالته الوجودية على وجود الخالق ، ولو كان المقصود منه التسبيح بلسان الحال أو التسبيح الوجودي التكويني ، لما كان من معنى للاستدراك في الآية ((**وَلَكِن لا تَفْقَهُونُ تَسْبِيحَهُمْ**))[٥].

ويسوغ ذلك بما أسماه سابقاً بالحجب التي تحول دون الادراك ، إذ ان الموجودات السفلية الادنى من الانسان تنعكس فيها جميع الكمالات ، غاية الأمر ان هذا الانعكاس بقدر سعتها الوجودية ، فلديها ادراك أيضاً الموجود لدى الانسان ، نحن محجوبون فلا نفهم تسبيح الموجودات ، والذين لا يعلمون أن من الممكن ان يكون هناك ادراك لموجود ناقص يفسرون هذا التسبيح بأنه التسبيح التكويني في حين ما تصرح به الآية غير ذلك.[٦]

ويضيف بهذا الخصوص جريا على مسلكه العرفاني الذي ينطلق من الكشف والشهود والسير والسلوك وتزكية النفس وطهارة القلب ليقول ((من

---

(١) الاخلاص: ١.

(٢) الحديد: ٦.

(٣) الكليني: الاصول من الكافي ، كتاب التوحيد ، باب السنة ، ط٢ ، : ٣: ٦٣.

(٤) الحديد: ١.

(٥) الاسراء: ٤٤.

(٦) (ظ) تفسير سورة الحمد ، م.س: ٢١-٢٢.

ذاق طعم حقيقة أصالة الوجود على مسلك العرفاء...واذا بلغ مقام المشاهدة بواسطة ترويض النفس والحالات المعنوية ، لشاهد بأم عينيه وسمع دوي تسبيح الموجودات وتقديسها ، ومن المؤسف أن سكر المادة والطبيعة قد أوهن العين والسمع والحواس الاخرى ، ومنعنا من الوقوف على الحقائق الوجودية. فكما أن بيننا وبين الحق عزوجل حجباً من الظلام وحجباً من النور تمنعنا من مشاهدة ألطاف الحق سبحانه ، كذلك بيننا وبين الكائنات الاخرى ، بل بيننا وبين أنفسنا حجب تفصلنا عن ادراك حياتها وعلمها وكافة شؤونها)).[١]

بيد ان السيد الخميني لا يؤمن بتجريد النص القرآني من ظاهره ، لكونه يعتقد بأنه البوابة التي يلج منها الى الباطن ، ان ما يعتمده من كشف وشهود لا يعتبره تاما ما لم يقم على تأييده الدليل العقلي أو النقلي.

وتأسيساً على ما تقدم يستدل على ما ذهب اليه بالقرآن والسنة فيقول ((اذا فرضنا إمكان تأويل آيات التسبيح ، على أساس التسبيح التكويني أو الفطري فما الذي نفعله مع الآية المباركة ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**))[٢] أو الآية ((**فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**))[٣] أو الأخبار المأثورة عن أهل بيت

---

(١) تفسير سورة الحمد ، م.س: ٢٣.

(٢) النمل: ١٨.

(٣) النمل: ٢٢-٢٣.

العصمة والطهارة الصريحة في وعي الحيوانات والكائنات الأخرى ، والتي تمتنع عن التأويل)).[١]

ويعتقد السيد الخميني بأن منتهى التوحيد قد صورته الآية القرآنية المباركة ((**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[٢].

فيقول في اطار تفسيره العرفاني للآية ((انها اشارة الى مالكية الحق لملكوت السماوات والارض ، هذه المالكية والاحاطة والسلطنة ونفوذ القدرة والتصرف، التي يتم بالتبع لها الاحياء والاماتة ، والظهور والرجوع ، والبسط والقبض ، وهذه النظرة تقضي باستهلاك جميع التصرفات وكل التدبيرات واضمحلالها في تصرف الحق وتدبيره ، وهذا منتهى التوحيد)).[٣]

ويضيف كعادته في عدم الجزم بما يقدمه من تفسير بأن صدر الآية وذيلها ، يمكن ان يكون اشارة الى الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة في مقام التجلي الفعلي بالفيض المقدس ، كما هو واضح عند العرفاء.[٤]

ويلقي السيد الخميني باللائمة على من يعترض على كلمات العرفاء مستدلا على صحة منهجهم بالآية القرآنية الشريفة ((**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ**

---

(١) الاربعون حديثا ، م.س: ٧٣٢-٧٣٣.

(٢) الحديد: ٢.

(٣) الاربعون حديثا ، م.س: ٧٣٤.

(٤) (ظ) م.ن.

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[١] في انها تضمنت معاني عرفانية عميقة جاوزت ما لدى العرفاء ، بحيث أصبح فهم هذه الآية يمثل منتهى سلوك السالكين وغاية آمال العارفين ، كونها جسدت حقيقة التوحيد الذاتي والاسمائي بتعبير رائع وفريد.

فيقول بهذا الخصوص: ((قد علم العارف بالمعارف الحقة لأرباب المعرفة واليقين ، والسالك طريق أصحاب القلوب والسالكين ، ان منتهى سلوك السالكين وغاية آمال العارفين ، هو فهم هذه الآية الكريمة.

وليس ثمّ تعبير لحقيقة التوحيد الذاتي والاسمائي أفضل من هذا التعبير...قسماً بحقيقة العرفان ، ان العارف المجذوب والعاشق لجمال المحبوب ، تستولي عليه لسماع هذه الآية هزة ملكوتية ، وانبساط إلهي، يقصر عنه ثوب البيان ، وتعجز الموجودات كلها عن استيعابه وتحمله....

ويجدر باولئك الذين يعترضون على كلمات العرفاء وعلماء الله وأولياء الرحمن ، أن يتأملوا كلماتهم وينظروا أي عارف رباني أو سالك مجذوب استطاع ان يأتي بأكثر مما تضمنته هذه الآية الكريمة...فها هي ذي الآية الكريمة ، وتلك هي كتب العرفاء المشحونة عرفاناً فقارنوا)).[٢]

وفي تفسيره للآية الشريفة ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**))[٣]

---

(١) الحديد: ٣.

(٢) الاربعون: ٧٣٥.

(٣) الحديد: ٤.

اعتبر أن تفسيرها مما تحير به أرباب العقول وجهابذة العرفان ، كل حسب منهجه ومسلكه.

فالتفسير الظاهري للآية كما يراه أن المقصود من الخلق في ستة أيام ، انه لو قدرت مدة خلق السماوات والارض في الزمان لتطابقت مع ستة أيام ، غير انه وانطلاقاً من منهجه التفسيري العرفاني الذي يعبر فيه من الظاهر الى الباطن ، يحتمل معاني أخرى وأفهام لهذه الآية الشريفة.

فيقول بهذا الخصوص وانطلاقاً من نظرية مراتب الوجود ومراتب الفهم ((فإن الايام الستة التي انتهى فيها خلق السماوات والارض ، مما ينتهي الى عرش الله وعرش الرحمن..هذه الايام هي المراتب الصعودية الست في العالم الكبيرة. وان عرش استواء الحق الظاهر بالقهارية التامة والمالكية ، هو مرتبة المشيئة والفيض الرحماني المقدس ، وظهوره التام بعد رفع التعينات والفراغ من خلق السماوات والارض)).[١]

وجرياً على طريقته التفسيرية التي تتمثل بذكر سائر الاقوال الواردة في تفسير الآية يتطرق الى ما أورده علم الهيئة المعاصر بهذا الخصوص والذي لا يتعارض حسب ما ذكر مع التفسير العرفاني[٢] ولا مع ظاهر الآية الشريفة.

جدير ذكره أنه يذكر سائر الوجوه على سبيل الاحتمال دون الجزم فيقول بهذا الشأن ((ينطلق هذا الاحتمال من واقع وجود منظومات شمسية كثيرة أخرى غير منظومتنا الشمسية ، ومن ثم يكون المراد من السماوات والارض هذه المنظومة الشمسية ذاتها والمدارات والكواكب التابعة لها ،

---

(١) الاربعون: ٧٣٦-٧٣٧.

(٢) (ظ) م.ن.

وان تحديدها بالايام الستة هو بحسب منظومة شمسية اخرى ، وهذا الاحتمال أقرب الى الظاهر من بقية الاحتمالات ، ولا يتصادم مع الاحتمالات العرفانية ؛ لأن تلك الاحتمالات مسوقة بحسب بطن من بطون القرآن الكريم)).[١]

ويضيف بأن ما ورد في نهاية الآية ((**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ**)) هو اشارة الى علمه تعالى بكل جزئي من مراتب الوجود في سلسلة عالم الغيب والشهود في قوس النزول والصعود ، وبقوله ((**وَهُوَ مَعَكُمْ**)) الى المعية القيومية للحق سبحانه، وان أحداً لا يعرف كيفية ذلك العلم أو ادراك حقيقة تلك القيومية للحق سوى الخواص من الاولياء.[٢]

وفسر قوله تعالى ((**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**))[٣] بمالكية الحق وعود كل نظام دائرة الوجود اليه ، فضلا عن كونها اشارة الى ارتباط نظام الوجود باسم المالك.[٤]

على حين تحفظ عن الفهم العرفاني للآية الشريفة ((**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**))[٥] واكتفى في تفسيرها بأنها اشارة الى اختلاف الليل والنهار ، وان القدر الذي ينقص من أحدهما يضاف

---

(١) الاربعون: ٧٣٦-٧٣٧.

(٢) م.ن: ٧٣٨.

(٣) الحديد: ٥.

(٤) (ظ) الاربعون: ٧٣٨.

(٥) الحديد: ٦.

الى الآخر، وان كل ما يضاف على أحدهما ينقص من الآخر ، وان في هذا الاختلاف منافع كثيرة حسب ظاهر الآية.[١]

واختتم كلامه بالتعليق على ما ورد في آخر الحديث بشأن سورة التوحيد والآيات الست الاولى من سورة الحديد ((فمن رام وراء ذلك فقد هلك)) بأنها اشارة الى هذا المستوى من المعارف ، وسوف يسقط في الخطأ كل من يظن بوجود معارف أخرى فوقها ، ويعد أيضاً من الهلاك والموت والجهل بمقام الربوبية في الاقل من هذا المستوى من المعارف التي اختزنتها هذه الآيات المباركة.[٢]

والذي يبدو أن هذا الفهم لا يتناقض وما ورد في تفسير هذه الآيات من قبل المفسرين الذين اكتفوا بالتعامل مع ظاهر النص القرآني. وانه يشكل دافعاً لتعامل جديد مع القرآن لاستنطاق كنوزه التي لا تنضب والتي تنسجم مع خلود القرآن وغضاضته وطراوته بعيداً عن عنصري الزمان والمكان.

ويتناول السيد الخميني أحد أهم مباني المنهج العرفاني المتمثل بالانسان الكامل في اطار تفسيره للآية القرآنية الكريمة ((**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**))[٣] حيث يعتقد بأن الانسان الكامل هو الانسان الذي يبلغ أقصى المراحل الممكنة في الكمال من خلال العلم والعمل فيجتاز في مقام العمل بعد التخلية والتحلية مراحل الاسفار الاربعة

---

(١) (ظ) الاربعون ، م س : ٧٣٨.

(٢) م.ن: ٧٣٩.

(٣) الفتح: ١-٢.

الى الله ، فيكون خليفة الله على الارض ومظهر الاسماء والصفات ومَثل الحق وآيته.[١]

وقد اجتهد المفسرون في طرح وجوه في تفسير الآية بما يحول دون تنافيها مع عصمة النبي الاكرم (ص). ومنها ما ذكره العلامة الطباطبائي ((ان المراد ما تقدم من ذنبه وما تأخر مغفرة ما تقدم من ذنوب أمته وما تأخر منها بشفاعته صلى الله عليه وآله ، ولا ضير في اضافة ذنوب أمته(ص) اليه للاتصال والسبب بينه وبين أمته)).[٢]

ويقر السيد الخميني هذا التفسير الظاهري للآية انطلاقاً من مبانيه العرفانية في التفسير وفي مقدمتها نظرية الانسان الكامل قائلاً ((لهذا التوجيه على مسلك العرفاء وجه وجيه ، فلابد أن نعلم ان العين الثابت للانسان الكامل ، مظهر اسم الله الاعظم الذي يكون إمام أئمة الاسماء وأما أعيان كافة الموجودات فهي في ظل عين الانسان الكامل في العلم وعالم الاعيان ، متقررة ، وفي عالم العين والتحقق تكون موجودة – اذن تكون أعيان جميع دائرة الوجود مظهر عين الانسان الكامل في عالم الاعيان ، وتكون جميع الموجودات مظاهر جماله وجلاله في عالم الظهور ، ولهذا كل نقص يقع في عالم التحقق ، وكل ذنب يبرز من المظاهر ، سواء كان من الذنوب التكوينية أو التشريعية ، ينسب الى الظاهر حقيقة لا مجازا لمكان الظاهر والمظهر)).[٣]

---

(١) (ظ) الاربعون حديثا: ٧٤٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، م.س: ١٨: ٢١٠.

(٣) الاربعون حديثا ، م. س : ٣٨٦.

وانطلاقاً من منهجه العرفاني أيضاً يخوض في تفسير الفتح الوارد في الآية الشريفة بعد ان يسلم بظاهرها الذي يعني صلح الحديبية ، غير انه يعبر من ذلك الظاهر الى بعض البطون التي يمكن فهمها بما لا يتعارض والظاهر. حيث يعتقد وفقاً لمسلكه العرفاني بثلاثة أنواع من الفتوحات تختزنها الآية القرآنية.

يعتقد بخصوص هذه الفتوحات ان الفتح عبارة عن فتح أبواب المعارف والعلوم والمكاشفات على الانسان من قبل الحق سبحانه بعد ان كانت مؤصدة في وجهه ومغلقة عليه. فما دام الانسان في البيت المظلم للنفس ، وهو مشدود بالتعلقات والرغبات النفسية ، تكون أبواب المعارف والمكاشفات مسدودة عليه، وعندما يغادر هذا البيت ببركة ترويض النفس ، تنفتح ابواب قلبه عليها ، وتلقى المعارف في قلبه ، ويدعى هذا القلب بالفتح القريب ، لأنه أول الفتوحات وأقربها وإليه اشارت الآية ((**نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**))[١][٢].

ثم يواصل كلامه لينطلق من هذا الفتح الى فتح آخر معتقدا ان السالك في عالم القلب والنقوش والتعينات مستحوذة عليه ، تكون أبواب الاسماء والصفات مغلوقة ومسدودة عليه ، فاذا تلاشت تلك الرسوم من عالم القلب ، بواسطة تجليات الاسماء والصفات ، وأفنت تلك التجليات ، صفات القلب وتعيناته وكمالاته ، تحقق الفتح المبين ، وانفتحت عليه باب الاسماء والصفات...وغفرت ذنوبه ، وقوله تعالى ((**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**))[٣] تلويح لهذا الفتح ، ومعناه انا فتحنا عليك

(١) الصف: ١٣.

(٢) ظ: الخميني ، روح الله : الاربعون حديث ، ص٣٨٩.

(٣) الفتح: ١-٢.

عالم الاسماء والصفات فتحا مبينا ، حتى نغفر لك في ظل غفارية الاسماء الالهية.

ثم ينتهي بالفتح الثالث بالقول : ما دام السالك في حجاب كثرات الاسماء ، وتعينات الصفات ، تكون أبواب التجليات الذاتية مغلقة في وجهه ، وحينما تتم التجليات الذاتية الأحدية عليه ، وتباد النقوش الخلقية والأمرية بأسرها من قلبه، ويغرق العبد في عين الجمع يكون الفتح المطلق وغفران الذنب المطلق ، واستتر بواسطة التجلي الاحدي على الذنب الذاتي الذي يكون مصدراً لكل الذنوب ، وقوله تعالى ((**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**))[١] اشارة الى هذا الفتح.

ويختتم كلامه بأن العبد اذا بلغ هذا المقام يحدث له الموت والفناء التام ولذلك نعى رسول الله (ص) نفسه حين نزلت عليه هذه الآية.[٢]

وفي معرض حديث السيد الخميني عن التقوى في اطار تفسيره للآية القرآنية المباركة ((**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**))[٣] يؤكد منهجه التفسيري القائم على الغوص في الباطن انطلاقاً من الظاهر ، الى جانب افساح المجال لمزيد من الافهام للنص القرآني عبر ذكر التفسير على سبيل الاحتمال بعيداً عن الجزم والاستئثار بالرأي.

---

(١) النصر: ١.

(٢) (ظ) الاربعون حديثا ، م. س : ٣٨٩-٣٩١.

(٣) الحشر: ١٨.

واستناداً لما تقدم فقد طرح خمسة احتمالات بشأن التقوى الواردة في الآية الشريفة وكالآتي:[١]

١- يمكن أن تكون الآية خطاباً لمن أحرز مراتب الايمان ، مثل ايمان العامة ، وعلى ضوء هذا الاحتمال يكون الأمر بالتقوى هو أمر بأول مراتبها ، وهي التقوى العامة المتمثلة باجتناب مخالفة الاحكام الظاهرية...فهي ناظرة الى الاعمال الظاهرية...ليكون ذلك مفتاحاً لمراتب أخرى ومقامات أسمى.

٢- يمكن أن تكون خطاباً لمن وصل الايمان قلبه...والتقوى هنا ليست اتقاء الاعمال غير اللائقة ، بل هي تقوى عن التوجه الى الغير...هي تقوى عن فسح المجال لغير الله لدخول حرم القلب...وبهذا يكون المراد من قوله ((وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)) الافعال القلبية التي لها في الملكوت صورة...وسيكون ختام الآية ان الله خبير بخطرات جميع القلوب.

٣- ان يكون الخطاب موجهاً الى اصحاب الايمان من خواص أهل المعرفة ، الولهين بمقام الربوبية وعاشقي جمال الجميل الذين يرون بنور القلب والمعرفة الباطنية...ولعل التقوى المقصودة هنا هي تقوى عن رؤية الكثرات...هي تقوى عن التوجه الى الغير ، ولو على نحو التوجه الى الحق.

٤- احتمال ان يكون الخطاب موجهاً لاولئك النخبة من خلص الاولياء الذين طووا مرحلة رؤية الحق في الخلق ، ورؤية جمال حضرة الوحدة في الكثرة الفعلية فلا أثر لغبار الخلق على مرآة مشاهدتهم...أفتنتهم التجليات الاسمائية عن الغير ، لا يشاهدون سوى مظاهر الاسماء. والتقوى هنا عن رؤية التكثرات الاسمائية والمظاهر الرحمانية والرحيمية وسائر أسماء الله ،

---

(١) (ظ)صحيفة نور، م. س: ١٨: ٢٤٧

حتى لكأن صوتاً يرن أسماعهم ، أن ليس هناك إلا مظهر واحد لا غير...وهذا مقام الفناء في المطلق.

٥- أشمل الاحتمالات وأجمعها ، ان يحمل كل لفظ في الآية مثل ((آمنوا)) و((اتقوا)) و ((لتنظر)) و ((ما قدمت)) وهكذا ، على معانيها المطلقة ؛ إذ هي جميعاً مراتب لتلك الحقائق...واذا كانت ثمة احتمالات أخرى فهي تندرج في هذا الاحتمال ، ومن ثم فهو يشمل أي فئة أو طائفة من المؤمنين بالمعنى الحقيقي بوصفها مصاديق للعنوان المطلق.

والذي يبدو للباحثة ان الاكتفاء بظاهر القرآن وان كان في نفسه حجة ، لكنه قد يحول دون استنطاق القرآن وسبر أغواره وكشف حقائقه إن أصبح حاجزاً أمام المفسر خشية التورط في التفسير بالرأي المذموم ، والا سيدفعه الى مزيد من التدبر والتفكير لتقديم فهم جديد ورؤية جديدة تنسجم وحلاوة القرآن وعمقه وتعاليه على الزمان والمكان.

ويتبين مما سبق أن العرفاء يعتقدون بوجود بعض الحجب التي تعيق فهم النص القرآني وتحول دون الغوص في أعماقه من قبيل غياب قصدية التعلم من القرآن والاستماع اليه ، وغرور العلم وحب الذات والاستغراق في الامور اللغوية واجترار أقوال سابق المفسرين بمعنى الجمود على سلطتي المأثور والسلف ناهيك عن حجاب حب الدنيا والمعاصي الذي يعمي القلب عن رؤية الحقائق.

ويعتقد العرفاء من أصحاب المنهج التفسيري الباطني الظاهري بالتلازم الوثيق بين الظاهر والباطن ، وان الظاهر يؤدي للباطن ، وان لا باطن دون ظاهر ، شريطة ان لا يتعارض هذا الباطن وأحكام الشريعة ومسلمات العقل والوحي ، والا يفقد حجيته على الآخرين ويبقى في دائرة النظرية.

الفصل الخامس

منهج التفسير العرفاني المستند الى الباطن

السيد حيدر الاملي انموذجا

١- التفسير الباطني

المراد من التفسير الباطني ذلك التفسير الذي يرى أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وان المراد منه باطنه. وما يبدو للفهم من الظاهر القرآني ليس مراد الله حقيقة، وعندها لا يصلح هذا الظاهر كحجة يمكن الاعتماد عليها أو الاستدلال بها ، بل يجب بذل الجهد لاستكشاف باطن القرآن ، والتفسير الصحيح للقرآن يقتصر على بيان باطنه ، سيما وقد تواترت الروايات التي شحنت بها الكتب الروائية والتفسيرية للفريقين والتي تحدثت صراحة عن باطن القرآن.

وعلى هذا الأساس ، برر هذا الاتجاه التفسيري تمسكه بالباطن كون الظاهر القرآني معلوم من اللغة ، ونسبته الى الباطن كنسبة القشور الى اللب ، والمتمسك بالظاهر معذب بالمشقة في الاكتساب ، وباطنه مؤد الى ترك العمل بظاهره[١]. والدليل على ذلك قوله تبارك وتعالى ((**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**))[٢].

فالعمل بباطن القرآن سبباً للرحمة ، في حين ليست هناك من نتيجة للتمسك بالظاهر سوى العذاب. فالمهم فهم باطن القرآن ، والتفسير الصحيح بناءً على ذلك هو التفسير الباطني.

---

(١) (ظ) الجرجاني ، علي بن محمد: شرح المواقف ، م.س : ٨: ٣٨٨.

(٢) الحديد: ١٣.

ورفض بعض الباحثين الاستدلال القرآني المذكور كمبرر للتمسك بالباطن القرآني في التفسير من دون الأخذ بظاهره. ذلك لأن النظر الى سياق الآية يوضح انها قد نزلت لبيان حالة المؤمنين والمنافقين في يوم القيامة ، فهي تشير الى إقامة سور يفصل بين المؤمنين والمنافقين آنذاك ، حيث تكون الرحمة مع المؤمنين في داخله ، والعذاب قريناً للمنافقين خارجه ، وليست هنالك من علاقة بين هذا المضمون وبين ظاهر القرآن وباطنه.[١]

واستدلوا ببعض الروايات التي صرحت باشتمال القرآن على الظاهر والباطن، مع انها لا تدل على أن المراد من القرآن باطنه فقط ، بل تدل على أن المراد هو ظاهر وباطن القرآن معاً. والدليل على ذلك الاستدلالات والارجاعات الكثيرة للأئمة الاطهار (عليهم السلام) الى ظاهر القرآن الكريم والتي تثبت حجة ظواهر القرآن.[٢]

والذي يراه الباحث عدم استقامة هذا الاتجاه التفسيري الذي يقتصر تفسيره على فهم باطن القرآن دون ظاهره ، وليس هنالك من نصوص قرآنية أو روائية تدل على ذلك ، رغم تصريحها بوجود الظاهر والباطن معاً ، وانه يتضمن خطورة واضحة تتمثل في تنكره لاعتبار حجية ظاهر القرآن الكريم. غير ان وجود الباطن في القرآن يدعونا الى ضرورة التعرف على ماهية هذا الباطن ، بغية الوقوف على المعايير والضوابط التي من شأنها ان تهدينا للحكم على صحة التفسير الباطني من عدمها ، وهذا ما سنتناوله في الفقرة القادمة.

---

(١) (ظ) بابائي ، على اكبر: مدارس التفسير الاسلامي ، م. س : ٢: ١١٠.

(٢) (ظ) بابائي ، على اكبر: مكاتب تفسيري، م. س : ١: ٢٨١-٢٨٣.

ـ ماهية الباطن

اختلفت آراء المفسرين حول المراد من باطن القرآن ، وقد تضمنت عباراتهم العديد من الوجوه والاحتمالات التي يمكن ايجازها في ما يلي:

١ـ ان ظاهر القرآن هو تلاوته وقراءته ، وباطن القرآن تدبره والتفكر فيه وفهمه.(١)

٢ـ ان ظاهر الآية القرآنية ذلك الذي يتضح للعالم به ، أما باطن القرآن فهو الأسرار الكامنة في باطن الآية والتي أطلع الله عليها أهل الحقيقة.(٢)

٣ـ ان ظاهر القرآن تفسيره ، وباطنه تأويله.(٣)

٤ـ ان ظاهر القرآن هو المعنى الذي يستعمل اللفظ فيه ويدل عليه. أما باطنه فهو المعاني التي لم يستعمل اللفظ فيها ولكنها تكون مقصودة عند استعمال اللفظ في معناه الظاهر ، حيث يفهم ذلك من القرائن.(٤)

٥ـ ان الظاهر والباطن هي معان متعددة نسبية مقصودة من الكلام أحدها في طول الآخر. ففي الوهلة الاولى يفهم من أي كلام معناه البسيط. ومع التحليل البسيط يظهر معنى ثان ، وهذا المعنى يعد باطناً بالنسبة الى

---

(١) (ظ) البغوي، ابي محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، دار طيبة ، ط٢، ١٩٨٩م : ١: ٣٥.

(٢) (ظ) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، م. س : ٢: ٢٢٠.

(٣)(ظ) الالوسي: ، ابوالفضل شهاب الدين ، روح المعاني ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط٤، ١٤٠٥هـ: ١: ٨.

(٤) (ظ) الايرواني ، علي: نهاية النهاية في شرح الكفاية: ١ ، مكتبة الاعلام ، قم ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ٦٠.

المعنى البسيط الاول ، ولكنه يعد ظاهراً بالنسبة الى المعنى الثالث الذي يفهم مع التحليل الأدق. فالظاهر معنى واضح يفهم للوهلة الاولى ، والباطن ما يبدو خلفه من معنى.[١]

وبما ان البحث عن باطن القرآن هو بحث روائي ، وأن الدليل على وجود الباطن للقرآن هي الروايات ؛ فان الاجابة عن المقصود من باطن القرآن لابد ان تعتمد على الروايات أيضاً ، بعبارة أخرى يجب ان نرى كيف تحدثت هذه الروايات التي أخبرتنا عن وجود الباطن عن ماهيته ، بغية الوقوف على مدى صحة وسقم الاقوال المذكورة من خلال وضعها على محك الخصائص التي ذكرتها الروايات لباطن القرآن.[٢]

وبخصوص الباطن روى الفريقان عن رسول الله (ص) أنه قال ((ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن))[٣]. ويظهر من بعض الروايات المعتبرة أن ظاهر وباطن الآيات هما نوعان من المعاني التي أرادها الله من تلك الآيات. فالظاهر هو المعنى الذي تدل الآيات عليه دلالة واضحة بناءً على المفاهيم العرفية للكلمات والقواعد الادبية العربية وأصول المحاورة العقلائية ، والباطن هو المعنى الذي لا تكون دلالة الآيات عليه صريحة بناءً على المفاهيم والقواعد والاصول المذكورة.[٤]

ومما يؤيد ذلك ما روي بسند معتبر عن عبد الله بن سنان أنه قال ((أتيت أبا عبد الله ... فقلت له: جعلني الله فداك ، ما معنى قول الله تبارك وتعالى

---

(١) (ظ) الطباطبائي: الميزان ، م. س : ٣: ٧٤.

(٢) (ظ) بابائي ، مدارس التفسير الاسلامي ، م. س : ٢: ١٢١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب: اصول الكافي،م. س،كتاب فضائلا القران،ح٢: ٢: ٢٩

(٤)(ظ) اللواتي، محمد رضا: العرفان الاسلامي، م. س: ٧٨

((**ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**))[١]؟ قال: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك. قال: قلت: جعلت فداك ، فان ذريحا المحاربي حدثني عنك انك قلت ((**لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**)) لقاء الامام. قال: صدق ذريح وصدقتُ ، ان للقرآن ظاهراً وباطناً ، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح))[٢].

والذي يبدو من هذه الرواية ان الامام الصادق ... قد ذكر معنيين للآية ، أولهما أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك ، وثانيهما لقاء الامام. والمعنى الأول الذي يمكن للجميع تحمله وقبوله هو ظاهر القرآن ، وأما المعنى الثاني الذي لا يتحمله إلا أفراد خاصون كذريح المحاربي وأمثاله فهو باطن القرآن. والوجه في ذلك هو ان المعنى الأول يناسب المفهوم العرفي للجملة المذكورة ، واما اعتبارها بمعنى زيارة الامام ولقائه فبعيد عن الذهن ويصعب على الافراد العاديين قبوله ، بل تنحصر امكانية قبول هذا المعنى في اولئك الذين لديهم معرفة عالية بالائمة المعصومين وعلمهم الخاص ، مع انه يمكن توجيه المعنى الثاني بالقول بأنه بما ان زيارة الامام ولقائه تكون سبباً لازالة الكدورات المعنوية والرذائل الاخلاقية ، فان ارادة مثل هذا المعنى من الآية تعد صحيحة، لكن قدرة فهم ذلك ليست متوفرة لدى الجميع.[٣]

---

(١) الحج: ٢٩.

(٢) الصدوق ، محمد بن علي: من لا يحضره الفقيه ، م. س : ٢: ٣٦٩.

(٣) بعد ان ذكر العلامة المجلسي المعاني المختلفة الواردة في الروايات لهذا القسم من الآية الكريمة ((ثم ليقضوا تفثهم)) قال: ومقتضى الجمع بين الاخبار حمل قضاء التفث على إزالة كل ما يشين الانسان في بدنه وقلبه وروحه ، ليشمل ازالة الاوساخ البدنية بقص الاظفار وأخذ الشارب ونتف الابط وغيرها ، وازالة وسخ الذنوب عن القلب بالكلام الطيب والكفارة ونحوهما ، وازالة دنس الجهل عن

ونقل عن رسول الله (ص) أنه قال ضمن رواية طويلة في وصف القرآن الكريم ((وله ظهر وبطن ، فظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق))[١].

والذي يفهم من هذه الرواية أن ظاهر وباطن القرآن هما نوعان من المعاني التي تعطيه آيات القرآن ؛ حيث تم تفسير الظاهر بالمحكم والباطن بالعلم ، ووصف ظاهره بالأناقة وباطنه بالعمق. وهذا مما لا تناقض فيه ولا اختلاف مع ما يستفاد من الروايات الماضية حول ماهية الباطن.

ويتبين من مجموع الروايات ان باطن القرآن هو المعاني والمصاديق التي تكون دلالة وانطباق الآيات عليها غير واضحة. وهذه المعاني ذات مراتب ، وبعضها يمكن ادراكه بالتأمل لغير النبي (ص) والأئمة المعصومين ... وبعضها الآخر أبعد من الدلالة العرفية للآيات ، فلا يستطيع أحد غير الراسخين في العلم إدراكه من خلال القواعد الأدبية وأصول المحاورة العقلائية.[٢]

ويتبين مما سبق أن التفسير الباطني ينطلق من مقولة اشتمال القرآن على الظاهر والباطن ، غير انه يركز على الباطن كونه مراد الله حقيقة على خلاف الظاهر ، وكي يكون التفسير صحيحاً فلابد من الاقتصار على بيان الباطن.

الروح بلقاء الامام (ع) ففسر كل خبر ببعض معانيه على وفق أفهام المخاطبين ومناسبة احوالهم. مرآة العقول: ١٨: ٢٤٨.

(١) الكليني: اصول الكافي، م. س، كتاب فضائل القران ، ٢: ١٠٩

(٢) (ظ) بابائي ، علي اكبر: مكاتب تفسيري ، م س ، ٧٨.

وقد اختلف المفسرون في المراد بباطن القرآن ليتمثل بالتلاوة والقراءة والتدبر والتفكر والفهم ، وانه الاسرار الكامنة في النص القرآني ، وهو التأويل ، وانه المعاني الطولية المترتبة على فهم الآية.

وللوقوف على المراد بهذا الباطن فلابد من الاستعانة بالروايات كون البحث الروائي هو الذي عالج قضية وجود الباطن في النص القرآني ، حيث تبين ان باطن القرآن هو المعاني والمصاديق التي لا تكون دلالة وانطباق الآيات عليها واضحة وان تلك المعاني مرتبة طولياً بعضها يتعذر ادراكها على غير الراسخين في العلم لأنها أبعد من الدلالة العرفية للآيات ، في حين يمكن ادراك بعضها الآخر من خلال التأمل والتدبر.

٢ـ نماذج من التفسير الباطني

يتميز منهج التفسير الباطني لدى العرفاء بالتعامل مع النص القرآني من حيث وقعه في النفس ، ومن حيث إيحاءاته الروحية في تجربة الايمان[١]...فيبذل المفسر قصارى جهوده في صرف الآية عن ظاهرها لاشارة خفية تظهر لأرباب السلوك ، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر في بعض الاحوال.[٢]

فهو تفسير كما يبدو للباحث يقوم على أساس استنباط معان لا يحتملها النص في ظاهره بحسب قانون اللغة العام.

ـ نماذج من منهج التفسير الباطني

للمفسر السيد حيدر بن علي الآملي (ت ٧٨٢هـ).

يعد الاملي شخصية مميزة في تاريخ التصوف ، مع انه شيعي المذهب ولم يكن في بداية حياته من اتباع مدرسة التصوف والعرفان ، حيث سعى للجمع بين التصوف والتشيع وبيان نقاط التواصل بينهما، وقد بذل قصارى جهده ليبرهن على حقيقة توحدهما، فكان النجاح حليفه تارة والفشل تارة اخرى.

اما منهجه التفسيري فيقوم على اساس النظرة الصوفية الى القران والتي تعني استكناه التص القراني من خلال النفاذ الى باطنه، والاستغراق

---

(١) (ظ) زيعور ، علي: حقائق التفسير القرآني ، بيروت ، عز الدين ، ط١ ، ١٩٩٣م: ٥٣.

(٢) (ظ) الزرقاني ، عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦م: ٢: ٧٨.

على مضامينه التي تتبدى للعارف خلف ستار الالفاظ والكلمات، والهدف هو رؤية الحقيقة الكلية للوجود ، وادراك صور العالم بافاقه وانفسه الموجودة في كلمات القران ، فالمعرفة الحقيقية هي تلك التي تنتهج الذوق منهجا، والفطرة طريقا، والنفحات الالهية سبيلا، والكشف والالهام آلة ووسيلة[١].

وقد تناثر منهج الاملي التفسيري في اغلب كتبه فضلا عن تفسيره الموسوم بالمحيط الاعظم.

وسيتطرق البحث الى نماذج من تفسيره للنصوص القرانية على اساس منهجه المذكور.

يستهل الآملي كلامه عن التوحيد في انه ينطوي على حقيقة يتعذر على المرء الوصول الى كنهها من خلال الظاهر والعبارة الصريحة ، بل حتى الاشارة أو التلميح ، فكلا هذين الأمرين ((حجاب في طريق المعرفة الحقيقة ، وهذه الحقيقة منزهة عن ان تصل الى ادراك كنهها العقول ، مقدسة عن ان تظفر بها الافكار))[٢].

ولا يقصد الآملي بهذه المبالغة في تنزيه مرتبة التوحيد عن الادراك والارتقاء بها فوق حدود التعامل مع الظاهر التأكيد على استحالة الوصول الى هذه المرتبة، بل قصد التدليل على صعوبة الطريق الموصل اليه والذي لا يعد ميسورا لكل أحد ، ولا ممكنا لكل طالب وارد.[٣]

---

(١) (ظ) حمية ، خنجر علي : العرفان الشيعي ، م س : ٤٦٧

(٢) جامع الاسرار: م.س: ٧٠.

(٣) (ظ) حمية ، خنجر علي: م.س: ١٦٣.

ومن هنا فان الآملي يتناول التوحيد على أساس الظاهر والذي يسميه بتعريف أهل الشرع ، الى جانب التركيز على المرتبة المذكورة والتي يصطلح عليها بالباطن ، فيعرف التوحيد على أنه جعل الشيئين شيئاً واحداً ، أو جعل الوجودين وجوداً واحداً...فهو نفي الآلهة المقيدة واثبات إله مطلق على ضوء مصطلح اهل الشرع ، أو نفي الوجودات المقيدة واثبات الوجود المطلق طبق مصطلح اهل الباطن والحقيقة.[١]

وجرياً على طريقته في تقسيم التعامل مع النصوص على وفق مستويات ثلاثة يعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة يصنف التوحيد الى قسمين توحيد ألوهي ووجودي.

والتوحيد الالوهي لدى الاملي هو توحيد اهل الشريعة ، وهو التوحيد الظاهري العام ، وتوحيد الانبياء ، ويراد به دعوة الخلق الى عبادة إله مطلق ، والتخلي عن عبادة آلهة كثيرة مقيدة ، أو دعوة الخلق الى اثبات إله واحد ، ونفي آلهة كثيرة ، والذي تجسد بقوله تعالى ((**قُلْ يا أهل الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[٢]. والتوحيد هذا توحيد أهل الشريعة ، وهو كذلك توحيد أهل الطريقة ، ولا اختلاف فيه أبداً[٣].

أما التوحيد الوجودي فهو التوحيد الباطن والذي يختص حسب الاملي بالعرفاء الاولياء ، وغايته وصول الخلق الى مشاهدة وجود مطلق والعزوف

---

(١) (ظ) نص النصوص ، م. س : ٣٥١.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) (ظ) أسرار الشريعة ، م. س : ٧١.

عن مشاهدة موجودات كثيرة مقيدة ، أو اثبات وجود واحد حق واجب بالذات ونفي وجودات كثيرة ممكنة بالذات ، معدومة في نفس الأمر.[١]

ولا يفوت الآملي الاستدلال على انحصار التوحيد في القسمين المذكورين انطلاقاً من كون التوحيد يقابل الشرك ،بل لابد ان تكون أقسامه كأقسام الشرك ، فهناك الشرك الجلي والخفي ، إذ الشرك إما ان يكون في الظاهر وإما ان يكون في الباطن ، فإن كان في الظاهر كعبادة الاوثان والاصنام فهو الموسوم بالشرك الجلي...وهو يقابل التوحيد الالوهي ، وان كان باطناً كإثبات وجود الغير من الممكن والمحدث...فهو الموسوم بالشرك الخفي ، وهو واقع بازاء التوحيد الوجودي.[٢]

ويستدرك الاملي بأن ما ذكره لا يعني انحصار دعوة الانبياء بالتوحيد الظاهري وانهم لم يكن لهم حظ من التوحيد الباطن ولم يدعو إليه ، وانحصار دعوة الاولياء بالتوحيد الباطن ، وانهم لم يكن لهم حظ من التوحيد الظاهر ، ولم ينشروه وبحثوا عليه.

ولذلك يقول: ((الانبياء وان كانوا مخصوصين بالتوحيد الالوهي داعين اليه في الظاهر ومأمورين به ، لكنهم كانوا في الباطن مرشدين الى التوحيد الوجودي آمرين به أيضاً ، وكلتا الدعوتين واجبة على الانبياء ، لكن الاولى هي دعوة للعوام ، لأجل ذلك روعيت فيها مرتبتهم ، والثانية للخاص وخاص الخاص ولأجل ذلك روعيت فيها مرتبتهم. والأولياء وان كانوا مرشدين الى التوحيد الوجودي في الباطن مأمورين به ، لكنهم كانوا في

---

(١) (ظ) المحيط الاعظم ، م. س ، م. س : ٢١٩.

(٢) (ظ) نص النصوص ، م. س : ٣٥٦.

الظاهر داعين الى التوحيد الالوهي ، هاوين اليه ، متابعة للأنبياء وتأسياً بطريقهم))[١].

وهكذا يستنتج بأن كلا منهما جامع في دعوته لمرتبتي الظاهر والباطن واللتين تشكلان حقيقة الشرع والاسلام ، وهذه الجامعية هي التوحيد الحقيقي...المسمى بالصراط المستقيم. واليمين والشمال الحافان به هما طرفا إفراطه وتفريطه ، المعبر عنهما بالشرك الجلي والخفي ، ومن الصعوبة بمكان الاقامة على هكذا جامعية ، على حين الانحراف عنها في غاية السهولة. ولذلك مدح الله الثابتين عليه بقوله: ((**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**))[٢] وذم الناكثين عنها واصفاً اياهم بعدم الايمان وقلة الثبات بقوله ((**وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنْ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ**))[٣].

والصراط هذا بحسب راي الاملي هو التوحيد الجامع الذي أشير اليه بقوله تبارك وتعالى ((**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**)).[٤]

ويختتم الاملي تفسيره وتعريفه للتوحيد بالتركيز على التوحيد الوجودي أو التوحيد الباطني سواء في هذه النشأة أم في النشأة الأخرى ، معتبراً التوحيد الالوهي مجرد مقدمة وطريق لحصول الوجودي فيقول: ((ولا يعني افتراض أن التوحيد الالوهي هو توحيد ظاهر الشريعة ، وأنه أساس دعوة الانبياء ، أنه هو المقصود في هذه النشأة لا غير ، بل المقصود في هذه

---

(١) نص النصوص ، م. س: ٣٥٨.

(٢) ابراهيم: ٢٧.

(٣) المؤمنون: ٧٤.

(٤) الانعام: ١٥٣.

النشأة كما في النشأة الاخرى هو التوحيد الوجودي لا غير ، وهو الاصل ، والمراد الاساس في مقام الشريعة))[١].

والذي يبدو للباحثة أن هذه الرؤية التوحيدية تنطلق من المفهوم الذي يؤمن به العرفاء والذي يصطلح عليه بوحدة الوجود والذي يعني أنه ليس في الوجود إلا الحق تبارك وتعالى وكل الوجودات انما هي تجل لذلك الوجود.

والعارف يبني معارفه ومطالبه على الشهود والكشف والوجدان والعرفان ، وهي تحصل له بالفيض من الله والتجلي ، المعبر عنها بالكشف تارة والالهام تارة أخرى.

ويلقي الاملي باللائمة على المناهج التي يسلكها الفلاسفة والمتكلمون ويصفها بالعقم كونها لا توصل الى الغاية في معرفة الحق وما يرتبط به ، إذ أن معرفة كهذه لا تتم ولا يمكن بلوغها إلا بمعرفة كشفية وبشهود تام واضح وجلي. كون المعرفة الشهودية تمتلك الاحاطة بكل علم...فهي معرفة قيومية...وموضوع هذه المعرفة هو الحق تعالى.[٢]

وعلى هذا الأساس يتعامل الاملي مع مفهوم المعرفة الحقيقية على أنها محفوظة في قلوب الناس مستودعة فيها بالقوة ، والقلوب خزائن لا تشرع أبوابها ولا تفتح إلا بالمجاهدة والرياضة...ولو علم الناس ما تنطوي عليه قلوبهم من العلوم لقصدوها ، ولو قصدوها لحصلوا عليها بأدنى تعب وأقل جهد وأقصر وقت. فيقول بهذا الخصوص ((إن قلب ابن آدم كالبئر ، ومثل العلوم كالمياه المستودعة فيه ، ومثل اخراجها بالمجاهدة والرياضة ورفع الموانع كحفر البئر...فمن حفر قلبه ظهر له ماء العلوم الحقيقية المستودعة

---

(١) جامع الاسرار، م. س : ١٠٠.

(٢) (ظ)حمية ، خنجر علي: م.س: ٢٧٧.

في جبلته ، وكانت سبباً للحياة المعنوية في الدنيا ، وللبقاء الابدي والكمال الحقيقي والوصول الى الحضرة الالهية في الاخرة ، وهو سبب العروج والصفاء...إذ منبعه التجليات الالهية والافاضات الرياضية))[١].

ويعتقد الاملي أن ثمة مناسبة بين الماء والعلم الحقيقي ، فالعلم لو تجسد لكان ماءً للطافته وقبوله وسهولة جريانه وانكشاف ما في داخله من الاشياء بلا مانع ذاتي، الى جانب استعمال لفظي الماء والعلم بمعنى واحد في أكثر ما ذكرا فيه من آيات في القرآن كقوله تعالى ((**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**))[٢]. إذ لم يكن ثمة وجود للماء قبل العرش ، فيكون المراد من الماء ((العلم الموسوم بماء الحياة، الساري في جميع الموجودات ، المعبّر عنه بالهوية الالهية الحقيقية ، وبالحقيقة الانسانية ، وبالعلم الحقيقي الذي به حياة كل شيء))[٣].

وفي اطار تعاطيه المنهج الباطني في تفسير النصوص القرآنية وصرفها عن ظاهرها ، ومبالغته في تحميلها ما يقصده من معان ويهدف اليه من تحميل لتصوراته وآرائه[٤]. يقول في تفسير قوله تعالى ((**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**))[٥] أن بني آدم لا يعلمون ما أخفينا لهم في جبلتهم وطينتهم من العلوم الحقيقية التي بها تقر عيونهم ، وبها يستغنون.[٦]

---

(١) جامع الاسرار، م. س : ٥٠٩.

(٢) هود: ٧.

(٣) جامع الاسرار ، م. س : ٥١٩.

(٤) (ظ) حمية ، خنجر علي: م.س: ٢٩٩.

(٥) السجدة: ١٧.

(٦) (ظ)جامع الاسرار ، م. س : ٥١٠.

وفسر الآية الشريفة ((**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**))[١] استناداً لمنهجه المذكور بعيداً عن الظاهر القرآني ليقول ((أي لو أقاموا أركان الشريعة المعبر عنها بالتوراة من حيث الظاهر ، وأقاموا أركانها من حيث الباطن ، وهو المعبر عنه بالانجيل ، وأقاموا ما أنزل اليهم ، وهو القرآن والعمل به ، لشاهدوا الحقائق الروحانية...وأدركوا حقائق الملك والملكوت ، وشاهدوا لطائف القدس والجبروت مشاهدة علمية حقيقية ، وكشفاً عينياً ، وذوقاً شهودياً ، والاخير نهاية المراتب في المعرفة))[٢].

فالاملي يؤمن على غرار سائر أصحاب هذا المنهج بأن المعرفة الحقيقية نابعة من باطن الانسان مودعة في قلبه والسبيل الى بلوغها يتوقف على المجاهدة والرياضة.

وجرياً على عادته في اعتماد منهجه الباطني في التعامل مع النص القرآني ، قال في تفسيره للآية القرآنية المباركة ((**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**))[٣] ان ((النون عبارة عن تفصيل العلوم والحقائق ، وهو بمثابة القلم الصوري ، وهو هنا النفس الكلية ، وما يسطرون يعني ما يسطر القلم والدواة من الموجودات والحقائق من الكتاب الالهي الذي هو الموجود المطلق))[٤].

---

(١) المائدة: ٦٦.

(٢) جامع الاسرار ، م. س : ٥١١.

(٣) القلم: ١.

(٤) جامع الاسرار ، م. س : ٥٤٩.

ويردف ذلك بقوله:((أن ما يكتب بالقلم على صفحة اللوح قسمان ؛ الاول العلوم والمعارف ، والثاني حقائق الاعيان وماهيات الموجودات ، يعني وجود الحقائق والماهيات المسماة بالكلمات الالهية ، والاول المفاض بواسطة العقل الاول محله النفوس ، والثاني محله صفحة الوجود بأسره ، واذا كانت النفس يجوز أن تسمى باللوح ، فإن الوجود بكليته هو الكتاب ، وهو الذي أشار اليه القرآن بقوله ((**وَالطُّورِ*وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ* فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**))[١] وليس الطور سوى العقل ، سمي بذلك لعلوه وارتفاع درجته ، والكتاب المسطور هو النفس الكلية ، والرق المنشور هو الوجود كله على التفصيل)).[٢]

وفسر قوله تعالى ((**حم * تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ...**))[٣]. أن الحاء هنا عبارة عن الحق تعالى ، والميم مظهره ، ومضمون القسم هو أن القرآن الجامع لحقائق هذا العالم ، والتي هي صورة إجمالها تنزل من لدنه بواسطة مظهريه وهما الرحمن والرحيم ، أو العقل والنفس ، ففصلت آياته من خلالهما بعد إجمالها في علم الحق.[٤]

---

(١) الطور: ١-٣.

(٢) جامع الاسرار، م. س : ٥٦٧.

(٣) فصلت: ١-٥.

(٤) (ظ) جامع الاسرار ، م. س : ٥٦٩.

وأشار الاملي بخصوص الحجاب الوارد في الآية الشريفة الى انه قد يشكل مانعاً عن قبول معاني القرآن وادراك حقائقه ، ولابد من تصفية القلب والتوجه التام الى الحق بغية الوقوف على تلك الحقائق.

ويضيف الاملي أن ثمة مراتب لغلظة ورقة تلك الحجب ذكرها القرآن الكريم ، فقوله تعالى ((**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**))[١]. إذ الرين أدنى مراتب هذه الحجب وأرقها ، وقوله ((**وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**))[٢] والطبع أكثف الحجب وأغلظها ، ومثلها ليست قابلة للاصلاح والازالة ، ولذلك سماها الحق بالاقفال في قوله ((**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**))[٣].

ويخلص الاملي الى نتيجة عقب اتضاح كون الحجاب مانعاً عن المعرفة الى ان ازالته تتمثل باللجوء الى الذكر والتمسك بأهله ، وهم الانبياء والأولياء ، ومن تبعهم على قدم صدق ، وضرورة التوجه الكلي الى الحق والقيام بالعبادة الظاهرية والاجتهاد في الاعمال القلبية الباطنية.[٤]

ولا يجد الباحث مزيد عناء في الوقوف على هذا المنهج الذي يتعامل مع الباطن القرآني بعيداً عن أي ارتباط من قريب أو بعيد بظاهره الذي يعطي معاني لا يفيدها الباطن.

وأما بخصوص السير والسلوك ومراتبه وشرائطه فإن هذا المنهج العرفاني يؤمن بأن لكل موجود نوع من السير والسلوك يختصان به ، وهما طريقه الى الكمال ، وسبيله لنيل مطلوبه الذي أودع الحق في جبلته إمكان

---

(١) المطففين: ١٤.

(٢) التوبة: ٩٣.

(٣) محمد: ٢٤.

(٤) (ظ): جامع الاسرار ، م. س : ٥٧٣.

الوصول اليه ، وهي رؤية يفرضها ما اعتمده من أسس في التجلي والظهور ووحدة الوجود.

ويرى الاملي أن السير والسلوك لا يختص بالانسان فحسب ، بل يشمل جميع الموجودات ، وان هذا السير قد يقصد لنفسه ، وقد يقصد كونه مقدمة لبيان مقام الانسان في الوجود ومرتبته ، والقصد الاول شريف لما فيه من غايات ، إلا ان الثاني أشرف من ناحية تقدم الانسان في الشرف على سائر الموجودات.[١]

ويضيف بأن أعظم المقاصد على الاطلاق جناب الحق تعالى ، فهو كما يعتقد الاملي غاية الغايات ومقصد المقاصد ونهاية النهايات ، إليه تصبو الكائنات وإياه تعشق وتطيع ، وله تسجد وتخضع ، وما ذلك إلا فطرة وجبلة فطرت عليها سائر الخلائق. والدليل على ذلك قوله تعالى ((**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**))[٢] وقوله ((**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ**))[٣].[٤]

ويعتقد الاملي بأن ثمة مراتب لسير الانسان وسلوكه ، هما السلوك الصوري ، وكمال الانسان فيه أن تحصل له مرتبة الملكية بأن يصير ملكا وتحصل له الطهارة والتجرد من ملابس الصورة الحسية البشرية وخسائس

---

(١) (ظ) المحيط الاعظم: م.س: ١١٦.

(٢) الانعام: ٣٨.

(٣) الحج: ١٨.

(٤) (ظ) المحيط الاعظم ، م. س : ١٨.

الطبيعة المادية، والسلوك المعنوي وغاية الانسان فيه أن يبلغ مرتبة النبوة والولاية والرسالة ، ليدخل منها الى مرتبة الوحدة الصرفة والتي تؤدي الى اتحاد الشاهد في المشهود.[١]

ويحصر الاملي أقسام السلوك في قسمين هما سلوك المحبية وسلوك المحبوبية على أساس الغاية التي يقصدها السالك العارف. فإن كانت تلك الغاية مما يحصل بمحض اللطف والعناية فالسلوك سلوك المحبوبية ، وإن كانت لا تحصل إلا بالرياضة والمجاهدة فالسلوك سلوك المحبية. واستدل على حين الاول بقوله تعالى ((**وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**))[٢] على حين أشار في قوله تعالى ((**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**))[٣] الى سلوك المحبية الذي يحصل الكمال للعارف فيه بواسطة الرياضة...مع قطع المنازل وطي المراحل. وان غاية كلا السلوكين واحدة ، وهي المعرفة والشهود.[٤]

ويسوق الاملي بعض الشرائط لكلا السلوكين معتقداً تعذر الوصول الى الغاية المترتبة عليها من دون تلك الشرائط ومنها:

أ- المناسبة بين الحق والخلق:

يؤمن الاملي باستحالة تصور محبة بين الحق والخلق ما لم تكن هناك حسب العقل السليم مناسبة بينهما ، واذا كانت المحبة قائمة ، لم يكن بد من وجود مناسبة بأي شكل وقعت وعلى أي نحو تحققت. ويستدل بالآية الشريفة

---

(١) (ظ) المحيط الاعظم ، م. س : ١٨.

(٢) الانعام: ٨٧.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

(٤) (ظ) المحيط الاعظم: م.س: ١٦.

((**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**))[١] على تلك المناسبة تلميحاً ،وتشير صراحة الى شرف الانسان وفضيلة منزلته.[٢]

ب- الجوع ، لبس المرقع ، احتمال أذى الخلق وقمع هوى النفس:

يتحدث الاملي عن هذه الأمور الاربعة في تفصيله للقيامات...ومنها القيامة الصغرى المعنوية التي لا تتحقق إلا بموت ارادي اختياري. وهذا الموت شرط في بلوغ الغاية عند السالك ، إذ ليست هذه القيامة سوى الحياة الحقيقية ، والبقاء في الحق بقاء شهود ومعرفة...أما مطلق الموت فهو عبارة عن قمع هوى النفس، فإن حياتها لا تكون إلا بذلك ، ولا تميل النفس الى لذاتها وشهواتها ومقتضيات الطبيعة البدنية إلا بهذا الهوى ، واذا أمالها الى ذلك جذبت النفس القلب الى مركزها ، فيموت وتنعدم حياته الحقيقية العلمية بالجهل. فاذا ماتت النفس عن الهوى بقمعه ، انصرف القلب بالطبع وبمقتضى المحبة الى عالم القدس والنور...والى الموت والحياة هذين أشار القرآن بقوله: ((**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**))[٣].[٤]

ويضيف الاملي انطلاقاً من منهجه الباطني أن المراد من هذه الآية المباركة هو ان من كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم ، وجعلناه عالماً كاملاً

---

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) (ظ) اسرار الشريعة ، م. س : ٥٢.

(٣) الانعام: ١٢٢.

(٤) (ظ) اسرار الشريعة ، م. س : ١١٤.

حياً بالحياة الأبدية، بأن جعلنا له نوراً يمشي به في الناس ليس كمن يعيش في ظلمات الجهل.[١]

ويرى ان التوبة الواردة في الآية الشريفة: ((**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**))[٢] انما تشير لذلك الموت ، بمعنى أن من تاب فقد قتل نفسه وأماتها بالموت الارادي الاختياري بقمع الهوى والشهوة.[٣]

ويشير أحد الباحثين المعاصرين الى استرساله في سرد الآيات التي تتضمن لفظ الموت معتمداً منهجه الباطني في صرفها عن معناها الظاهر وسلخها عن سياقها بما يخدم غرضه ، ومن تلك الآيات ، قوله تعالى ((**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**))[٤] ومعنى الآية عند أهل الظاهر واضح ، إذ المقصود منها التأكيد على مقام الشهيد عند الله...والتحريض على الدفاع عن الاسلام...والاملي يفهم منها أن الجهاد المقصود هنا والقتل هما جهاد النفس وقتلها بمخالفتها فيما ترغب وتشتهي ، وان قتلها بهذا المعنى فيه الحياة في الهداية ، أي يحيى الانسان بالهداية عن الضلالة ، وبالمعرفة عن الجهالة. وسمي هذا الموت بالموت الأحمر ، وقيل عنه انه الموت الجامع لجميع أنواع الموت.[٥]

واصطلح الاملي بالموت الاخضر على لبس المرقع ، الذي لا قيمة له ، وسبب التسمية لديه اخضرار عيش المرء بالقيامة ، في حين سمى احتمال

---

(١)(ظ) اسرار الشريعة ، م. س : ١١٤.

(٢) البقرة: ٥٤.

(٣) (ظ) اسرار الشريعة ، م. س : ١١٤.

(٤) آل عمران: ١٦٩.

(٥) (ظ) حمية ، خنجر علي: م.س: ٥٥٣-٥٥٤.

أذى الخلق بالموت الاسود الذي يشعر فيه المحب بلذة هذا الايذاء ، كونه يفترض أن ذلك الأذى مقدر عليه من محبوبه ، وكل ما يصدر من المحبوب محبوب ، والمقام الذي يحصله المرء بعد هذا الموت هو الجنة المعنوية النفسانية لقوله تعالى ((**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**))[١].[٢]

ج- رفع الحجب:

المعروف لدى العرفاء أن شهود الحق لا يتم إلا بإزالة الحجب الحائلة بين الشاهد والمشهود ، وهي لا تعدو كونها أعراضاً قابلة للزوال ، وإلا لامتنع على السالك بلوغ الغاية ، مع أن في الانسان اقتضاء ذلك في جبلته حسب ما مضى بخصوص شمولية السير والسلوك لكافة الموجودات والاستعداد لتحصيله على ضوء تكوينه. والانسان يملك استعداد الشهود القلبي ، ومثله في ذلك مثله في مشاهدته بالبصر كلما يصح أن يشاهد من المبصرات ، غير ان إمكان المشاهدة قد يمنع من تحققه مانع ، وقد يحجبه عن مقصوده حاجب ، الأمر الذي يؤدي الى امتناع الرؤية واستحالتها ، فتبدو الحاجة الى ما من شأنه ازالة هذه الحجب ورفعها لحصول الرؤية.[٣]

وعلى هذا الأساس يقول الاملي ((اعلم ان الله تعالى خلق الانسان جامعاً بين عالمي الغيب والشهادة ، أو الملك والملكوت ، أو الخلق والأمر. وأعطاه لمشاهدة كل عالم منهما عيناً مناسبة لذلك العالم ، فالعين التي هي لمشاهدة عالم الغيب سماها الحق بالبصيرة في قوله تعالى ((**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى**

---

(١) النازعات: ٤٠-٤١.

(٢)(ظ) حمية ، خنجر علي: م.س: ٥٥٣-٥٥٥.

(٣) (ظ) م.ن.

اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي))[١]، وسماها بالقلب والفؤاد ، والصدر كما في قوله ((**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**))[٢]، وسمى العين التي لمشاهدة عالم الشهادة بالبصر في قوله ((**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**))[٣].[٤]

ان المراد بالحجب والموانع التي تحول دون مشاهدة الحق انما تتمثل بجميع الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة ، والملكات الرديئة ، وأما وسائل ازالة تلك الحجب فكثيرة متنوعة ، منها ترويض النفس على الفضائل ، وتعويدها على محاسن السلوك ، وجميل الصفات ، وكبح جماح النفس وقمع هواها ، الى جانب سائر سبل العلاج كالعزلة والخلوة.[٥]

ويختتم الاملي كلامه بهذا الخصوص باختصاص ازالة الحجب بسلوك المحبية، على أساس أن الحجاب يختص بهم ، فيجب عليهم وحدهم ازالة تلك الحجب ، واستثنى من ذلك المحبوبين بفعل حصولهم على أنوار الهداية منذ الازل ، وبالتالي فهم مستغنون عن ازالة الموانع ، فلا يخلو حالهم على الدوام من مشاهدة بالفعل ومكاشفة على نحو الحقيقة ، ويستمر لهم ذلك بلا انقطاع ، وقد أشار القرآن الى المشاهدة هذه ودوامها معبراً عنها بالصلاة فقال ((**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ**))[٦].[١]

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) النحل: ٧٨.

(٤) المحيط الاعظم ، م. س : ١٧.

(٥) (ظ) اسرار الشريعة ، م. س : ٦٥.

(٦) المعارج: ٢٣.

د- الشيخ المرشد

لا يستقيم السلوك لدى عرفاء الباطن إلا من خلال معرفة شيخ مرشد يأخذ بيد السالك الى الطريق لينتهي به الى الغاية المطلوبة كونه يمتلك الاطلاع على حقائق العرفان ، فضلاً عن علمه بالمقامات والاحوال وكيفية قطعها والانتقال من كل واحد منها الى آخر ، وبالتالي فإن خيرته بطريق السلوك تجعله يوفر العناء والوقت على السالك.

وبهذا الخصوص يثبت الاملي لهذا الشيخ مكانة سامية ومرتبة رفيعة ومنزلة عظمى ، كونه سلك طريق الاستقامة وعرفه حق المعرفة ، فصارت له خبرة في الطرق ، وأيها أقرب الى الغاية وأسرع في أن تبلغ ، فهو يسلك بالطالب الجادة الواضحة والسبيل الأيسر ، ولم يستغرق وصوله وقتاً طويلا.[٢]

واستناداً لما تقدم يعتقد الاملي أن ثمة معاناة تعترض السالك فيما لو قصد الغاية بنفسه ، ودون معاونة الشيخ ، وقد يسلك طرقاً متعددة يتعذر عليه تمييز الاصلح من بينها ، وربما يسلك طريقاً معتقداً صلاحه فبان له بعد جهد ومزاولة أنه لا يؤدي الى شيء فيسلك غيره ، فإن وصل كان ذلك بعد جهد وعناء.[٣]

والشيخ المرشد حسب راي الاملي هو من يدرك شرائط سير النفس وطرق انتقالها وعروجها من مرتبة النفس الامارة ، الى مرتبة النفس اللوامة ، ومنها الى مرتبة النفس الملهمة والمطمئنة ، ومن مرتبة النفس المطمئنة

---

(١) (ظ) المحيط الاعظم ، م. س : ١٧.

(٢) (ظ) جامع الاسرار ، م. س : ٢٤٦.

(٣) (ظ) جامع الاسرار ، م.س : ٢٤٦.

الى الحضرة الربانية. وانتقال السالك فيها لا يتم على وجه إلا تحت نظره ومراقبته. وقد أشار القرآن الى هذه القضية بقوله ((**يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**))[١] حيث لا يعني الدخول هنا سوى دخول السالك تحت حكم المرشد وأمره ، ومتابعة ارشاده ، والاهتداء بهدايته بلا شك ولا شبهة ولا ارتياب ولا مخالفة ولا منافرة.[٢]

ويقصد العرفاء بالشيخ المرشد هو النبي أو الولي ، ويلحق بهما من تابعهما على قدم الصدق والامانة ، ولا يشكل الشيخ نقطة الارتكاز في نسق الاخلاق ونظامه فحسب ، بل هو نقطة مركزية في تراتبية الوجود الامكاني ، وهو رأس الهرم في نظام الصوادر أو الظهورات أو التجليات.[٣]

هـ- التقوى

يعتقد العرفاء بأن للتقوى مراتب ومعارج ، ويضيفون على ما يعتقد به أهل الظاهر من اجتناب لمحارم الله ، الابتعاد عما أحل الله من طيبات الدنيا ولذاتها ، وعدم التزود منها سوى بقدر الحاجة والضرورة ، وان لها عشر مراتب تتناسب مع مراتب السلوك العشرة: البدايات ، الابواب ، المعاملات ، الاخلاق ، الاصول ، الاودية ، الافعال ، الولايات ، الحقائق والنهايات.[٤]

ويشير الاملي الى النتائج المترتبة على التقوى وما يحصل عليه العبد من مراتب رفيعة بمقتضى قوله تبارك وتعالى ((**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ**

---

(١) الفجر: ٢٧-٣٠.

(٢) (ظ) اسرار الشريعة ، م. س : ٢١٩-٢٢٠.

(٣) (ظ) حمية ، خنجر علي: م.س: ٥٦١.

(٤) (ظ) المحيط الاعظم ، م. س : ١٨.

تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))[١] إذ سيزول عن قلبه حجاب الكثرة والتفرقة ، وتضمحل عن نفسه الظلمة والغفلة ، ويصل الى حد الصفاء التام الخالص الكامل ، ويفيض الله تعالى عليه نوراً من أنواره تنفتح به عين بصيرته ، وينكشف له عالم الملكوت والجبروت ، وتنزل عليه الحكمة والمعارف والعلوم والحقائق. والى كل ذلك أشار القرآن حين قال ((**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**))[٢].[٣]

ولا ينسى الاملي أن يتطرق الى النتائج السلبية التي تفرزها مخالفة طريق التقوى والتي تتمثل بالعمى والضلال ، فلما كانت ثمرة التقوى انفتاح عين البصيرة لرؤية الانوار الملكوتية والاهتداء الى مطالعة كتاب الآفاق والانفس بعين القلب ، فمخالفة طريقها توجب عكس ذلك تماماً ، أي توجب عمى القلب والضلال ، والكفر والطغيان. والى ذلك أشار القرآن بقوله ((**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**))[٤] وقوله ((**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**))[٥] وقوله ((**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**))[٦].

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

(٣)(ظ) المحيط الاعظم ، م. س : ١٦.

(٤) البقرة: ٧.

(٥) الكهف: ١٠١.

(٦) طه: ١٢٥-١٢٦.

ويضيف الاملي بأن المراد بالعمى هنا عمى البصيرة الذي يناسب النسيان ، ذلك لأن الاعراض عن ذكر الله والنسيان لا يتأتى بعين البصر لعدم المناسبة ، والنسيان من عوارض القلب ، كما ان الذكر من خواصه ولوازمه.[١]

و- الهداية

ينظر العرفاء الى الهداية على أساس منهجهم الباطني الذي يتجاوز المعنى الظاهري ليعنوها بالانتقال من الكثرة الى الوحدة ، ومن التفرقة الى الجمع ، ومن الشرك الى التوحيد ، ومن الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص، ومن الوجودات المقيدة الى الوجود المطلق ، ومن مشاهدة الخلق الى مشاهدة الحق ، ومن معرفة النفس الى معرفة الرب ، ومن معرفة القرآن الى معرفة الفرقان ، ومن البقاء الى الفناء ، ومن الصفات الى الذات.[٢]

ولا يرى الاملي أي تناقض في الآيات التي تحدثت عن الهداية في القرآن ، كون بعضها تنسب الهداية للحق والضلال للعبد ، وأخرى تنسب الهداية للناس ومنها قوله تعالى ((**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**))[٣] وقوله ((**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**))[٤] وقوله ((**قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ**

---

(١)(ظ) المحيط الاعظم ، م. س ص: ١٧.

(٢)(ظ) المحيط الاعظم ، م. س : ٢٠.

(٣) طه: ٥٠.

(٤) النساء: ٣.

عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ))[١] وقوله ((**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**))[٢].

فيقول بهذا الخصوص ((ان المراد بالهداية المنسوبة الى الله الهداية العامة الشاملة لكل موجود ، والتي هي هداية كل شيء أولا الى مصالحه في المعاش، وتدبيره في الحياة الدنيا...وثانياً الى توحيد الخالق لقوله ((**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**))[٣]...وثالثة هداية كل شيء الى الدين والايمان لقوله تعالى ((**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**))[٤]. ثم الهداية رابعاً الى الصراط المستقيم في كل مذهب وملة لقوله ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**))[٥] والذي يقصد هنا بالهداية حقيقة ليست إلا الاخيرة ، أعني الهداية الى الصراط المستقيم الحقيقي ، والدين القويم المحمدي)).[٦]

يتبين مما سبق والذي تراه الباحثة ان منهج التفسير الباطني يعتمد بصورة اساسية على التعامل مع باطن النص القرآني وصرفه عن ظاهره كون هذا الظاهر ليس المراد صراحة ، بل يشكل حجابا يحول دون الوصول الى كنه وحقيقة النص. ومن هنا فان اخر النص معلوم من اللغة ، ونسبته الى الباطن كنسبة القشور الى اللب.

---

(١) يونس: ١٠٨.

(٢) الانعام: ١٠٤.

(٣) لقمان: ٢٥.

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) الفاتحة: ٦.

(٦) المحيط الاعظم ، م. س : ٤١.

ومن هنا فان التفسير الذي يقدمه هذا المنهج للنص من خلال باطنه يختلف تماما وتفسيره الظاهري كون ادوات الباطن تنطرح من بعض الاسس من قبيل الالهام والكشف والذوق .

النتائج والتوصيات

اولاً: النتائج

بعد الانتهاء من هذه الدراسة حول منهج التفسير العرفاني عند الشيعة الامامية توصل البحث الى بعض النتائج:

اولاً: علم العرفان إنما هو من العلوم التأسيسية الممتدة الجذور لصلب شجرة الإسلام التي غرس بذرتها القرآن الكريم ونّماها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام، وحافظ عليها علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: هنالك خلط بين التصوف والعرفان بحيث يستعمل أحدهما بمعنى مرادف للآخر ، في حين تظهر الدقة العلمية والمنهجية ضرورة التمييز بينهما. فقد انطلق التصوف كطريقة للتعبد من الاسلام ، غير ان ادعاء المتصوفة لبعض الكرامات وكلامهم عن امور تناقض ظواهر الدين وحكم العقل بحجة ان لها معاني صحيحة لا ينالها فهم أهل الظاهر ثقل على الفقهاء وعامة المسلمين فأنكروها عليهم ، أما العرفان فهو علم يمتاز بالاصالة والعمق وينطلق من مراحل السير والسلوك وتزكية النفس وأصوله مما دلت عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة وأشارت الى مبانيه سنة الأئمة المعصومين في أحاديثهم والمروي من أدعيتهم وسيرتهم.

ثالثاً: ثمة علاقة بين الدين والعرفان ، فالدين يستلزم العرفان ويدعو اليه، الا ان هذه الدعوة طريقية لا غائية ، فالعرفان وسيلة وليس غاية في الدين.

رابعاً: الاتجاه العرفاني الصحيح وإن كان يعتقد بتفسير الوجود ونظامه وتجلياته على أسس المكاشفة والشهود ، لكنه لا يرفض اسلوب الاستدلال العقلي ، بل يسمح له في حدود معينة لعدم قدرته على نيل ما وراء ذلك. وإلا لبقيت تلك المكاشفات في دائرة المزاعم والادعاءات التي لا دليل قطعي يؤيدها أو يثبتها ، فلا تكون حجة على الغير.

خامساً: انطلق العرفان من الرؤية الاسلامية مستوحياً أسسه ومفاهيمه من هذه المدرسة الاصيلة المتمثلة بالقرآن والروايات.

سادساً: تضمن القرآن الكريم كتابات واشارات انطوت على العديد من الحقائق واللطائف جعلت من الضروري الاستعانة بالمنهج العرفاني في التفسير بهدف الوقوف على جانب عظيم من حقائق القرآن ، شريطة ان لا يجري ذلك انطلاقاً من الذوق وبعيداً عن الضوابط والقواعد لتفادي السقوط في مستنقع التفسير بالرأي.

سابعاً: ان المعيار الواضح في تميز التفسير بالرأي عن غيره هو اخضاعه لقواعد التفسير وضوابطه فإن كان المفسر ملتزماً بتلك القواعد ومستوفياً لشروطها في عملية التفسير فهو تفسير سليم وليس رأياً شخصياً من المفسر والا يوسم التفسير بأنه تفسير بالرأي المنهي عنه.

ثامناً: ان أبرز معايير التفسيرالعرفاني الصحيح تكمن في:

أ- الالتفات الى القرائن النقلية والعقلية في تفسير آيات القرآن.

ب- عدم تحميل الآراء الشخصية والذهنية على القرآن.

ج- تفسير القرآن من ذوي الاختصاص.

تاسعاً: يعتمد المنهج التفسيري الصوفي على التذوق الوجداني الذي يدرك في حالة الاستغراق في الوجد والرياضة الروحية ، بضرب من الحدس النفسي والكشف الباطني والشهود القلبي من دون ربط ومناسبة مع ظاهر الآية ، فهو يسعى الى تأييد آرائه بالقرآن باللجوء الى استخراج معان لا يحتملها النص بحسب قانون اللغة العام.

عاشراً: صنف أغلب المفسرين المنهج الصوفي في تفسير القرآن ضمن مناهج التفسير بالرأي المذمومة ، كون المفسر يبذل قصارى جهده في صرف

الآية عن ظاهرها لاشارة خفية تظهر له انطلاقاً من ايمانه بعجز اللغة عن الاحاطة بأبعاد الحقيقة المطلقة والذي دفعه بالايمان بلغة الاشارة.

الحادي عشر: تعطي المدرسة العرفانية العقل والاستدلال البرهاني موقعه الخاص به ، لكنها لا تكتفي بالعقل وحده في ادراك الحقائق ، بل تحاول الاستعانة بالعقل والكشف معاً للوصول الى كمال المطلوب.

الثاني عشر: ليس هناك أي تصادم أو تعارض بين العقل (المنهج العقلي) وقدرته على معرفة الحقيقة ، والشهود (المنهج العرفاني) وقدرته على اكتناهها، لأن المكاشفة تبدأ حيث ينتهي دور العقل ، فهي في طولها لا في عرضها وهذه حقيقة ما ذهبوا اليه من ان المكاشفة طور وراء طور العقل.

الثالث عشر: ان للقرآن عدة مستويات ولكل مستوى قرآني مرتبة من الفهم، وان ثمة معرفة شهودية يمكن ان يمتلكها المفسر تمكنه من رؤية ما ينطوي عليه من أسرار وحقائق ، وان ذروة معرفة واكتناه تلك الحقائق ميسرة لمن خوطب بالقرآن وهو الانسان الكامل.

الرابع عشر: تظافرت الروايات عن أئمة أهل البيت (ع) والتي تصرح بإمكانية قراءة النصوص القرآنية وتفسيرها تفسيراً معرفياً على وفق عدة مستويات.

الخامس عشر: يمتاز النص القرآني بالعديد من الخصائص التي تميزه عن سائر النصوص وفي مقدمتها ما يختزنه من عمق يقف وراء خلود القرآن وتجاوزه لحدود الزمان والمكان.

السادس عشر: يؤمن أرباب المنهج العرفاني في التفسير أن منشأ العمق وسر اختصاص النص القرآني بالبطون وتوافره على شمولية المعنى انما يعود الى كينونة القرآن وما انطوى عليه من مضامين وحقائق ذات مراتب متعددة.

السابع عشر: يؤمن العرفاء بنظرية تعدد مراتب الفهم تبعاً لتعدد مراتب ومستويات النص القرآني واشتماله على معان مترتبة بعضها على البعض الآخر.

فالفهم ينطلق من الفهم الظاهري ويسير في خط تصاعدي ليبلغ ذروته مع المطهرين النبي وأهل بيته (ع).

الثامن عشر: استدل العرفاء على اختلاف مراتب فهم القرآن بالعديد من النصوص القرآنية والروائية.

التاسع عشر: يوازن المنهج العرفاني الظاهري العلاقة بين الظاهر والباطن في تفسير النصوص القرآنية ، حيث الظاهر عنوان الباطن والمدخل اليه ، وليس بينهما أي انفصام أو قطيعة أو تعارض ، واللفظ والعبارة هما تجلي للمعنى والحقيقة.

العشرون: التفسير العرفاني الباطني يؤمن باشتمال القرآن على الظاهر والباطن ، غير انه يؤمن بأن المراد باطنه دون ظاهره ، فما يبدو للفهم من الظاهر القرآني ليس مراد الله حقيقة ، وعليه لا يصلح هذا الظاهر حتى كونه حجة.

الحادي والعشرون : المنهج العرفاني الامامي يؤمن بالظاهر ولا يعمل على الغائه ، غير انه يذم الاستغراق فيه ، ويهاجم المنحى الباطني الذي يحد من قيمة الظاهر وعليه يعد الظاهر والباطن معاً في تفسير النص القرآني وان كل منهما يمر عبر الآخر.

ثانياً: التوصيات

١- انشاء مراكز بحثية تتولى الاهتمام بالتفاسير العرفانية سيما التي كتبت باللغات غير العربية والقيام بترجمتها بغية اثراء المكتبة القرانية العربية بهذا الحقل المعرفي والذي من شانه تقديم محتوى افضل لتفسير النص القراني.

٢- القيام بدراسات بحثية من اجل الوقوف على حقيقة هذا المنهج وتمييزه عن سائر المناهج من خلال التعامل معها بروح حيادية بعيدة عن النعصبات الضيقة بهدف كشف الحقائق امام الباحثين .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١- الالوسي ، ابو الفضل شهاب الدين: روح المعاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ.

٢- الاملي ، حيدر: نص النصوص في شرح الفصوص (المقدمات) ، تحقيق: هنري كوربان وعثمان يحيى ، طهران ، ط٢ ، ١٩٨٨م.

٣- .....: جامع الاسرار ومنبع الانوار ، تحقيق: هنري كوربان وعثمان يحيى ، انجمن ايران شتاسي ، طهران ، ط٢ ، ١٣٦٨هـ.

٤- .....: أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة ، تحقيق وتصحيح: محمد خواجوي ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي ، طهران، ط١ ، ١٩٨٣م.

٥- .....: المحيط الاعظم والطود الاشم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، وزارة الثقافة ، طهران.

٦- البغوي ، ابو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل (تفسير البغوي) ، دار طيبة ، ط٢ ، ١٩٨٩م.

٧- البهادلي ، عبد الرضا ناصر: منهج العرفان عند الامام علي ، مكتبة الامام الصادق ، ط١ ، ٢٠١٠م.

٨- الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م.

٩- الجرجاني ، علي بن محمد: شرح المواقف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٨م.

١٠- ابن ابي الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله: شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

١١- الحر العاملي ، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، مطبعة مهر ، قم ، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٢- الخوئي ، الميرزا حبيب الله: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، المكتبة الاسلامية ، طهران ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ.

١٣- الرازي ، فخر الدين: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١.

١٤- الراغب الاصفهاني ، ابي القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

١٥- الراوندي ، قطب الدين: النوادر ، دار الحديث ، قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

١٦- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٣م.

١٧- الزمخشري ، جار الله: اساس البلاغة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٥م.

١٨- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن: الاتقان في علوم القرآن ، دار الفكر، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ.

١٩- الشعراني ، عبد الوهاب: الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ط١ ، د.ت.

٢٠- الشيرازي ، صدر الدين: الاسفار الاربعة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م.

٢١- .....: مفاتيح الغيب ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٣م.

٢٢- .....: كسر أصنام الجاهلية ، كلية المعقول والمنقول ، طهران ن ١٣٤٩هـ.

٢٣- .....: تفسير القرآن الكريم ، تصحيح: محمد خواجوي ، انشارات بيدار ، قم.

٢٤- .....: الحكمة المتعالية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م.

٢٥- الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي: عيون أخبار الرضا ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ.

٢٦- .....: من لا يحضره الفقيه ، مركز عابدي للنشر ، قم ، ط٣ ، ١٤١٢هـ.

٢٧- الطبرسي ، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م.

٢٨- .....: الاحتجاج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢٩- ابن عربي ، محيي الدين: تفسير القرآن الكريم ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م.

٣٠- الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد: احياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٣١- الفيض الكاشاني ، محسن: الوافي ، مكتبة الامام امير المؤمنين ، اصفهان، ١٤٠٦هـ.

٣٢- الفيض الكاشاني ، محسن: تفسير الصافي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م.

٣٣- القمي ، القاضي سعيد: شرح توحيد الصدوق ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، طهران ، ط١ ، ١٤١٥هـ.

٣٤- القيصري: شرح خصوص الحكم لابن عربي ، منشورات بيدار ، قم ، ط١، ١٣٩٧هـ.

٣٥- الكليني ، ابي جعفر بن يعقوب: اصول الكافي ، تحقيق: علي اكبر غفاري، دار الكتب الاسلامية ، ط٦ ، ١٩٩٦م.

٣٦- المجلسي ، محمد باقر: بحار الانوار ، مؤسسة العرفاء ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ.

٣٧- .....: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، دار الكتب الاسلامية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ.

٣٨- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ.

٣٩- النوري ، حسين بن الشيخ محمد تقي بن علي ، مستدرك الوسائل.

٤٠- الورام ، ابي فراس: مجموعة ورام ، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، مكتبة الفقيه.

ثانياً: المراجع

١- الاملي ، حسن زادة: المواعظ العرفانية ، دار الاضواء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م.

٢- الاملي ، عبد الله جوادي: التوحيد في القرآن ، دار الصفوة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٩م.

٣- .....: نظرية المعرفة في القرآن ، دار الصفوة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٤- .....: المرأة في مرآة العرفان ، دار اسراء ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٥- الاشتياني ، احمد: رسالة في الانسان الكامل، اسوة ، قم ، ط١، ٢٠٠٢: ٧٠

٦- الامين ، محسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية.

٧- الايرواني ، علي: نهاية النهاية في شرح الكفاية ، مكتب الاعلام الاسلامي، قم ، ط١ ، ١٩٩٨م.

٨- بابائي ، علي اكبر: مدارس التفسير الاسلامي ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م.

٩- الحسن ، طلال: المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري ، دار فراقد ، قم، ط١ ، ٢٠١٠م.

١٠- الحسيني ، عمار: منهج البحث القانوني ، التميمي للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٠م.

١١- حمية ، خنجر علي: مدخل الى التأويل الصوفي للقرآن ، دار الهادي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨م.

١٢- الحيدري ، كمال: العرفان الشيعي ، دار الهادي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

١٣- .....: شرح الاسفار الاربعة ، دار فراقد ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

١٤- .....: اللباب في تفسير الكتاب ، دار فراقد ، قم ، ط١ ، ٢٠١٠م.

١٥- الخميني ، روح الله: شرح دعاء السحر ، دار الجوادين ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٧م.

١٦- .....: شرح الاربعين حديثا ، تنظيم ونشر آثار الامام الخميني ، ط٢ ، ٢٠٠١م.

١٧- .....: آداب الصلاة ، دار اطلاس ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٤م.

١٨- .....: المظاهر العرفانية ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط٣ ، ١٩٩٨م.

١٩- .....: تفسير سورة الحمد ، تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، قم ، ط١ ، ١٩٧٧م.

٢٠- الخوئي ، ابو القاسم: البيان في تفسير القرآن ،مؤسسة الاعلمي ، بيروت، ١٩٧٤م٠

٢١- الرجا ، حسين: التصوف في البداية والتطرف في النهاية ، مؤسسة الفكر الاسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٣م.

٢٢- رجبي ، محمود: بحوث في تفسير القرآن الكريم ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م.

٢٣- الرضائي ، محمد علي: مناهج التفسير واتجاهاته ، بيروت ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

٢٤- الزرقاني ، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٣م.

٢٥- ابو زيد ، نصر حامد: مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٦ ، ٢٠٠٥م.

٢٦- زيعور ، علي: حقائق التفسير القرآني ، دار عز الدين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م.

٢٧- السبحاني ، جعفر: نظرية المعرفة ، دار الولاية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٢٨- شاكر ، محمد كاظم: اساليب التأويل ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط٣، ٢٠١٠م.

٢٩- شريف ، محمد جلال: دراسات في التصوف الاسلامي ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٤م.

٣٠- شقير ، محمد: فلسفة العرفان ، دار الهادي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م.

٣١- الشيرازي ، ناصر مكارم: التفسير الامثل ، مدرسة الامام علي ، قم ، ط١، ١٩٩٨م.

٣٢- .....: نفحات القرآن ، مدرسة الامام علي ، قم ، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٣- الصادقي ، محمد: الفرقان في تفسير القرآن ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ١٩٨٠م.

٣٤- الطاهر ، علي جواد: منهج البحث الادبي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨م.

٣٥- الطباطبائي ، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩١هـ.

٣٦- .....: مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي ، ترجمة: جواد علي كسار ، مؤسسة أم القرى ، بيروت ، ط١ ، ١٣١٨هـ.

٣٧- .....: الانسان والعقيدة: رسالة الولاية ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٣٨- .....: الشيعة في الاسلام ، مؤسسة الامام الحسين، قم، ط١ ، ١٩٩٩م.

٣٩- .....: نهاية الحكمة ، صححه وعلق عليه: عباس علي الزارعي السبزواري ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٤٠- عبده، محمد: شرح نهج البلاغة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م.

٤١- عطية ، حمدي رجب: الاصول المنهجية لاعداد البحوث والرسائل الجامعية ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

٤٢- فياض ، حبيب: مقاربات في فهم الدين ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٣- .....: الاتجاهات العقلية في الفكر الاسلامي ، مركز الحضارة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

٤٤- القمي ، عباس : مفاتيح الجنان،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م

٤٥- كسار ، جواد علي: فهم القرآن ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٤٦- اللواتي ، محمد رضا: العرفان الاسلامي/الخطوط العامة في المنهج ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ٢٠١١م.

٤٧- محمد ، محمد قاسم: المدخل الى مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٤٨- محمد ، يحيى: الفلسفة والعرفان والاشكاليات الدينية ، دار الهادي ، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٤٩- مصطفوي ، محمد: أساسيات المنهج والخطاب ، بيروت ، مركز الحضارة، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٥٠- .....: دور المنهج في عملية التفسير ، مركز الحضارة ، ط١، ٢٠٠٧م.

٥١- المطهري ، مرتضى: مدخل الى العلوم الاسلامية ، دار الكتاب الاسلامي، ط٢ ، ٢٠٠٦م.

٥٢- .....: الكلام – العرفان – الحكمة المتعالية ، دار الكتاب الاسلامي ، قم ، ط١ ، ٢٠٠١م.

٥٣- المظفر ، محمد رضا: أحلام اليقظة مع الفيلسوف صدر المتألهين ، تحقيق: محمد جواد الطريحي ، دار الضياء ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٥٤- معرفة ، محمد هادي: التفسير والمفسرون ، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية ، قم ، ط٤ ، ١٩٩٢م.

٥٥- مغنية ، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٢م.

٥٦- المحمود ، حسين علي: المعرفة وفقاً للمنهج العرفاني عند الامام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني ، قم ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.

٥٧- المهاجر ، جعفر: الهجرة العاملية الى ايران في العصر الصفوي ، دار الروضة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م.

٥٨- اليزدي ، محمد تقي مصباح: محاضرات في الايدلوجية المقارنة ، ترجمة: الخاقاني ، دار الحق ، ط١ ، ٢٠٠٤م.

٥٩- .....: مفاهيم القرآن ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم، ط١ ، ٢٠٠٦م.

المجلات والصحف:

- الخشن ، حسين: تـأملات فـي المـنهج المعرفـي لـدى العرفـاء ، جريـدة بينـات ، العدد ٢٦٧.
- .....: المنهج التكاملي في البناء العقائدي ، جريدة بينات ، العدد ٢٦٨.

ثالثاً: المصادر الفارسية

١- آملـي ، حسـن زادة: قـرآن وبرهـان وعرفـان ، نشـر اسـراء ، قـم ، ط١ ، ١٣٨٤ش.

٢- املي ، عبد الله جوادى: تفسير تسيم ، نشر اسراء ، قم ، ط١ ، ١٣٨٠ش.

٣- ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠: زن در آينه عرفان ، اسراء ، ط١ ، ١٣٨١ش.

٤- ابراهيميان ، سيد حسين: معرفت شناسي در عرفان ، مؤسسة بوستان ، قم، ط٢ ، ١٣٨٧ش.

٥- ارزكاني ، محمد امين الصادقي: انسان كامل از نكاه امام خميني وعارفان مسلمان ، بوستاني كتاب ، قم ، ط٣ ، ١٣٨٧ش.

٦- بابائى ،على اكبر: مكاتب تفسيري، انتشارات انصاريان، قم، ط١، ١٣٩٠ش

٧- بهشتي ، أحمد: وحيانيت وعقلانيت عرفان ، دفتر تبليغات اسلامي ، قم ، ط١ ، ١٣٩٤ش.

٨- الخمينـي ، روح الله: صـحيفة نـور ، نشـر آثـار امـام خمينـي ، قـم ، ط١ ، ١٣٧٠ش.

٩- دلـدارى ، علـى اكبـر: برتـوئى از تفسـير عرفـانى ، نشـر اسـوه ، قـم ، ط١، ١٣٨٦ش.

١٠- رحيميان ، سعيد: مباني عرفان نظري ، مركز تحقيق وتوسعه علوم اسلامي ، طهران ، ط١ ، ١٣٩٠ش.

١١- روستا ، محمد رضا: تفاوت عرفان وتصوف ، ط١ ، رايكان ، ١٣٩٥ش.

١٢- شهركي ، حبيب الله: عقل از نظر قرآن ، دفتر تبليغات اسلامي ، قم ، ط١ ، ١٣٩٦ش.

١٣- شيرواني، علي: دين عرفاني وعرفاني دين ، نشر دار الفكر ، قم ، ١٣٧٨.

١٤- ضرابيها ، محمد ابراهيم: زبان عرفان ، غزال ، طهران ، ط١ ، ١٣٨٤ش.

١٥- عطار ، علي موحديان: مفهوم عرفان ، دانشكاه اديان ومذاهب ، قم ، ط١، ١٣٨٨ش.

١٦- كاشفي ، واعظ: تصوف وعرفان ، فراقد ، ط١ ، ١٣٩٨ش.

١٧- كبير ، يحيى: فلسفة وحي الهي ، مطبوعات ديني ، قم ، ط٢ ، ١٣٨٨ش.

١٨- مهر ، حسين علوى: روشها وكرايشهاي تفسيري ، انتشارات اسوه ، طهران ، ط١ ، ١٣٨١ش.

١٩- يثربي ، يحيى: عرفان نظري ، دفتر تبليغات اسلامي ، قم ، ط١ ، ١٣٩٥ش.

٢٠- .....: فلسفة عرفان، بوستان كتاب، قم ، ط١، ١٣٩٨ش٠

٢١- نجاد، علي اميني: در جستجوئي عرفان اسلامي، قم، ايندكان، ط١، ١٣٩٨ش٠